

معالم قرآنية
في

الصِّراع مع اليهود

بتأليف
أ. د. مصطفى مسلم

عاشوا يعبدون
من منكم فعلوه ليس
كثيرا منهم
كفروا ليس ما قدمت لهم أنفسهم
عليهم وفي العذاب هم خالدون
يؤمنون **يَا لَهِ** وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ
سَمِ أُولِيَاءَ وَلَكِن كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِيقُونَ
لَدُنْ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودُ
شَرُّوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ
كَقَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ
مُهَيَّبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ

دار الفکر
دمشق



مَعَالِمُ الرُّقَائِيَّةِ

الصَّاحِبِ مَعَ الْيَهُودِ

الطبعة الثانية
طبعة دار القلم الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق: ص ب: ٤٥٢٣ - ت: ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت: ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ب: ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عمه طريقه

دار البشير - جدة: ٢١٤٦١ - ص ب: ٢٨٩٥

ت: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٦١

سلسلة التفسير الموضوعي

(٣)

معالم قرآنية

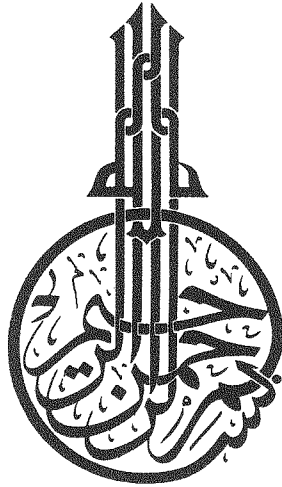
في

الصَّحاحِ مَعَ الْيَهُودِ

بمقام

أ.د. مصطفى مسلم

دار القلم
دمشق



مقدمة الطبعة الثانية لكتاب (معالم قرآنية في الصراع مع اليهود)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:
فإن الصراع مع اليهود يأخذ أبعاداً جديدة كل يوم، وكلما تقدمت الأيام تزداد الرؤية وضوحاً لأهل القلوب والبصائر، وتتجلى الحقائق القرآنية في واقع الناس، ويسترشد بها المؤمنون الذين أنزل القرآن شفاء لما في صدورهم ورحمة لأحوالهم ينير لهم الطريق القويم.

لقد حدثت تطورات كبيرة في واقع الصراع مع اليهود - بعد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب قبل خمس سنوات - فقد ازدادات هيمنة اليهود على الاقتصاد العالمي من خلال توحيد المؤسسات المالية الضخمة في كثير من دول العالم، وقويت قبضة اليهود على السياسة العالمية من خلال طرح مفهوم (العولمة)، وسخر اليهود أعظم قوة عسكرية في العالم لحماية مصالحها وضمان أمنها وتنفيذ سياساتها من خلال تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بالقيام بدور الشرطي في العالم، وإلغاء دور منظمة الأمم المتحدة والمعسكرات المناوئة والحليفة لها.

ولم يبق سوى الإعلان الرسمي لدولة اليهود العالمية، ورفع اليهود الأفتعة عن وجوه عملائها الذين ينفذون سياساتهم من خلف الكواليس.

وهذه الخطوة تتلوها خطوة أخرى يعمل اليهود لها جاهدين ويتحينون الفرصة المواتية لإنجازها، وهي خطوة هدم المسجد الأقصى وإقامة هيكل سليمان مكانه، وعندئذ سيلعب اليهود بأوراق مكشوفة، لأن مرحلة التخطيط تكون قد انتهت، وليبدأ اليهود في الانتقام من الأمم التي لم تسلم قيادها وظهورها لحمل أثقال اليهود وأوضاعهم وتؤدي السخرة المطلوبة منها.

هذا ما يتعلق باليهود ومخططاتهم ومراحل تنفيذها.

أما المؤمنون بسنن الله تعالى القدرية، وتكاليفه الشرعية فلهم رؤية أخرى.

إن هذه الهيمنة على مقدرات العالم الاقتصادية والسياسية والعسكرية، تتنافى مع سنة الله في التدافع ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ

وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَكِيدِ ﴿٢٥١﴾ [البقرة: ٢٥١]. فلا بد من طرف آخر يدفع هذه الهيمنة.

ولا يوجد طرف آخر يحمل مقومات التدافع ويؤهل للقيام بهذه المهمة غير الأمة الإسلامية. ولئن لم توجد حكومة في العالم الإسلامي لها القدرة أو الرغبة في القيام بهذه المهمة إلا أننا نتلمس بذور مقومات هذه السنة على صفحات تاريخ الصحوة الإسلامية، ومن خلال معاناتها سيكون التجديد - بإذن الله - ويتحقق ما أخبر به رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»^(١).

إن كان اليهود يظنون أن هذه الهيمنة منتهى سيطرتهم على العالم وتمكنهم من الأرض. فإنها في نظر المؤمنين قمة علو اليهود وإفسادهم في الأرض للمرة الثانية المنذرة بتسليط عباد الله عليهم كما أخبر الجبار المنتقم من قوله: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٠١﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَاتَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿١٠٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالِ وَبَنَاتِكُمْ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَ مَا أَحْسَنَتْهُ لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْسُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا ﴿١٠٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الإسراء: ٤ - ٨].

إنها قرب موعد إذلال اليهود، وتحرير بيت المقدس، وتدمير مصالح اليهود وحضارتهم العنصرية السوداء.

إن المعالم القرآنية التي أبرزت صراعنا مع اليهود تزداد رسوخاً وضياءً، ولم نشأ أن نضيف إليها جديداً، لأن الوقائع اليومية لا زالت تدور في محاورها وفي ظلالها.

وقد أسندنا هذه الطبعة لدار القلم الدمشقية ولصاحبها الأستاذ محمد علي دولة لما عهدنا فيه من الإتقان وحسن التعامل، جزاه الله خيراً عن العلم وأهله. والحمد لله أولاً وآخراً.

المؤلف

مُصْطَفَىٰ مُسْلِمٌ

٢١/٣/١٤٢٠هـ

٥/٧/١٩٩٩م

(١) انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن ٨/١٨٨.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وجعله الدستور الخالد للمؤمنين إلى يوم الدين، وجعل العزة والسيادة والفلاح لمن تمسك به واهتدى به، فهو الصراط المستقيم لا يضل سالكه، والحبل المتين لا ينقطع بالمعتصم به بل يوصله إلى دار النعيم.

والصلاة والسلام على من أنزل عليه القرآن ليكون للعالمين نذيراً، وداعياً بإذنه وسراجاً منيراً، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجازي رسولاً عن أمته.

ورضى الله تعالى عن الآل والصحاب الكرام الذين نقلوا إلينا هذا الدين وناقحوا عنه بالحجة والبرهان وناضلوا عن بيضته بالسيف والسنان وعن التابعين لهم بإحسان.

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فقد كنت أتأمل آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن الأمم السابقة ومواقفها من رسلها وأنبيائها ودعاة الحق فيها، وكنت أحاول أن أتلمس طبائع النفس البشرية من خلال الحوار الذي يدور بين الأمم وأنبيائهم، وأن أتعرف على سنن الله في المجتمعات الإنسانية من خلاله.

فلم أجد أمة من الأمم السابقة تناول القرآن الكريم تفصيل نشأتها وتاريخ تكوينها وبيان أحوالها ودقائق مواقفها ودخائل نفوس أفرادها وخصائص شخصيتها... مثل أمة اليهود.

وتساءلت كثيراً عن الحكمة في أن يحتل الحديث عن اليهود هذه المساحة الشاسعة من آيات القرآن الكريم.

فأول ما يبدأ الحديث عن البشر بعد هبوط آدم من الجنة في سورة البقرة يبدأ عن بني إسرائيل ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا يَمْحَىٰ آلِيَّ أَنْتُمْ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ يَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآزْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

ويستمر الحديث عنهم في نيف وثمانين آية، وأول سورة بعد فاتحة الكتاب تسمى سورة البقرة، وهي بقرة بني إسرائيل، وتأتي السورة الثالثة سورة آل عمران، وآل عمران أسرة من أسر بني إسرائيل.

والسورة الرابعة تسمى سورة [المائدة] وهي المائدة التي طلبها بنو إسرائيل.

وخصصت سورة باسمهم هي سورة الإسراء التي تسمى سورة [بني إسرائيل] أيضاً. وتكرر قصصهم في أكثر من ثلث سور القرآن، بسطاً وإجمالاً وتصريحاً وتلميحاً. بل نكرر في صلواتنا يوماً الالتجاء إلى الله أن لا يسلك بنا سبيلهم وهم (المغضوب عليهم) فما السر وراء هذا الاهتمام بهؤلاء القوم. علماً أن تعدادهم في العالم لا يؤبه به منذ أن وجدوا على ظهر الأرض وإلى يومنا هذا ولم يكن لهم كيان عند بعثة رسول الله ﷺ كما كان الحال لغيرهم كالفرس والروم والدول الوثنية الأخرى.

- فيا ترى أكان جوارهم لمهبط الوحي وشدة احتكاكهم بالعرب أولاً ثم بحملة

رسالة الإسلام ثانياً السبب في شدة الاهتمام بأمرهم؟

- أم أن النموذج الإنساني الذي يمثله بنو إسرائيل اقتضى تفصيل أحوالهم ليكون

المؤمنون على بينة من أمرهم فلا ينحرفوا مثل انحرافاتهم؟

- أم إن كتابهم المنزل عليهم (التوراة) فيه من العقائد والأحكام التشريعية التي

تضبط سلوك متبعيه وعقائدهم بحيث ينشئ أمة ويكون سلطة ودولة فكان موقف بني

إسرائيل من شرائع التوراة مجالاً لبيان الحق والصواب فيها؟

- قد يكون كل ما تقدم من الأسباب وراء هذا الاهتمام، ولعل أمراً آخر وراء

ذلك - ولعله الأهم - ألا وهو أن الصراع بين اليهود والمسلمين سيبقى إلى يوم

القيامة. وكلما خمدت جذوة الصراع في منطقة أو في عصر من العصور سيتجدد في

مكان آخر وفي أزمنة متلاحقة وفي صور شتى إلى أن تكون الملاحم والمعارك

الفاصلة قبيل قيام الساعة (حتى يقاتل المسلمون اليهود فينادي الحجر والشجر يا

مسلم يا عبد الله إن خلفي يهودياً فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)^(١).

إن أمماً كثيرة وجدت وحكمت وكانت لها صولات وجولات وحضارات في

التاريخ، ولكنها اندثرت واندثرت معها حضارتها ومبادئها وعقائدها ولم يبق إلا

الحديث عنها، وقلما اندثرت حضارة ثم تجددت وقامت على الأسس السابقة فتية

(١) صحيح مسلم: كتاب الفتن ١٨٨/٨، صحيح البخاري، كتاب المناقب ٤/١٧٥ ومسند الإمام

أحمد ٦٧/٢.

نشطة إلا حضارة المسلمين فإن الله تكفل لهم البقاء وأخبر الرسول ﷺ: (أن الله يبعث لهم من يجدد لهم أمر دينهم على رأس كل قرن)^(١).

والإمام اليهود فقد دلت النصوص على أن حضارتهم ستتجدد بين الحين والآخر ولكنها حضارة ذات مواصفات خاصة وأهداف خاصة باليهود.

إن قضية الصراع بين اليهود والمسلمين صراع ممتد إلى قيام الساعة وسنة الله في التدافع بين الحضارتين بارزة لا تخفى على من تتبع آيات القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ.

هذا السبب دفعني أن أقوم بهذه الدراسة القرآنية بعنوان [معالم قرآنية في الصراع مع اليهود].

والموضوع متشعب الأبعاد في تصوري إلا أنني لن أطيل النفس في الجوانب التاريخية القديمة بل أحاول التركيز على المزايا والخصائص العامة التي نستنبطها من تاريخهم القديم، لنستشف من خلالها ما ينير لنا الطريق في يومنا هذا وفي مستقبل الأيام وبخاصة ونحن على أبواب عهد جديد في الصراع مع اليهود يحاول بعض من ينتسب إلى الإسلام أن يغير حقائق القرآن في اليهود، ويزيل من نفس المسلم ذلك الانطباع الذي يصبغه به القرآن منذ نعومة أظفاره وهو يتلو آيات القرآن الكريم ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢] ويتلو قوله تعالى عنهم ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

في هذا الوقت العصيب الذي تمر به أمة الإسلام، وقد ادلهمت الخطوب من حولها واشتدت وطأة الأعداء عليها من كل جانب، وبدأت مخططات الأعداء من اليهود والنصارى والوثنيين والملاحدة تنفذ بأيدي أبناء المسلمين ممن يحملون أسماء المسلمين ويتكلمون بلغتهم ويحملون ألوان بشرتهم وسحن وجوهم، ولكن قلوبهم مغلقة مجخية^(٢) لا يصل إليها نور الإيمان وقد أشربت حب الكفر وأهله ولقنت عداة الإسلام وأهله. فأصبحوا سياتراً لاهبة على أجساد المسلمين. ووصل الأعداء عن طريقهم إلى ما لم يصل إليه العدو نفسه وبدأت الخطوط العريضة للمؤامرة اليهودية تتضح معالمها، وبدأ قتم العاصفة يلوح في الأفق وبدأت أشباح فرسان المؤامرة تظهر، فكانت الشعارات واللافتات سريعة القلب حسب المراحل التي تقتضيها رسوم القضية وتضاريس ألوانها وأصبغة الوجوه على القائمين بأدوارهم ولعل أبرز هذه المراحل تتضح من خلال:

(١) انظر مختصر سنن أبي داود، كتاب الملاحم ٦/١٦٣.

(٢) المراد بمجخية: المجخي: هو المائل عن الاستقامة والاعتدال، انظر النهاية لابن الأثير ١/٢٤٢.

- إبعاد قضية الوجود اليهودي في المنطقة من أيدي المخلصين من أبناء المسلمين .
- إيجاد الدويلات الهزيلة المحيطة بإسرائيل ليتولوا حماية حدودها^(١) .
- تسليط حكام الدويلات تلك على المسلمين وإذاقتهم ألوان العذاب كلما ارتفع لهم صوت ضد اليهود .
- بعد إلحاق الهزائم المتكررة بالجيوش العربية التي كانت ولا زالت تدار بأيدي سماسرة السياسة الذين يتلقون أوامرهم من أعداء الإسلام، أدخلوا اليأس في قلوب المسلمين من الحل العسكري وأن لا قدرة على مواجهة إسرائيل .
- الدخول في المفاوضات الاستسلامية مع إسرائيل ابتداء من كامب ديفيد إلى مدريد إلى جولات واشنطن إلى المفاوضات السرية في أوسلو . ليتم الاعتراف بإسرائيل . وتعطى الصك الشرعي بامتلاك إسرائيل لكامل تربة فلسطين وإلى الأبد . ولكن إسرائيل تدرك أن حفنة الحكام هؤلاء لا يمثلون شعوبهم وأن الكلمة النهائية للمسلمين، فلا تقبل هذه التنازلات منهم ولا تعترف بتواقيعهم على صكوك الاستسلام . وإنما تريد التطبيع مع الشعوب وأن يقبلها الناس كل الناس كإحدى دول المنطقة، واقترح الخطوات التنفيذية في ذلك مثل توجيه الإعلام إلى عدم ذكر كلمة العدو الإسرائيلي، وإلغاء المقاطعة الاقتصادية، وتبادل التمثيل الدبلوماسي، وإلغاء النصوص التي تطعن في اليهود في مناهج التعليم ولو كانت هذه النصوص من القرآن والحديث النبوي، وتسخير أقلام الأدباء والمفكرين لذكر المنافع الاقتصادية من تطبيع العلاقات مع إسرائيل... إلخ المقترحات التي لا نهاية لها .
- وقد بدأ التنفيذ فعلاً...

ولكن إن لهذا الدين رباً يحميه، ولا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم . وعلى رأسهم العلماء العاملون الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق ليبينوا للناس ما أنزله في كتابه . وأن لا تأخذهم في الحق لومة لائم . والأصوات ترتفع من أنحاء العالم الإسلامي مستنكرة محتجة، ولكن هذه الأصوات تخبت ولا تستطيع للآن أن تشكل هديراً مدوياً يعم آذان المتأمرين ولا تستطيع أن تحيل الدوي إلى زلزال يهز الأرض تحت أقدام المأجورين فكانت هذه الدراسة مساهمة لتأصيل هذه الصرخات وتقوية هذا التيار، وبيان سنن الله الاجتماعية، في هذا الصراع الذي سيستمر إلى قيام الساعة مع اليهود .

المؤلف

(١) انظر المخطط الإسرائيلي لهذه الدويلات في كتاب خنجر إسرائيل وهو تقرير سري نشر في

الخمسينيات الميلادية من هذا القرن وتسرب إلى الإعلام .

منهجي في البحث

أولاً: التركيز على القضايا العامة:

في هذه الدراسة التركيز على القضايا العامة التي يشترك فيها بنو إسرائيل عامة. أما القضايا الخاصة بأفراد مثل قصة قارون والسامري فمثل هذه الانحرافات وإن كانت تدل على شريحة من اليهود تأصلت فيهم هذه المعاني إلا أن القرآن الكريم لم يعمم المؤاخذة عليهم بسبب أمثال هؤلاء أما في قضايا أخرى فإننا نجد القرآن الكريم خاطب بني إسرائيل عامة وإن كانت وقعت من فئة منهم فيدل ذلك على أن المتأخرين منهم مؤيدون لهم وعلى شاكلة السابقة، قضية ذبح البقرة وقضية عبادة العجل، وقضية طلب رؤية الله جهرة، وقضية الطلب أن يجعل لهم آلهة كما لغيرهم آلهة وأصنام...

كلها قضايا جاء الخطاب فيها بصيغة التعميم ومؤاخذة اليهود والمعاصرين لرسول الله ﷺ على تلك الأفعال التي وقعت من متقدميهم علماً أن المبدأ الشرعي في المحاسبة ﴿أَلَا نُنزِرُ وَزْرًا وَنَزَّ نُزْرًا﴾ (النجم: ٣٨). ﴿سَعَى﴾ (النجم: ٣٩).

ولكن المبدأ الآخر لو تمالأ قوم بالتأييد والتنفيذ على أمر أوخذوا جميعاً^(١). فهذا يدل على أن المتأخرين من اليهود كانوا مؤيدين لأفعال أسلافهم فشاركوهم في المآثم.

(١) القاعدة مأخوذة من القاعدة الشرعية: لو تمالأ قوم على جريمة أخذوا جميعاً بها. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه (لو تمالأ - أهل صنعاء - لقتلتهم جميعاً) انظر الموطأ للإمام مالك ٢/٨٧١، كتاب العقول.

وما ذاك إلا أن السابقين حرفوا وبدلوا وكتبوا ما أملت عليهم أهواؤهم وورثها المتأخرون فأخذوها مسلمة من غير تمحيص وتدقيق ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

بل إن هذه الكتابات التي كتبها بأيديهم ومنها (التلمود) لا يزال يشكل الأساس التربوي والمنطلقات الفكرية التي يتربى عليها أجيال اليهود إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله من الأجيال...

ثانياً: النقل من كتب اليهود:

وما دامت الدراسة حول اليهود ومعتقداتهم وأخلاقهم وشرائعهم وشروحيهم للتوراة وتحريفاتهم لها، سأضطر إلى النقل عن كتبهم ولكنني حاولت جهدي أن أنقل من كتبهم مباشرة فإن لم أتمكن فقد حاولت النقل من الكتب التي نقلت من المصادر اليهودية وأشارت إلى المصدر وحددت الجزء والصفحة.

أما الذين نسبوا كلاماً إلى بني إسرائيل أو إلى اليهود من غير تحديد المصدر فقد حاولت جهدي أن لا أنقل مثل هذا النص وذلك حرصاً على أن يكون النقل دقيقاً يمكن التحقق من وجوده في المصادر اليهودية.

ثالثاً: منطلق البحث قرآني المنزع:

أشغلت الدراسات حول اليهود حيزاً كبيراً في المكتبة المعاصرة وأغلبها ينصب على الجانب التاريخي من حياة اليهود، وكما ينصب قسم منها على كتبهم المقدسة وعقائدهم فيها...

والمؤلفون المسلمون كتبوا قديماً وحديثاً عن اليهود وعقائدهم وأخلاقهم وشرائعهم، وكانت منطلقاتهم في الغالب تنصب على كتب اليهود والدراسات التي أجريت حولها قديماً وحديثاً وقليل من الباحثين الذين انطلقوا في دراستهم عن اليهود من المنطلق القرآني بأن يجعلوه الأساس الذي يبنون عليه دراستهم عن اليهود وأرى أن المنطلق القرآني في الدراسة هو الأسلوب الوثائقي الصحيح

والدقيق فكما أن أصل الديانة اليهودية وأصل كتبهم وأنبيائهم لا يستطيع أحد أن يوثق وجودها ووقائعها توثيقاً علمياً بحيث لا يتطرق إليه الشك بمعزل عن الرجوع إلى القرآن الكريم، فكذلك عقائدهم وانحرافاتهم ومواقفهم من أنبيائهم وشرائعهم لا يمكن أن تثبت بشكل دقيق وصحيح بمعزل عن القرآن الكريم.

لذا فقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمه، فيدعى محمد وأمه، فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ قال عدلاً «لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً»^(١).

لقد نزل بالأمم والشعوب من الكوارث والأحداث ما تسبب في ضياع كثير من شؤونها وطمس معالم حضاراتها، فلا يستطيع أحد أن يثبت معالم تلك الحضارات. وعلم الآثار وعلم التاريخ أعجز أن يسجل دقائق الأحداث والوقائع كما جرت، فليس كل الأمور تكتب على الآثار، وليس كل الأحداث الصغيرة في حياة الشعوب تدون في سجلات التاريخ، حتى وإن سجلت فكثيراً ما تعرض للزيف والتحريف والتشويه عن قصد وعن غير قصد، وربما دونت الأحداث التاريخية بعد فترة طويلة من الحادثة كما حدث لتاريخ بني إسرائيل في التلمود وما دون من سير بني إسرائيل فقد دون بعضها بعد أكثر من أربعة عشر قرناً وبعضها دون بعد ميلاد المسيح عليه السلام، وحتى بعد التدوين تعرضت كثيراً للتحريف والتبديل.

إلا أن النص الوثائقي الذي لم يتطرق إليه الشك هو النص القرآني الذي تكفل الله جل جلاله بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(١) أول الحديث رواه الإمام مسلم، كتاب الإيمان ١/١٣٨.

فعلى الرغم من طروء أحداث تاريخية جسام على الأمة الإسلامية إلا أن القرآن الكريم بقي مصوناً محفوظاً في الصدور مدوناً في السطور لم تطله أيدي المحرفين بفضل أسلوبه المعجز...

لذا فإن منطلقنا في هذه الدراسة من النص القرآني يجعله الأساس الثابت والقاعدة الأصيلة في إثبات الواقعة، ثم تأتي الشواهد على تلك القاعدة أو الواقعة المذكورة في القرآن الكريم من الحدث التاريخي أو من كتب بني إسرائيل أو من الدراسات التي قام بها غير علماء المسلمين، وذلك لإقامة الحججة على اليهود على قاعدة (من فمك أدينك) قليل من الباحثين من سلك هذا الأسلوب في البحث عن اليهود من منطلق قرآني.

وقد يورد بعضهم نقداً لهذا الأسلوب ويتهم المنهج بعدم موضوعيته وكونه منحازاً لأن الصراع في الأصل بين المسلمين وبين اليهود فكيف يكون كتاب المسلمين الأول حجة على خصومهم...

إننا نبين من خلال البحث بإذن الله، كيف أن الدراسات المحايدة التي أجريت كلها متطابقة مع ما جاء في القرآن الكريم عن اليهود، وكذلك سنورد الأدلة الكثيرة على الإنصاف الذي نلمسه في آيات القرآن الكريم عند الحديث عن اليهود، فعندما كانوا على النهج الصحيح في زمن موسى عليه السلام كيف تحققت فيهم الخيرية وفضلوا على العالمين. وجاء الثناء على مواقفهم، ولكن عندما بدأ التحريف والكتمان والتلاعب بشرائع الله ذكروا بما فيهم فكان الحق والعدل والإنصاف ملازماً في كل الأحوال لأحكام القرآن الكريم.

لعل وجهاً من وجوه إعجاز القرآن الكريم يبرز من خلال سرد الوقائع التاريخية المسلم بها عند الباحثين عندما نلمس ذلك وقد أوردها القرآن الكريم وقررها ووجه الأنظار إلى تلك الوقائع بأبعادها وشخص أفرادها وحوار أطرافها وكأن القارئ والمستمع لآيات القرآن الكريم يعايش الواقعة أو يشاهدها.

من أجل ذلك كانت دراستنا هذه دراسة قرآنية ومن ألوان التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

بين يدي المعالم مصطلحات وتعريف

كتب اليهود المقدسة ومدى صحة نسبتها إلى الوحي وبعض المصطلحات الخاصة بهم:

١ - أساس شريعة اليهود التوراة بأسفارها الخمسة:

التكوين، الخروج، اللاويين (الأخبار)، العدد، التثنية (الاشتراع)، أو تثنية الاشتراع).

ويعتقدون أنها أوحيت إلى موسى من ربه على جبل الطور في سيناء، فسلمها إلى قومه مكتوبة كما تلقاها.

٢ - التلمود: تطلق كلمة التلمود أو التلموذ على شروح وحواشي التوراة فقد كتب تفسير للتوراة أولاً وأطلق عليه (المشناة) وكتب شرح المشناة وأطلق عليه (الجمارة) ويطلق اسم التلمود على المشناة والجمارة معاً، وقد يطلق اسم التلمود على الجمارة وحدها أحياناً^(١).

فتعتبر التوراة متناً والمشناة شرحاً عليها والجمارة حاشية على الشرح.

٣ - التلمود بقسميه من عمل الطائفة الفريسية - وهي أشد الطوائف اليهودية عنصرية وتعصباً وهم يقدسون التلمود كالتوراة أو أشد، ويقولون إن التوراة وحدها لا تغني ولا تصلح دون المشناة والجمارة.

والتلموديون يعتقدون أن شريعتهم قسمان: مكتوبة وشفوية، فالمكتوبة

(١) انظر مقدمة كنوز التلمود ص ١١.

هي التوراة بأسفارها الخمسة، وإنما سموها مكتوبة لاعتقادهم أن موسى تلقاها وحيًا مكتوبًا، وكذلك أخذها عنه قومه.

أما الشفوية فهي محتويات المشناة^(١).

٤ - السنهدين: أي المحكمة العليا، وهي الرسالة الرابعة من أقسام المشناة وفيها الجزاءات أو العقوبات والتعويضات والباب الرابع بفصوله الأحد عشر يوضح تشكيل السنهدين ونظامها وسلطاتها^(٢).

والتلمود يعتمد عليه اليهود أكثر من اعتمادهم على التوراة، وجاء في تعليقات كثيرين من حاخاماتهم أنه لا يقبل دين من لم يعمل بالتلمود جاء عن أحد حاخاماتهم: (إن من يقرأ التوراة بدون المشناة والجمارة فليس له إله). وجاء في كتاب (حاجيا):

(من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى)^(٣).

٥ - الدياسبورا: هي أراضي الشتات أو المنفى.

٦ - الجيتو: هي الأحياء الخاصة باليهود في مدن العالم.

٧ - الجويم: هم الأميون - أي غير اليهود، غير أهل الكتاب - ويسميهم اليهود الأميون - أي المنسوبون إلى الأمم الأخرى غير اليهود.

٨ - الإشكنازيم هم اليهود الغربيون الذين قدموا إلى فلسطين من أوروبا بما فيهم يهود بحر الخزر وروسيا.

٩ - السفارديم هم اليهود القادمون من الدول العربية إلى فلسطين وكذلك من الدول الآسيوية والأفريقية.

(١) مقدمة كنوز التلمود ص ١٤.

(٢) المرجع السابق ص ٢١.

(٣) الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٥٠، ٥١.

١٠ - يهوه: هو إله اليهود الخاص بهم، وهو الذي اختار اليهود ليكونوا أبناءه وفضلهم على الناس بزعمهم.

١١ - الراييون: جمع رابي هو رجل الدين اليهودي.

اختلاف اليهود والنصارى في أسفار العهد القديم:

من المعلوم أن اليهود يعتبرون أن كتبهم المقدسة هي التوراة ويسموننها العهد القديم، وشروح التوراة وحواشيها، ويطلقون عليها اسم التلمود، وهي المكونة من المشناة والجمارة ويعتبرون التلمود لا يقل قدسية عن العهد القديم، لأنها فهم أحبارهم من التوراة أما النصارى فلا يعترفون بغير العهد القديم أما التلمود فلا يعتقدون فيه القدسية بل يعتبرونه باطلاً لأنها تمثل أهواء بني إسرائيل وتحريفاتهم للتوراة.

إلا أن الكنائس النصرانية تختلف بين بعضها في حجم العهد القديم وعدد أسفاره.

فالكنيسة الكاثوليكية تقر جميع الأسفار والأجزاء التي وردت في الترجمة اللاتينية عن الأصل العبري وتزيد عن هذا الأصل، وتعتبرها كلها أسفاراً وأجزاء مقدسة وتعتبرها من أسفار العهد القديم وأجزائه.

إلا أن الكنيسة البروستانتية لا تعتبر الزيادات التي جاءت في الترجمة اللاتينية مقدسة ولا تعتبرها من العهد القديم.

أما الفرقة السامرية - التي انقرضت تقريباً - فلا تؤمن إلا بسبعة أسفار من العهد القديم والجديد وهي أسفار موسى الخمسة وسفر يوشع وسفر القضاة، وتنكر ما عدا ذلك^(١).

(١) الأسفار المقدسة، علي عبد الواحد وافي ص ٢١.

اليهود والوحي المنزل على موسى عليه السلام

نسبة ما يكتبه أحبار اليهود إلى الوحي السماوي:

يقول الله عز وجل عن أحبار اليهود: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَطْنُونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْتُسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٨، ٧٩].

- جاءت الآية الكريمة في سياق بيان انحرافات بني إسرائيل عن الحق الذي جاءهم به موسى عليه السلام، وكيف تأمروا فأخفوا بعضه وكتموه بعد أن علموا شرائعه ولكن لم يوافق أهواءهم فأخفوه عن الناس يقول جل من قائل: ﴿أَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضُوبِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٥، ٧٧].

- وكانوا أحياناً يكتبون أشياء من التوراة ويدسون بين آيات التوراة كلاماً من عند أنفسهم ثم يلوون ألسنتهم بها ليظنها السامع أنها من التوراة يقول الله جل جلاله ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤْنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

- ولم يترك اليهود شيئاً من أحكام التوراة يخالف أهواءهم إلا حرفوه وبدلوه ولم يتركوا إشارة أو دلالة صريحة أو ضمنية يمكن أن يستدل منها على الأنبياء وشرائعهم التي تأتي بعد شريعة موسى عليه السلام إلا طمسوه أو حرفوه وأخفوه عن الأعين:

يقول جل جلاله: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَسُوءَ حَضًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ نَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: ١٣].

ويقول أيضاً: ﴿يَتَاهَلَّ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٥].

لقد جاء هذا الخطاب وغيره لليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ علماً أن التحريف والتبديل والإخفاء كان في أجداد هؤلاء، ربما كان الإخفاء والتبديل في عصر هؤلاء أقل من السابقين، إلا أن الخطاب شملهم مع السابقين لأنهم كانوا يسيرون على منهج أسلافهم ورضوا بما وجدوه بين أيديهم ولم يحكموا عقولهم فيما بين أيديهم من القضايا المناقضة للعقل، المستحيلة على الرب الذي وصفوه بأوصاف يترفع عنها الإنسان السوي، وشوهوا في كتبهم الموضوعية سير الأنبياء والمرسلين الأطهار الأبرار، فاستحقوا لعنة الله وغضبه كما بآء به أسلافهم المبدلون لشرائع الله.

لقد دلت الدراسات التي أجريت على الكتاب المقدس وشروحه وحواشيه، أنها كتبت بأقلام اليهود في عصور متأخرة عن موسى عليه السلام يقول في ذلك الدكتور علي عبد الواحد وافي: «ظهر للمؤرخين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار - أسفار العهد القديم - وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتساير، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألقت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير - وعصر موسى يقع على الأرجح

حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد - وأن معظم سفري التكوين والخروج قد أُلّف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد، وأن سفر التثنية قد أُلّف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد، وأن سفري العدد واللاويين قد أُلّفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد النفي البابلي الذي يعرف بإجلاء بني إسرائيل إلى بابل سنة ٥٨٧ قبل الميلاد - وأنها جميعاً مكتوبة بأقلام اليهود، تتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة والتي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل... فهي إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر القرآن أنها كتاب سماوي مقدس أنزله الله على موسى^(١).

ويقول أيضاً «... وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسماً من الأسفار الأخرى للعهد القديم قد أُلّف في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل القرن السادس قبل الميلاد... وأن قسماً آخر قد أُلّف في الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد»^(٢).

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الأوضاع غير المستقرة لليهود وتعرضهم للتشريد والسي والقتل، خلال هذه القرون المديدة، فكيف يمكن أن تحفظ من الضياع والتلف والزيادة والنقص، هذا إن لم تكن هناك رغبة من القائمين على شؤونهم الدينية في الزيادة والنقص والتبديل أما الأسفار الخفية فلها شأن آخر.

فقد قرر أحبار اليهود منذ القديم أن لا يطلعوا عليها عامة اليهود فضلاً عن غيرهم، ولم يضعوها بين أسفار العهد القديم، ولكن يعطونها القدسية مثل أسفار العهد القديم^(٣).

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ١٥].

(١) الأسفار المقدسة، علي عبد الواحد وافي ص ١٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٨.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣.

قصة البروتوكولات

كان (آدم وايزهاويت) أحد رجال الدين المسيحيين، وأستاذ علم اللاهوت في جامعة (أنغولد شتات) الألمانية، فأدى تعمقه في دراسة النصرانية على إثارة الشكوك حول الكتاب المقدس، ولم تقنع عقله ولم يدخل اليقين على قلبه، فألحد وكفر بالنصرانية، وكان ذا عقلية تنظيمية ودراسات أكاديمية فاتصل به أبالسة اليهود ليستغلوا طاقاته العقلية وقلقه النفسي وأغروه بالمال والمنصب والجاه وإفساح المجال أمامه من خلال الماسونية العالمية، فكلفوه بمراجعة بروتوكولات حكماء صهيون القديمة - وكانت أفكاراً مبعثرة وأماني شريرة لإفساد العالم - وطلبوا منه إعادة تنظيمها وصياغتها على أسس حديثة وعبارات براقية، وأسلوب منطقي ليكون دستور المحافل الماسونية والمدارس الصهيونية التي تربي عليها الأجيال ويسعون في تطبيقها، كان ذلك عام ١٧٧٠ م.

وقام (آدم وايزهاويت) بهذه المهمة بشكل أذهل رؤوس الشر من اليهود وأنهى الصياغة عام ١٧٧٦م. ومكافأة له على إنجاز هذا العمل الضخم أسندت إليه رئاسة المحفل الماسوني، وأسس جماعة باسم (جماعة حكماء صهيون) وادعى وايزهاويت أنه يسعى لإقامة حكومة عالمية واحدة مؤلفة من الأشخاص ذوي الطاقات الفكرية الكبرى والعبقرية النادرة.

وكان بذلك يشبع إلحاده الداخلي بحيث يدمر الديانات كلها، ويسعى لإقامة حكومة تخطط للعالم أجمع وفق أهوائه. ووجد فيه اليهود ضالتهم في تدمير الديانات وتسخير هذه الطاقات الفكرية العالمية لمآربها الخاصة.

واستطاع وايزهاويت أن يضم إلى محفله أكثر من ألفين من أبرز المتفوقين في ميادين العلم والاقتصاد والسياسة والصناعة وأساتذة الجامعات.

فكان أن تأسس بالتالي (محفل الشرق الأكبر، يستقطب الجمعيات الماسونية في العالم يسيرها حسب مشيئته)^(١).

وتبنت المحافل اليهودية هذه البروتوكولات، وسعت إلى تنفيذها. وكان من أبرز المحافل والمؤتمرات التي عملت على تبنيها وتطبيقها المؤتمر الصهيوني المنعقد في بال بسويسرا عام ١٨٩٧م. وبذلك خطا اليهود الخطوة الأولى في علو بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض للمرة الآخرة.

(١) انظر كتاب: اليهود وراء كل جريمة بتصرف واختصار ص ١٢ وما بعدها.

توطئة

في تربية الأمة الإسلامية تربية ربانية من خلال الاتعاظ بأحوال الأمم

من المعلوم لدى علماء هذه الأمة والمشتغلين منهم بتفسير القرآن الكريم وعلومه أن القرآن الكريم نزل أول ما نزل في مكة المكرمة (وتسمى المرحلة المكيّة) يبين معتقدات الأمة ويبني الشخصية الإسلامية المتميزة عن غيرها بفكرها وسلوك أفرادها، وبقي القرآن المكي مدة ثلاثة عشر عاماً يرسخ هذه العقيدة ويبلور هذه الأخلاق ويدعو إلى أمهاتها.

واتبع القرآن الكريم الأساليب المختلفة الكفيلة بتحقيق تلك الأهداف فمن أسلوب النظر إلى ما في الكون المحيط، إلى تلك العبارات العنيفة التي تشد انتباه المخاطب إلى ما يلقي إليه من كلام كأساليب الاستفهام والتعجب والردع والقسم وتلوين الخطاب من الغيبة إلى الحضور ومن المفرد إلى المثني والجمع، ومن أسلوب القصة إلى الخطاب المباشر من الأمر والنهي...

كل ذلك لترسخ عقيدة التوحيد في مكامن النفس المؤمنة لتتطهر من عقابيل الشرك والوثنية، ولتنبثق من هذه العقيدة أخلاق الإسلام لتصيغ سلوكاً فريداً سامقاً نظيفاً نقياً.

ومن خلال عرض هذه العقائد وبيان سلوك أتباعها جرى ذكر الأمم السابقة ومنهم اليهود. الذين اختارهم الله لحمل رسالته فترة من الزمن وأناط بهم مسؤوليتها ولكنهم تقاعسوا وانحرفوا.

ومن خلال استعراضنا لحديث القرآن المكي عن اليهود نجد الاقتصار الجديد

على القضايا العقدية أيضاً، مجابتهم لأنبيائهم فيها كما نجدتها في سورة الأعراف وطه أما تحريفاتهم للشرائع والأحكام التفصيلية. وكتمانهم أمر رسول الله ﷺ وتأميرهم عليه فتأتي في السور المدنية مفصلة.

وهذا التدرج منسجم تمام الانسجام مع أسلوب القرآن الكريم العام في بناء الشخصية الإسلامية وإقامة صرح المجتمع الإسلامي، فما بيان مواقف اليهود من عقيدة التوحيد والإيمان باليوم الآخر وصلتهم بأنبيائهم إلا توضيح لحقيقة التوحيد والبعث بعد الموت وتفصيل لمهمات الأنبياء والمرسلين فتناول هذه الأمور من خلال الحديث عن اليهود رافد من روافد المعرفة الحققة لبناء الشخصية الإسلامية المتميزة من خلال التحذير مما وقع فيه المحرفون المضللون.

وفي المرحلة المدنية التي كانت فيها مهمة البناء والصيانة والحماية تشغل الحيز الأكبر في الآيات القرآنية يأتي دور الاستقامة على شرائع الله والأخذ بها بحزم وعزم وترك الروغان تجاهها. كان النموذج الذي يبين تخاذل المدعويين وتقاعسهم عن التطبيق وحمل الأمانة على الوجه الصحيح يأتي بيان هذا النوع من خلال مواقف اليهود في تطبيق شرائع التوراة كما تعرضها سورة البقرة وسورة النساء والمائدة وكلها سور مدنية.

إن الحديث عن اليهود يتلاءم في كل مرحلة من الدعوة الإسلامية مع متطلبات المرحلة من بناء وتكوين وصيانة وحماية، فهم النموذج المنحرف الذي يساق لأخذ العبرة من انحرافاتهم. ولا شيء يعطي العظة للمتعظ كأسلوب الضال وسلوكه.

والسؤال الذي قد يثور في الأذهان، أما كان الأولى والأجدي عدم التعرض لليهود في المرحلة المكية حيث لم يكن لهم وجود فيها ولم يكن للمسلمين احتكاك بهم، فهلا تركوا فتح هذه الجبهة إلى حين؟ ليوحدا جهودهم ضد المشركين، وخاصة أن المسلمين في مكة كانوا مستضعفين يخافون أن يتخطفهم الناس من حولهم.

لو كان الأمر متروكاً للاجتهاد البشري لكان هذا التفكير مستساغاً مقبولاً، بل ربما كان من لا يأخذ به يتهم بالتسرع وقلة البصيرة.

أما وأن التخطيط رباني وتحديد الجبهات والمراحل كلها تنزيل من العزيز الحكيم، فلا شك أنها لحكم عظيمة وغايات كبيرة، ولعل للجانب التربوي للشخصية الإسلامية وترسيم معالم البناء الاجتماعي للأمة الإسلامية دوراً هاماً فيها، ومما نستلهمه من الهدايا التربوية التي نستشفها من ثنايا آي الذكر الحكيم:

١ - بناء الشخصية الإسلامية بناءً متميزاً عما سواها من الشخصيات التي صاغتها بيئات مختلفة وتحت تأثيرات وضغوط اجتماعية منحرفة عن منهج الله تعالى، حيث كانت الضغوط في الساحة من موروثات الجاهلية بخرافاتها وأساطيرها وأثقالتها وأوزارها.

وكانت اليهودية بحقدتها وبغيها وانغلاقها وعنجهيتها واستغلالها وجشعها التلمودي وكانت النصرانية بضلالها وميوعتها وتفاهتها وقد انطمت معالم أتباعها هي المؤثرات في الساحة وهي مصادر المعرفة لتكوين الشخصية الإنسانية في ذلك الوقت.

والقرآن نزل ليكون خير أمة أخرجت للناس، لها مقوماتها الذاتية ومصادر المعرفة، فلا بد من توحيد مصدر المعرفة لديها ولا بد من تجفيف المصادر التي تنزف الدخن والخبث، لكي تكون الأمة عارفة بشرعتها ومنهاجها.

ولقد نزل من أوائل ما نزل في المرحلة المكية سورة الفاتحة^(١)، وفيها التضرع إلى الله تعالى بهداية المؤمن إلى الصراط المستقيم، وتجنبه صراط المغضوب عليهم وهم اليهود - وصراط الضالين وهم النصارى - كما جاء في حديث عدي بن حاتم^(٢).

(١) يقول أهل التفسير: لم تكن صلاة بدون فاتحة الكتاب ومن المعلوم أن الصلاة فرضت في الأيام الأولى من البعثة كما أشارت إلى ذلك سورة العلق والمزمل وسورة المدثر وهي من أوائل ما نزل من القرآن.

(٢) مسند الإمام أحمد ٤/٣٧٨.

فتحديد هذا النهج وبيان الصراط المستقيم يستدعي بيان المناهج الضالة حتى تتجنب السبل الأخرى المتفرقة التي تؤدي بصاحبها إلى المزالق والمهالك، فكان التعرض لعقائد اليهود وانحرافاتهم ومواقفهم مع أنبيائهم أمراً تقتضيه دواعي التكوين للشخصية الإسلامية المتميزة.

٢ - لو بدأت المعركة مع اليهود مع بداية المرحلة المدنية لقال بعض المتقولين إن محمداً أخذ من اليهود ما احتاج إليه ثم حسدهم وناصرهم العداة بعد الاحتكاك بهم، فعلى الرغم من الهجوم القرآني عليهم وعلى زيفهم وانحرافهم وكتمانهم الحق وقتلهم الأنبياء منذ بداية البعثة، فقد قال من قال في زماننا هذا ما قالوه إن محمداً أخذ علومه من اليهود، فكيف لو تأخر بيان ذلك إلى المرحلة المدنية.

كما أن المؤمن قد أعطي علاجاً وقائياً لما قد يتعرض له عند الاطلاع على ما عند اليهود في المرحلة المدنية، فيعلم أن اليهود لن يكونوا صادقين مع المسلمين، وقد خانوا العهود والمواثيق التي أخذها عليهم ربهم، وأشهد عليهم أنبياءهم فعجزوا وفسقوا وغيروا وبدلوا فلا أمان لهم...

ولكي يعلموا طوية النفس اليهودية التي تربت على اللؤم والحقد وحب الإفساد في الأرض فلا يثق المؤمن بهم ويكون على حذر منهم عند التعامل معهم، وينفر من هذه الشخصية الملتوية الحقودة أشد النفور.

٣ - ولتعلم الأجيال الإسلامية اللاحقة من خلال الآيات المكية أن معركتنا مع اليهود معركة مستمرة بغض النظر عن المواقع التي يحتلها كل من الطرفين وليستشفوا من خلال الآيات القرآنية أن المعركة معركة المنهج الرباني والصراط المستقيم ضد المناهج البشرية الجاهلية المحرفة لكلمات الله، الساعية للإفساد في الأرض^(١).

(١) انظر معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٧٨ - ٧٩.

الباب الأول

المنهج القرآني في عرض قضايا بني إسرائيل

تحدث القرآن الكريم عن بني إسرائيل طويلاً في سور كثيرة بلغت خمسين سورة في المرحلة المكية التي لم يكن هناك أي احتكاك بين المسلمين وبين اليهود وفي المرحلة المدنية التي كان فيها لليهود دور كبير في محاولة إطفاء نور الله والقضاء على دعوة الإسلام وعلى حياة رسول الله ﷺ.

ولم تحظ ملة من الملل ولا قوم من الأقوم بالحديث عنهم بمثل هذا الشمول وهذه التفصيلات ما حظي به اليهود.

وحديث القرآن عنهم يتسم بمنهج دقيق يتناسب مع المراحل الدعوية التي مرت بها دعوة الإسلام ويمكن عرض هذه المراحل في فصلين اثنين:

الفصل الأول: في المرحلة المكية.

الفصل الثاني: في المرحلة المدنية.

الفصل الأول

في المرحلة المكية

إن أية دعوة إصلاحية تقوم في مجتمع ما تستهدف تغيير الأسس الاجتماعية وإقامته حسب مفاهيم جديدة تقابل عادة بالمراحل التالية:

أ - مرحلة عدم الاكتراث بها واللامبالاة:

إذ إن القوم تشغلهم مصالحهم - وخاصة قياداتهم الاجتماعية - وأهواؤهم فلا يلتفتون لصوت خافت مغمور في بدايته، وإذا نقلت إليهم أنباء ظهور الدعوة الجديدة لم يلتفتوا إليها وإنما يقولون مالنا ومالها إنها ستذهب وتنقرض كما ذهب غيرها فتركه لحوادث الدهر ونوائبه وهذا ما تصوره لنا آيات سورة الطور وتعتبر السورة من سور المرحلة المكية الأولى في الدعوة ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْتَبِّينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الطور: ٣٠ - ٣٢].

وعلى الرغم أن الآيات المكية في هذه المرحلة كانت توجه إلى المجتمع الجاهلي الوثني وتوجه إليهم النذر كالشهب اللامعة وكالصواعق المدوية لتوقظهم من السبات العميق الذي كانوا فيه، ومن الغفلة الطويلة التي استمروا عليها أجيالاً، فإن الآيات المكية في هذه المرحلة لم تخل من مثل هذه الإشارات المقترضبة التي تشير إلى اليهود وذلك لتحقيق غرضين أساسيين:

أولهما: بيان أن دعوة الرسول ﷺ ورسالته ليست بالرسالة المبتدعة بل تقدمه الأنبياء والمرسلون إلى أقوامهم وحملوا مشاعل النور والهداية إلى شعوبهم، فليرجعوا إلى سير الأولين ويستقرئوا أحداث التاريخ إن كان قصدهم الحق واتباعه والاهتداء إليه.

ثانيهما: لبيان أن غفلة المشركين عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ وعدم اكتراثهم به وبدعوته له نماذج بشرية تقدمتهم مثل عاد وثمود وفرعون وبني إسرائيل وقوم تبع، وأصحاب الرس.

اقرأ معي تلك الإشارات في قوله تعالى في سورة المزمل - وهي السورة الثالثة في ترتيب النزول^(١) ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَنْفَوْنَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْمَعُ الْوَالِدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ أَلَسْمَاءَ مِنْفَطِرٌ بِهِءٌ كَانَ وَعَدُّهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ [المزمل: ١٥ - ١٩].

وكما قلت لئن كانت بنية المجتمع وثنية في مكة في ذلك الوقت إلا أن الإشارات إلى أهل الكتاب والاستدلال بما عندهم من العلم وأن ما جاء به محمد ﷺ موافق لما معهم - من الذي لم يغيروه ولم يحرفوه - كان يرد كأسلوب من أساليب الدعوة لإدخال الطمأنينة إلى قلوب المؤمنين بالدعوة الجديدة فإن النفس الإنسانية تأنس بالفئات والطوائف والأقوام إذا كانت متقاربة المشارب في العقائد والأخلاق والسلوكيات، وانظر إلى ما ورد في ثانيا سورة المدثر وهي السورة الرابعة^(٢) في ترتيب النزول يقول جل جلاله في معرض الحديث عن الوليد بن المغيرة وكلمته الباطلة عن القرآن الكريم وعن رسول الله عندما اجتمعت إليه قريش تريد رأيه فيما بلغه عن دعوة رسول الله ﷺ وما جاء به من الوحي...

﴿ سَأَرْهُقُهُمْ صَعُودًا ﴿٧﴾ إِنَّهُمْ فَكَّرَ وَفَدَّرَ ﴿٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ فَدَرَ ﴿٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ فَدَرَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿١١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَسَبَرَ ﴿١٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿١٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿١٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿١٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿١٧﴾ لَا تُبْغِي وَلَا تَذَرُ ﴿١٨﴾ لَوْحَةٌ يَلْبَسَرُ ﴿١٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٢٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدُوَّهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِيحُوا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزَادُوا الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا

(١) انظر الإتيان من علوم القرآن للسيوطي ٧٣/١. ط المكتبة العصرية بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) المرجع السابق ٧٣/١.

يُرَاتِبَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ
لِّلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ [المدرثر: ١٧ - ٣١].

لقد كان ورود ذكر أهل الكتاب ملائماً في هذه المرحلة من الاستشهاد بما عندهم من الحق وموافقة القرآن له وتصديقه إياه، لبناء الثقة في نفوس المؤمنين من جهة وفتح المجال للشاكين والذين في قلوبهم مرض الارتياب أن يتأكدوا من أهل الكتاب عن القضايا المعروضة في القرآن الكريم.

وكذلك ما ورد في سورة الأعلى وهي السورة الثامنة في ترتيب النزول، فبعد أن ذكرت بعض الصفات الجليلة لله جل جلاله وما أسبغ به من النعم الدنيوية والأخروية على عباده وذكر طريق الفلاح في الدنيا وأن الآخرة خير وأبقى ختمت السورة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ﴿١٨﴾ صُفِّ إِتْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

ومثل هذه الإشارات السريعة ما ورد في سورة الفجر ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغٌ أَلِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ٦ - ١٤].

إنها إشارات سريعة لامعة قوية الجرس شديدة الوقع على المسامع تهز القلوب هزاً وتلقي من خلال هذه التفاعلات أفكاراً غريبة على المجتمع الوثني، مهددة له بذات المصير إن استمروا على ضلالهم وغفلتهم عن الحق.

ب - مرحلة الترغيب والترهيب:

عندما يكثر أتباع الدعوة، ويشتد عودها، ويقبل عليها الناس وربما دخل بعض المقربين من الزعماء والأسياد في الدين الجديد، فيضطر الزعماء أن يصرفوا جزءاً من اهتمامهم لشأن هذه الدعوة الجديدة فيرسلوا بعض أتباعهم لمعرفة مقصد رائد الدعوة، ولمساومته على الأهداف التي يرمي إلى تحقيقها.

وهذا ما يفسر لنا اتصالات قريش المتكررة وهم يسألون رسول الله ﷺ عن مقصده من هذه الدعوة، ويطلبون منه تركها مقابل السيادة أو جمع المال أو الزواج من أجمل الفتيات^(١).

وفي هذه المرحلة تكون الآيات الكريمة مقررة لعقيدة التوحيد وللبادئ التي جاء بها الرسل، وداعية إلى الالتزام بأمتهات الأخلاق الكريمة وعدم الاغترار بحطام الدنيا، وفي نفس الوقت تشدد النكير على الطغاة العتاة الذين يصمون آذانهم عن دعوة الحق ولا يرفعون لها رؤوسهم.

نجد ذلك في كثير من السور المكية، فتقرر موضوع الوحي والمنافحة عن رسول الله ﷺ نجدها مثلاً في سورة التكويد كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَقْسِمُ بِاللُّغَيْسِ (١٥) الْجَوَارِ الْكُنَّسِ (١٦) وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (٢٠) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢١) وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْمِينِ (٢٣) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٤) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٥) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)﴾ [التكويد: ١٥ - ٢٩].

إن تقرير حقيقة الوحي وطبيعة الرسول المرسل إليهم وأنه من البشر، وأنه يتحلى بالصفات الخلقية العالية، وأنه يتصف بالكمالات البشرية وليست غاية الدنيا وحطامها ولا الاستعلاء في الأرض، وإنما مهمته إنقاذ البشرية من ضلالاتها وتيهها إلى صراط ربها القويم، كما نقرؤه في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأَفْئِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتَسْمُرُونَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢)﴾ [النجم: ١ - ١٢].

(١) انظر في ذلك سيرة ابن هشام بحاشية الروض الأنف ٣٦/٢، وتفسير ابن كثير ٩٠/٤.

(٢) التعبير بكلمة (صاحبكم) في هذا الموطن وفي غيره من مواطن الدفاع عن شخص رسول الله ﷺ له دلالة البرهانية الضمنية، فقد رافقوه طويلاً وصاحبوه فهل علموا فيه خلا عقلياً أو نفسياً!!

إن إزالة اللبس من أذهان الناس، والارتقاء بهم إلى أفق الغيبيات وبيان أن هذا الكون مخلوق لحكمة، وأن الفوضى والعبث والصدفة بعيدة كل البعد عن الحكمة العليا في واقع الكون ونظامه الدقيق، فعلى البشر أن يدركوا أيضاً الحكمة من وجودهم في هذه الحياة الدنيا وعليهم أن يبحثوا عن دورهم بين المخلوقات العاقلة المكلفة فيها.

ومن خلال تقرير هذه الحقائق يأتي ذكر بني إسرائيل أيضاً كنماذج بشرية تعرضت للفتنة والاضطهاد فمنهم من انحرف وسقط في هذا الابتلاء ومنهم من صمد ونجح في الابتلاء.

ففي سورة النجم نقرأ قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۗ﴾ (٢٩) ﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ﴾ (٣٠) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَىٰ﴾ (٣١) ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعٌ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُم بِإِذْ أَنْشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ (٣٢) ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ (٣٣) ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلاً وَّأَكْدَىٰ﴾ (٣٤) ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهوَ بِرِئَىٰ﴾ (٣٥) ﴿أَمْ لَمْ يُبْنَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾ (٣٦) ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ (٣٧) ﴿أَلَّا نُرْزِزْ رِزْزَةً وَرِزْزَةً أُخْرَىٰ﴾ (٣٨) ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (٣٩) ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ (٤٠) ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ (٤١) ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (٤٢) ﴿

[النجم: ٢٩ - ٤٢].

إن تلك المبادئ مقررة في صحف موسى عليه السلام المرسل إلى بني إسرائيل فليرجعوا إليها إن كانوا في شك من أمر محمد ﷺ. وكذلك في صحف إبراهيم عليه السلام وهم (أي قريش) يزعمون أنهم ينتمون إليه ويعظمون شرائعه التي توارثوها كما هو حالهم في القيام على سدانة الكعبة وخدمة الحجيج...

وتأتي سورة البروج لتعرض نموذجاً فريداً من الدعوة إنه نموذج المؤمنين الصامدين الذين يعذبون ويضطهدون في سبيل دعوتهم ولا يتحولون عنها ولو كان مصيرهم إلى الحرق ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ (٤) ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُجُوْدِ﴾ (٥) ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ (٦) ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (٧) ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا﴾

بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَمْ يُلْكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فَمَا لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴿[البروج: ٤ - ١٢].

إنه تنبيه للمؤمنين بما ينتظرهم من الفتنة في دينهم وما قد يلحق بهم من أذى من الطواغيت ليعدوا أنفسهم لملاقاة هذه الأحداث وفي نفس الوقت لتحمل التهديد والوعيد لأولئك الطغاة الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات فإن بطش الله شديد وليعتبروا بمصير جند فرعون وثمود وأصحاب الأخدود التي انقلبت عليهم النيران فأحرقتهم في دورهم^(١).

إنها التربية القرآنية حيث يؤتى بالحدث المناسب للمرحلة المناسبة لتأخذ النفس منها العبرة.

وتأتي سورة القمر لتلقي أضواء على حقائق أخرى من مشاهد يوم القيامة وحشرهم كالجراد المنتشر، ولتحدث عن مصير مجموعة من الأقوام قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون من الذين كذبوا بآيات الله فماذا كان مصيرهم، فيا معشر قريش ﴿أَكْفَأُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الذُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴿[القمر: ٤٣ - ٤٥].

وفي سورة (ص)، و(يس) و(مريم) و(طه) عرض نماذج من قصص الأنبياء مع أقوامهم وما أصابهم من الفتنة والابتلاء وكيف أودوا فصبروا، وبيان سنة الله تعالى في أولئك المتحيزين المناهضين لدعوة الحق ﴿جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ ﴿١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابِ ﴿١٣﴾ إِنَّ كُلَّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبَرِ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ ﴿[ص: ١١ - ١٧].

(١) انظر تفسير ابن كثير ٤/٤٩٥ ومن المعلوم أن قضية أصحاب الأخدود كانت معلومة لقريش حيث وقعت في نجران جنوب غرب الجزيرة العربية، وكانت الفتنة للنصارى على يد اليهودي ذي نواس.

إنها إشارة ذات دلالة تربوية عميقة لأتباع الدين الجديد أتباع دعوة محمد ﷺ مأخوذة من سيرة هؤلاء الأقسام الذين تحزبوا ضد دعوة الحق لقد كذبوا أنبياءهم فحق عليهم كلمة العذاب وانصر أهل الحق عليهم.

لم يسلم أحد من الأنبياء من إيذاء الأقسام مهما كانت مكانتهم وعزتهم في مجتمعاتهم، فلئن كان نوح وهود وموسى وصالح ولوط وشعيب من عامة الناس، فما قولك في داود صاحب القوة والسلطة والملك، الذي كانت معجزاته بارزة للعيان من تسبيح الجبال معه وحشر الطير لسماع مزاميره وتلاوته... ماذا تقول عنه بنو إسرائيل وماذا دونوا في كتبهم عن سيرته، إنهم لم يتركوا نقيصة إلا ألصقوها به^(١). وهو النبي العابد الأواب.

فما يقوله المشركون من قريش عن رسول الله ﷺ إنه يريد الزعامة في قومه أو يبتغي بذلك الجاه والمال والحظوة عند النساء... إلخ. لا يستغرب من أهل الباطل.

ومثل ذلك ما قالوه عن مريم البتول عليها وعلى ابنها السلام، وقد أورد القرآن الكريم قصة حملها وولادتها والخوارق التي حصلت لهما حيث جعلها وابنها آية للعالمين ﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ ۖ وَنَجَعْنَاهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١].

فإذا كان هذا شأن بني إسرائيل مع أنبيائهم وهم أهل الكتاب وبين أيديهم التوراة ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ فلا غرابة أن يقولوا عن دعوة محمد ﷺ ما تمليه عليهم أهواؤهم وأحقادهم، ولا غرابة أن تقول قريش عن دعوة الحق ما يدل على ضلالها وجهلها إنها تهية للنفوس وتثبيت لها على الحق لملاقاة أعداء الله المفترين المكذبين من المشركين ومن أهل الكتاب.

(١) نسب التلمود المزور إلى داود فعل الفاحشة والتأمر على قتل قائده أوربا وغير ذلك من الافتراءات والبهتان العظيم، مما يترفع عن مثله جهلة الناس فضلاً عن الصالحين، فكيف يقال ذلك عن الأنبياء المعصومين عليهم صلوات الله وسلامه. انظر في ذلك ما ورد في سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١١ ص ٤٩٨.

ولم يكن هذا موقفهم من الأنبياء الذين كذبوهم ولم يؤمنوا بهم. بل كانت لهم مواقف غريبة ومشينة مع أعظم أنبيائهم الذين يفتخرون بنسبتهم إليه وهم يزعمون أنهم أهل كتابه الذي أنزل عليه وحمله شرائعه وهداياته إنه نبيهم موسى عليه السلام أعظم أنبياء بني إسرائيل قاطبة. وتذكر لنا سورة طه كيف كان الحال معه وما عاناه من سفههم وتمردهم على أوامر الله وعصيانهم المتعمد.

فما كاد موسى عليه السلام يغادرهم لمناجاة ربه وقد ترك بين ظهرانيهم أخاه هارون ليصلح من شأن القوم ولا يتبع سبيل المفسدين، إلا وتآمروا عليه وجمعوا زينة القوم ليخرج لهم السامري عاجلاً جسداً له خوار فيقوم الناس بالطواف به لعبادته وليقولوا كلمتهم الكبيرة ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِنَّهُ مُوسَى قَسَى﴾ [طه: ٨٨]. ولما جوبه بالحقيقة واستدعي السامري ليسأل عن الدافع له على هذا التصرف السفه، قال ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ [طه: ٩٦] إن قوماً يصل بهم السفه إلى هذا الحد من الزيغ والضلال والإفساد، فهل يؤمن جانبهم، ويتوقع منهم الخير أو مناصرة الحق.

لقد كان لقصص بني إسرائيل في هذه المرحلة المكية المتقدمة آثار بعيدة الدلالة في تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة عن هذه الطوائف والنحل.

ج - مرحلة المجادلة والمحاورة:

وإذا استمرت الدعوة في الانتشار وصمد قاداتها للمغريات فلم يتنازلوا عن الحق الذي يدعون إليه، ولم تفت التهديدات في عضدهم واستمروا على منهجهم الواضح البين، لم يجد أهل الباطل مناصاً من محاولة التعرف على دعوتهم ومجادلتهم في قضاياها وطلب البراهين والحجج عليها لا رغبة في إجلاء الحق واتباعه، بل بقصد التعجيز والتعرف على الثغرات للنفوذ منها إلى التشكيك في شأنها وصراف الأتباع عنها، بدأ بالتشكيك في أمر الرسول ورغبة في الوصول إلى إبطال أمر الدعوة نفسها وهدمها والقضاء عليها... وهذا ما عرضه القرآن ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنزلُ إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ

يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ صَرَّيْتُمْ لَكُمْ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ ﴿[الفرقان: ٧ - ١١].

لقد تصوروا أن يكون الرسول من الملائكة أو من جنس أرفع قدرأ من البشر ليكون أهلاً للاتصال بالملائكة الأعلى، ولم يدركوا سنة الله في الرسائل التي تقضي أن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم لتتحقق الحكمة في الإرسال وهي التبليغ والبيان يقول جل شأنه في بيان هذه السنة:

﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُوكَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء: ٩٤ - ٩٦].

إن كون الرسول من البشر وبلسان القوم المرسل إليهم آنس للقلوب وأدعى لإلقاء السمع إلى الهداية التي يحملها إليهم الرسول، لذلك جرت سنة الله في الرسائل السابقة على هذا المنوال، وإن كانت الأقوام تكابر وتعادي وتشكك في بداية الأمر، يقول تعالى شأنه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أُنجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَّبُونَ بِتِيبٍ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤ - ٨].

وفي ذكر موسى وقومه في سياق بيان هذه السنة الإلهية في الرسائل توجيه الإنذار إلى المشركين الذين كانوا في محادة مع الله ورسوله، وبيان أن

كفر الناس جميعاً لا ينقص من ملك الله شيئاً، ولا يزيد إيمانهم جميعاً في ملك الله، ولكن الله لا يرضى لعباده الكفر.

وهذا التذكير لقوم موسى بالأنعم التي ساقها إليهم من إنقاذهم من الذل والصغار والبطش الذي كان يمارسه فرعون عليهم، إشارة من خلالها إلى نعمة الأمن التي كانت تتمتع به قريش في الجاهلية بسبب الحرم الأمن الذي كانوا يسكنون فيه ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُحَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا لِبَطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفَرَّتْ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: ٦٧، ٦٨]. وإعلام الله للبشرية جميعاً هذا الدستور الإلهي والسنة الربانية ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

ولم يكتف المشركون بهذا بل حاولوا استغلال ظاهرة الوحي إلى رسول الله وما كان يعتوره أثناء نزول الوحي إليه من تغير في ظاهره وما يعاينه من شدة عند نزوله^(١)، فقالوا إنه مجنون، وذلك تنفيراً للناس منه وليقولوا إن ما أتى به محمد ﷺ ما هو إلا ضرب من علم الكهان والسحرة ممن لهم صلة بالجن ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦١﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦٢﴾ مَا نُنزِّلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿٦٣﴾ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾ كَذَلِكَ نَسَلُّكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الحجر: ٦-١٥].

(١) انظر في ذلك وصف السيدة عائشة لحال رسول الله عند نزول الوحي (...). وإن جبينه ليتفصد عرقاً في الليلة الشاتية). الحديث رواه البخاري بدء الوحي ٣/١. وقول رسول الله: «أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال...» المرجع السابق وانظر مسند الإمام أحمد ٦/٢٥٧.

(٢) بالرسالة والعذاب... انظر تفسير المحرر الوجيز ٨/٢٨٣.

لقد كانت مجادلاتهم تتسم بالاستهزاء والسخرية والمطالب التعجيزية من الخوارق، ولم يكن هنالك من داع لكل ذلك لو كان القوم يبحثون عن الحق فإن حياة محمد ﷺ بين ظهرانيهم وقد علموا فيه العقل والرزانة والخلق الكريم حتى سموه الأمين فلما جاءهم بما جاءهم به تنكروا له وألصقوا به كل تهمة تخطر على بالهم^(١)، ولم يكلفوا أنفسهم النظر في هذه الدعوة التي جاء بها فهي آيات بينات تدل على عظمة هذه الرسالة وجلال قدرها إنها رسالة التوحيد رسالة العبودية لخالق السماوات والأرض رسالة الإرتقاء بالعقل البشري إلى تدبر ملكوت السماوات والأرض والسمو الروحي والترفع عن مستنقع عبادة الأوثان والأصنام، إنهم كانوا أمام برهانين عظيمين للتحقق من صدق الرسول لو كانوا يرومون الحق ويبحثون عنه.

- التفكير في الدعوة التي جاء بها الرسول.

- التفكير في حياة الرسول نفسه ونشأته وهم أعلم الناس بأحواله. هذا هو الطريق الصحيح للوصول إلى الحقيقة، ولكن القوم وضعوا نصب أعينهم التكذيب بالرسول ودعوته والبقاء على جاهليتهم فما محاوراتهم إلا لونا من المناورة والمراوغة ﴿وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا ءَايَاتُنُهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِم قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَايَاتُنُهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلًا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ شِئْءٍ

(١) قال النضر بن الحارث: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، لقد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً، أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثاً، وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب، وجاءكم بما جاءكم به قلتم: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة ونفتهم وعقدهم، وقلت: كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهن وسمعنا سجعهم، وقلت: شاعر لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها، هزجه ورجزه، وقلت: مجنون، لا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم. السيرة النبوية لابن هشام: ٣٨/٢.

وَفَرَدَيْ نَّمْ نَفَكْرُوا مَا بَصَاحِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ ﴿سبأ: ٤٣ - ٥٠﴾.

لقد كان القوم يلقون بالكلام على عواهنه من غير روية وتدبر، ولكن الآيات كانت ترد عليهم بمثل هذه الردود المقنعة المفحمة التي تلجم الألسنة وتقع العقول وتدخل الطمأنينة إلى القلوب.

ومن خلال ذلك يأتي الاستدلال بواقع بني إسرائيل لبيان أن مواقف الأقسام من رسلها متشابهة فهؤلاء بنو إسرائيل مع أنبيائهم وقد أوتوا علماً وبين أيديهم الكتب المنزلة وكلما مضى رسول جاءهم غيره وكان من أنبيائهم من كان صاحب قوة وسلطة وبراهين ظاهرة وأمارات قاهرة ومع ذلك إن لم تنبع الهداية من داخل النفس بتوفيق الله سبحانه وتعالى لم تنفع تلك الآيات والبراهين. ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُوتِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّاسُ لَهُ الْخَبِيرُ ﴿٥٢﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَيِّئَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَاحِبًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٥٣﴾ وَلَسَلِمْنَا مِنَ الرِّيحِ غُدُوهاً شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ ابْنَ رَبِّيهِ وَمَن يَبْزُغُ مِنْهُمُ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقُهُ مِّنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٥٤﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحْرِبٍ وَمَثِيلٍ يُحْفَانِ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٥٦﴾ ﴿سبأ: ١٠ - ١٤﴾.

هذان نبيان من كرام أنبياء بني إسرائيل وهذا ملكهما وعزهما وهذه الآيات المادية التي وهبها الله جل جلاله لهما، وساسا بني إسرائيل بالعدل والحكمة وشرائع التوراة والزبور، فهل سلمت بنو إسرائيل لهما، وهل استطاعت الجن أن يتمردوا على ملك سليمان وهل علموا من الغيب شيئاً.

لقد اختلقت بنو إسرائيل الأكاذيب حول حياة نبي الله داود، وحول

أسلوب حكم نبي الله سليمان^(١)، وزعمت أنه كان ساحراً يستخدم الجن بسحره وقالوا ما قالوا وبين أيديهم البراهين القاهرة، وتمردوا على شرائع الله وقد أوتوا العلم الغزير الذي أنزله على أنبيائهم.

فلا غرابة أن تقف قريش هذا الموقف من دعوة محمد ﷺ إن الاستدلال بسير بني إسرائيل ومواقفهم من أنبيائهم يأتي في هذه المرحلة في غاية الإحكام للتشابه بينهم وبين مواقف المشركين من دعوة رسول الله ﷺ فمن ناحية تثبيت لقلب رسول الله ﷺ والمؤمنين بدعوته على الحق.

ولإقامة الحجة على المعاندين وبيان أن لهم سلفاً في هذا العناد والنكران والكفر ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

ولو ذهبنا نستعرض السور المكية في هذه المرحلة التي ذكرت فيها الردود على شبهات المشركين حول الرسول ﷺ ودعوته وما جاء به من الحق، والإشارة من خلالها إلى بني إسرائيل للاستدلال والاستشهاد بمواقفهم من أنبيائهم المتشابهة مع مواقف المشركين من قريش، لو ذهبنا نستعرض ذلك لطال بنا التطواف فهناك السور الكثيرة التي اشتملت على هذا اللون من المحاوررة اقرأ في ذلك الشعراء، والنمل، والقصاص، ويونس، ويس والصفات وغيرها بالإضافة إلى السور التي سقنا منها أمثلة وشواهد على أحداث هذه المرحلة، إنها سنة الله التي صرّف فيها القول وقطع دابر الحجج، وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [٥٠] وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا [٥١] فَلَا تَطْعَمُ الْكٰفِرِينَ وَجَهَنَّمَ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا [٥٢] [الفرقان: ٥٠ - ٥٢].

(١) جاء في كتب اليهود: إن داود أخرج الشعب الذي فيها - مدينة المياه - ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد وأمرهم في أنون الآجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون ثم رجع داود وجميع الشعب إلى أورشليم. انظر كتاب الكتاب المقدس سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١٢.

إنه الجهاد بالكلمة والصدع بحقائق القرآن، ذاك كان المناسب في المرحلة المكية لتظهر معالم الحق، وتكشف سوءات الباطل، فإن أصروا بعدها على باطلهم، ولم يرفعوا رأساً بهذه الآيات وهذه الحجج والبراهين. فعلى أتباع الحق أن يتبعوا الحق الذي حملوه وليعلموا أن الهداية إلى الله جل جلاله يكتبها لعباده الذين اختار لهم السعادة ﴿أَتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: ١٠٦، ١٠٧].

ومن هنا ندرك سنة الله في هؤلاء الأقسام الذين جمع بينهم الطغيان والمنطق الجاهلي في التفكير فالجميع قد وقفوا مثل هذا الموقف وقالوا هذه المقالة ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرِيسٌ بِهٖ رَبِّبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَىٰصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرْصِبِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الطور: ٣٠ - ٣٢].

﴿كَذَٰلِكَ مَا أَنَّىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٦﴾ اتَّوَصَّوْا بِهٖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٧﴾ فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٨﴾ وَذَكَرْنَا لَكَ الذِّكْرَ نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الذاريات: ٥٢ - ٥٥].

د - مرحلة الإيذاء والفتنة:

إن حبل الكذب والافتراء والأباطيل قصير، وأنفاس أهله قليلة وجولاتهم ضعيفة، فسرعان ما تنقطع بهم الحيلة وهم يقارعون الحق وأهله، ولا يستطيعون الاستمرار في مقارعة الحجة بالحجة، ولا يمكنهم الدوام في إلقاء ظلال الشكوك والشبهات على دعوة الحق.

وكلما قويت شوكة أهل الدعوة واجتمعت حولها القلوب وارتفعت هتافاتهم تصم آذان أهل الباطل، كلما انخلعت قلوبهم وارتجت الأرض من تحت أقدامهم فإن السيل الجارف لا بد أن يأخذهم في طريقه، ولم يبق أمامهم شيء يتشبثون به لمقاومة التيار الجارف، ولا تبقى لهم أرض صلبة يقفون عليها، عندئذ يأتي دور التعجل بالتخلص من قادة الدعوة بالإيذاء ومحاولة القتل والتصفية الجسدية. هذا أسلوب العاجز عن مقارعة الحجة بالحجة، الذي انقطعت به البراهين.

ينصب العذاب على الأتباع لإبعادهم عن مصدر الإشعاع والنور ومحاولة قتل الدعوة لإطفاء هذا النور.

وفي الغالب لا يلجأ أهل الكفر إلى هذه المرحلة إلا بعد اليأس من الترغيب والترهيب والمحاورة والمجادلة، فعندما يحسون أن الوقت لم يعد في جانبهم، يلجأون إلى هذا وفيه تقرير مصير أحد الطرفين.

وعندما لجأ مشركو قريش إلى أسلوب القمع والتعذيب، كان الوحي يسوق إلى الفئة المؤمنة سنن الله في الأقوام ويبين أن هذا الذي يرونه لم تخل منه دعوة ولا رسالة من الذين كانوا قبل المؤمنين، وكان رسول الله ﷺ يسقيهم جرعات من الصبر كلما شكى إليه أصحابه ما يعانونه من شدة على أيدي الطغاة^(١).

والسور المكية التي نزلت في هذه المرحلة تتضمن توجيهات بارزة في الجوانب التالية:

- بالإضافة إلى القضايا الأساسية من أسس العقيدة وأمهاات الأخلاق.
- كانت تذكر سير الأنبياء وأهل الدعوة وما عانوه من شدائد.
- وكانت تفتح الأمل عند الفئة المؤمنة ببيان أن الفرج قريب، وأن الشدائد قد آذنت على الانتهاء.
- لفت الأنظار إلى البعد العالمي لدعوة الحق، والتطلع إلى الأفق الواسع المنتظر.

ولما كانت أحداث بني إسرائيل وتعرضهم للفتنة والابتلاء على يد فرعون

(١) عن خباب قال: أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة فقلت ألا تدعو الله فقعد وهو محمر وجهه فقال: لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله، والذئب على غنمه. انظر صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار ٢٣٩/٤ ومستند الإمام أحمد ١٠٩/٥.

وملئه يشكل النموذج الكبير، وفي قصص بني إسرائيل الآيات البينات التي أكرم الله بها عباده المتقين، وكيف كان إنجائهم بفضل الله تعالى من ذاك الظلم عندما آمنوا واتقوا الله تعالى، نجد في سوق قصص موسى بالإضافة إلى قصص الأنبياء الآخرين منهم تكراراً وتفصيلات ودقائق لم تكن في المراحل السابقة ففي سورة الأعراف المكية تذكر قصة نوح عليه السلام مع قومه عندما كذبوه وجادلوه فأنجاه الله ومن معه في الفلك وأغرق المكذبين.

- ثم قصة هود عليه السلام مع قومه وكيف ذكروهم بأيام الله وما جرى لقوم نوح وذكروهم بأنعم الله عليهم ولكن القوم كذبوا ولجوا في طغيانهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٧٢].

- ثم تأتي قصة نبي الله صالح عليه السلام مع ثمود وتذكيرهم بما هم فيه من النعمة وجاءهم ببينة عظيمة مبصرة ولكنهم كذبوا ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِّحُ أَخْتَنَا بِمَا نَعُدُّهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧، ٧٨].

ثم قصة لوط عليه السلام مع القوم الذين انحرفت فطرتهم وأتوا بفاحشة ما سبقهم أحد من العالمين إليها. وعندما أصروا واستكبروا وحاولوا إخراجه وأهله من القرية أنجاه الله ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ [الأعراف: ٨٣، ٨٤].

- ثم تأتي قصة نبي الله شعيب عليه السلام، ولم يكن مصير قومه بأحسن من مصائر الآخرين من المكذبين، وكانت نجاة شعيب ومن معه.

ثم تعقب الآيات الكريمة على هذه القصص الخمس ببيان هذه السنة في العالمين ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [٩٤] ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفاوا وقالوا قد مسك آباءنا الضراء والسرائر فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون [٩٥] ولو أن أهل القرية آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون [٩٦]

أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلكَافِرِينَ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ جَعَلْنَا أَكْثَرَهُمْ لَمُتْسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴿ [الأعراف: ٩٤ - ١٠٢].

وأكثر هؤلاء الأقوام اندرست معالم حضاراتهم فالمكذبون قد استئصلوا والناجون قد جاءتهم الهدايا فلم تلبث أن كانت الوراثة لبني إسرائيل الذين جاء الحديث بعد ذلك بتفصيل شامل وذلك لأن سيرتهم قد دونت وآثارهم بقيت من بعدهم، وأقاموا حضارة بعد حضارة فرعون الوثنية وما نركز عليه في سياق الآيات ونقلنا عليه الأضواء تلك المواقف المشرفة التي وقفها موسى عليه السلام وأتباعه في وجه الفتنة الهوجاء ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمِنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَادَنَ لَكَ إِنَّا هَذَا لَكَرٌ مَكْرُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِنُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١١٢﴾ لَأَقْطَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضِلَّ لَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١١٤﴾ وَمَا نَعِبُهُمْ مِنَّا إِلَّا أَن ءَأَمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١١٥﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴿١١٦﴾ وَيَذَرَكُ ءَوَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَدِّلُ أِبْنَاهُمْ وَلِنَسْتَجِيءَ نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١١٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١١٨﴾ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴿ [الأعراف: ١٢٣ - ١٢٨].

إن قراءة سير السابقين ومعرفة سنن الله في الأولين، تدخل السكينة على قلوب الممتحنين وتعطيهم جرعات من الصبر والأمل فما دامت سنة الله في أوليائه أن يعرضوا للفتنة ليميز الله الخبيث من الطيب ويختار شهداء، ويرسم

(١) ما أشبه اليوم بالبارحة، تسلط الطواغيت على الفئة المؤمنة قتلاً وتشريداً وتعذيباً، لكن العجيب أن لليهود دوراً في كل ذلك فمن شروطهم في الصلح القضاء على الفئات الإسلامية...؟! والتهمة هي الإفساد في الأرض والإرهاب والتخريب والقضاء على السياحة واقتصاد البلد؟!!

بذلك معالم الدعوة للأجيال اللاحقة، فلا غرو أن تلقى هذه الفئة من المؤمنين الشدة ما دامت العاقبة للمتقين. كما أننا نلاحظ في هذه السورة أن السياق لم يكتف بالحديث عن نجاة بني إسرائيل من بطش فرعون وملئه، وإنما استمر السياق لبيان مواقف بني إسرائيل من نبيهم وتبرمهم بالمصاعب التي لاقوها فيما بعد وعدم صبرهم على أوامر الله، وانحرافاتهم في العقيدة وفي السلوك وكأنه تنبيه لأمة محمد ﷺ في المرحلة المكية الأخيرة وتحذير لهم إن آلت الأمور إليهم أن يسلكوا مسلكهم ويتبعوا سننهم في التبرم بشرائع الله التفصيلية أو أن ينحرفوا عن منهج الله في ذلك ولقد وقع شيء من ذلك على الرغم من هذا التحذير والتنبيه^(١) ولكن كان على نطاق ضيق ولم يكن إجماعاً من الأمة على الانحراف فاليهود كان من أمرهم ﴿وَجَوَّزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مِثْلُ مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُّ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَعْيَرَ اللَّهُ آبَائِكُمْ وَإِنَّهَا هِيَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨ - ١٤٠].

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُمُ ظُلْمًا ﴿١٤١﴾﴾ [الأعراف: ١٤٨].

فوجود موسى عليه السلام بين ظهرائهم لم يمكنهم من اتخاذ الأصنام، ولكن لما غادرهم لميقات ربه كان القوم مسرورين باتخاذ العجل إلا هارون عليه السلام ونفراً قليلاً^(٢) معه لم يتمكنوا من الوقوف في وجه الطغاة المنحرفين.

(١) عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم وفي رواية - يعكفون عندها - قالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال النبي ﷺ: سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم. انظر المسند ٢١٨/٥، وسنن الترمذي، أبواب الفتن ٣/٣٢١.

(٢) تقول التوراة المحرفة عن حادثة اتخاذ العجل أن هارون هو الذي اتخذ لهم العجل كبرت كلمة تخرج من أفواههم، وقد برأ القرآن ساحة هارون عليه السلام حيث يقول ﴿ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعون وأطيعوا أمري﴾ سورة طه: الآية ٩٠.

إن سرد هذه الوقائع التفصيلية في سيرة بني إسرائيل - وكما قلنا في السابق ولم يكن لهم وجود في مكة ولم يكن للمسلمين اختلاط بهم خارجها - هو تهيئة للنفوس المؤمنة لكي لا يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل بعد أن ملكوا أمرهم، وعليهم أن يعدوا أنفسهم للقيام بالقومة على دين الله ولا شيء أشد أثراً في تربية النفوس كالعظات المأخوذة من سير السابقين.

ومن لطائف الأسرار القرآنية ومن جميل وجوه المناسبات أن يأتي الحديث بعد ذلك عن دعوة الإسلام العالمية من خلال ذكر العهد والميثاق المأخوذ على بني إسرائيل أنفسهم لكي يؤمنوا بالنبى الأمي عندما يأتيهم بدعوته العالمية - وكأن إيراد التفصيلات في انحرافات بني إسرائيل لتهيئة نفوس المؤمنين بأن لا يتأثروا بموقف اليهود إن هم تنكروا لهم فإنهم قوم بهت وتلك سيرتهم مع أنبيائهم، فإن أعرضوا عن دعوة الإسلام وكذبوا محمداً ﷺ وقد وجدوا أوصافه في كتبهم فلا يستغرب ذلك من القوم المفسدين.

ولنعد إلى سياق الآيات، ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي سُخْتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَتْلُوكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ إِذْ هِيَ إِلَّا فَنَنَّاكَ نُفْضِلُ بِهَا مَن نَّشَاءُ وَتَهْدِي مَن نَّشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَيُّ الْغَفِيرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ ﴿وَكَتُبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا﴾ [الأعراف: ١٥٤ - ١٥٦].

إن وجود الأنبياء بين الأمم رحمة للمؤمنين، فلما كان من القوم هذا الشطط - علماً أنهم اختيروا من أمثال بني إسرائيل - في طلبهم رؤية الله عز وجل. وأخذتهم الرجفة عاد موسى عليه السلام إلى الدعاء والرجاء والتضرع إلى أن استجاب الله دعاءه إلى إحيائهم ولكن بشرط أخذه عليهم ﴿قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي

أَنْزَلَ مَعَهُ أَوْلِيَّكَ هُمْ الْمُتَمَلِّحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٨].

نعم إنها نقلة من صعيد مكة وشعابها وجبالها ووهادها إلى أقطار العالم جميعاً ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

وتهيئة للنفوس لقيادة العالم على نور من كتاب الله وعلى هدي آيات الله، ولكن هل سيستجيب الناس لهذه الدعوة العالمية. وهل سيلقون لها قيادهم، وكيف سيكون موقف أهل الكتاب - خاصة - منها وماذا على الجماعة المؤمنة عندما تحمل راية هذه الدعوة قيادة فكرية عالمية من تكاليف وواجبات عليهم أن يعدوا أنفسهم لها.

إنها نقلة روحية ونفسية كبيرة - إلى جانب نقلة الدعوة من صعيد مكة إلى أنحاء العالم - فلا بد من التناسب بين النقلتين، وهذا ما يؤكد سياق الآيات برسم معالم الدعوة العالمية عندما يخرجون إلى الصعيد العالمي^(١) فيبدأ بأهل الكتاب مرة أخرى وعلى منهج القرآن في الحق والعدل وإعطاء كل ذي حق حقه، ولا يظلم ربك أحداً. ولنستمر مع السياق القرآني في سورة الأعراف ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

(١) جاء مثل هذا التأكيد بصورة أخرى في افتتاحية سورة الروم حيث لفت النظر إلى الأحداث العالمية من خلال الحديث عن الروم والفرس ﴿الم، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين. لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم، وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ سورة الروم: الآيات ١ - ٧.

ولفت النظر إلى هذا الحدث العالمي بين أكبر دولتين في ذلك العصر، إشارة إلى أنه سيكون للمؤمنين دور في الأحداث العالمية، وجاء التأكيد على ذلك بقوله تعالى ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾. وقد كان هذا الفرح بالنصر يوم الحديبية، على ما هو الراجح من أقوال المفسرين.

هذه شريحة كانت على عهد موسى عليه السلام كانوا يلتزمون الحق به يحكمون بين الناس بالعدل والقسطاس، وعلى خطاهم تسير فئة من بني إسرائيل في كل العصور ولكنهم قليل وستلتقون بهذه الفئة يا أمة محمد ﷺ وسينضمون إلى ركب الخير ويجاهدون معكم ..

وقد كان، أمثال عبد الله بن سلام وبعض أخبار اليهود.

ثم يأتي الحديث عن أسباب بني إسرائيل ونعم الله التي أنزلها عليهم بعد أن مكن لهم في الأرض ورزقهم من الطيبات.

أليست كلها دروس تربية عظيمة لأمة محمد ﷺ خلال هذا السرد التاريخي لحياة بني إسرائيل وما اعتورها من أحداث عظام وهذه المداخلات التي تلفت النظر إلى أمة رسول الله ﷺ ودورها ومهمتها في قيادة العالم، وفي نفس الوقت تحذير لها لكي تتجنب ما وقعت فيه بنو إسرائيل ويمضي السياق في الحديث عن الأمم التي تكونت من الأسباب، وكيف فكت ضائقتهم في المطعم والمشرب بتفجير الينابيع وإنزال المن والسلوى عليهم، وتوفير الظلال الوارفة لهم بتظليل الغمام عليهم، ولكن هل أدوا شكر هذه النعم؟! وماذا كان موقفهم من التكاليف الشرعية؟! لقد كان العناد والتحريف والتحايل والتمرد دائماً.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَفَعْنَا لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٦﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٦ - ١٦٣].

ويأتي دور تلك القلة من المؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر من قوم موسى عليه السلام ليقوموا بدور النصيحة فينبهوا قومهم إلى خطورة ما يفعلونه بشأن الحيتان والسبت، ولكن هل للقوم عقول يفكرون بها أو قلوب تقبل الهداية؟!

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا

مَمْدَرَةً إِلَى رَبِّكَ وَلَهُمْ يَنْتَقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ
عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا
نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴿[الأعراف: ١٦٤ - ١٦٦].

هذه نماذج من أفعال بني إسرائيل ومواقفهم من الدعوات، وقد تحددت
معالم شخصيتهم، والآباء يربون أبناءهم على نهج اختلقوه لأنفسهم وكل جيل
يرث عن الجيل الذي يتقدمه هذه المبادئ الملفقة من هنا وهناك وقد ضيعوا
معالم التوراة، وهم يمنون أنفسهم الأمانى الخادعة ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ
وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى^(١) وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ
أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ
الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَنْتَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
إِنَّا لَا نَضِيعُ أجرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴿[الأعراف: ١٦٩ - ١٧٠].

ونتيجة هذه التربية المنحرفة وهذا الحقد الدفين المتوارث، والرغبة في
تدمير العالم وإفساده كانت سنة الله الخالدة الباقية إلى يوم القيامة فيهم، أن
يكونوا منبوذين من أمم الأرض، تصب عليهم اللعنات أينما كانوا ويسلط
عليهم بين الفينة والأخرى من يقلم أظفار الشر فيهم ويعيدهم إلى حجمهم
الطبيعي وهي سنته المتكررة:

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَّبُّكَ لِبُعْثِنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ
رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾ ﴿[الأعراف: ١٦٧].

إن إنسانية الإنسان تتحقق باتباعه الوحي الرباني المنزل من خالق
السموات والأرض، والعبودية لله تعالى تحقق الكمال الإنساني، حيث تتحقق
الغاية التي خلق الإنسان من أجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا
أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ زِجْرٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ ﴿[الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

(١) المقصود بالعرض الأدنى ما وصلت إليه أيديهم من المال والرشا والربا وهم يعلمون
أنه حرام وسحت ولكن يمنون أنفسهم بأن الله سيغفر لهم لأنهم أبناء الله وأحباؤه -
شعب الله المختار - وكلما عرض لهم متاع دنيوي أخذوه من غير أن تكون لهم أوبة
صادقة إلى الله تعالى. انظر في ذلك التحرير والتنوير: ص ٩ ص ١٦٠، ١٦١.

وأي إهمال لهذه المهمة وأي ابتعاد عن نور الوحي يبعد الإنسان عن الكمال البشري ويلحقه بالدواب والأنعام، وقد يكون أضل منها لأنه يسخر عقله لمزيد الإسفاف والانحطاط بينما البهائم لا تتحایل في الإسفاف والانحطاط وإنما هي مفطورة على غرائز معينة تدفعها لتصرف محدد.

ولا غرابة أن نجد بعد هذه الجولات الواسعة في ميادين انحرافات بني إسرائيل أن تختتم هذه الآيات بهذا المثل الدقيق المعبر فما حالهم إلا كحال هذا المخلد إلى الأرض:

﴿وَأْتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا فٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْقٰوِمِ ٱلْكَٰذِبِ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَشَلَاهُ كَمَثَلِ ٱلْكَذِبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مِثْلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا فَٱقْصِصْ ٱلْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايَاتِنَا وَٱنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىُّ وَمَن يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْخٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَٱلْأَنْعٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْغٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٩].

سنن إلهية في المنهج التربوي لأمة الإسلام تعرض من خلال قصص بني إسرائيل، وآمال الأمة تلوح في الأفق باستعراض النهج القويم، وتحذير من سوء المآل والعاقبة إذا اتبعت الأهواء وتركت الهدايات المنزلة عن طريق الوحي.

وبيان للارتقاء الحقيقي في سلم الكمالات الإنسانية، وتخويف من الانتكاسة والخذلان عند تعطيل وسائل المعرفة.

كانت تلك وقفات مع سورة الأعراف المكية ومنهجها في عرض لمحات تربوية وإشراقات توجيهية لهذه الأمة من خلال الاعتبار بقصص بني إسرائيل.

وفي سورة الكهف المكية نجد لونا آخر من بشائر الفرج يساق إلى المؤمنين بتقدير العزيز العليم، ويُسخر في سوقه طرفا المكر والصد عن سبيل الله: المشركون واليهود، فبعد أن عجز المشركون من التصدي للدعوة بالبراهين وإثارة الشبهات وأسقط في أيديهم فلم تنفعهم افتراءاتهم بأن القرآن

أساطير الأولين اكتتبتها فهي تملئ عليه بكرة وأصيلاً، ولم يسعفهم الزعم أنهم لو شاءوا لقالوا مثل ما قال محمد ﷺ. بعد عجزهم أرسلوا إلى اليهود في يثرب وقالوا لهم إنكم أهل الكتاب الأول فأعطونا ما تثبت به من أمر محمد هل هو نبي مرسل أو متقول، فأعطوهم أن يسألوه عن فتية خرجوا في الزمان الأول وكان من أمرهم عجب، وأن يسألوه عن رجل طواف في الآفاق وكان من أمره عجب وأن يسألوه عن الروح^(١).

فنزلت سورة الكهف إجابة لأسئلتهم وإشارة إلى أن كهفاً من عناية الله سوف يأوي هؤلاء المستضعفين من أصحاب محمد ﷺ كما آوى الكهف الجبلي الفتية المؤمنين الفارين بدينهم من الفتنة.

وأن نفوساً ستبش في وجوه هذه العصبة من أنصار دين الله في يثرب بالقرب من الذين عاضدوا قريشاً في شكهم وحاولوا معهم طمس نور الحق بتلقينهم المنهج التعجيزي في الثبوت من أمر النبوة وهو منهج غير سليم فمتى كانت الأسئلة التعجيزية وسيلة التحقق من صدق الرسالة وصاحبها، فهذا نبي الله موسى عليه السلام وهو من أعظم أنبياء بني إسرائيل لم يعلم تأويل الأحداث الثلاثة التي جرت أمامه وأنكر على الخضر تصرفاته على الرغم من تعهده أن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً، على الرغم من كل ذلك لم تؤثر الأحداث وما دار حولها في نبوة موسى عليه السلام شيئاً، ولم يشكك بنو إسرائيل في نبوته فلم يجعلون مثل هذه الأسئلة أسلوباً للتحقق من صدق الرسالة^(٢).

جعل الله هذه المناسبة وسيلة للإشارة إلى قرب الفرج للعصبة المؤمنة ليجدوا مأوى كما وجد الفتية المأوى، وليبش في وجوههم أهل المدينة كما بش أهل المدينة في وجه أحد الفتية ثم ذهبوا إليهم ليكرموهم وليخلدوا ذكراهم^(٣).

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام مع حاشية الروض الأنف ٢/٣٩.

(٢) انظر في ذلك كتابنا مباحث في التفسير الموضوعي ص ١٨٩.

(٣) انظر هذه اللطائف وغيرها في تأملات في سورة الكهف للشيخ أبي الحسن الندوي ص ٤٦ وفي قصة أصحاب الكهف جاء قولهم: ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة﴾ وجاء تسمية المدينة التي آوت المسلمين والتي كانت تعرف بـ يثرب سميت (بالمدينة) أيضاً.

وفي خضم الدعوة وارتفاع توتراتها واشتداد الفتنة تأتي آيات سورة العنكبوت وهي من أواخر ما نزل في المرحلة المكية لتبين أن سنة الله في الدعوات هي الابتلاء والفتنة ﴿الْم ١﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَزَكَّوْا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [العنكبوت: ١ - ٦].

ولما كان جزء من الفتنة ينصب على المؤمنين من أقربائهم وذوي أرحامهم فقد جاء في سياق السورة ﴿وَوَضَّيْنَا لِإِنْسَانَ يَوْلِيْدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْحَمَتِكُمْ فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ [العنكبوت: ٨ - ١٠].

وفي سورة العنكبوت ثلاثة أمور تلفت النظر - وكما قلنا هي من أواخر ما نزل في المرحلة المكية - .

الأمر الأول: ذكر كلمة المنافقين، ومن المعلوم أن النفاق لا يكون إلا عندما تكون الغلبة للمسلمين، حيث يخشى بعض الناس على مصالحهم فيظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، ومن المعلوم أن المجتمع كان جاهلياً في مكة وكانت القوة والغلبة لأهل الشرك، فما مناسبة مجيء المنافقين في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ [العنكبوت: ١١].

وهي سورة مكية كما قلنا. فهل كانت الآمال قد قويت عند الفئة المؤمنة بحيث تراءى لهم الفرج والنصر قاب قوسين أو أدنى. أم أن هذه الآية مدنية وضعت في سورة مكية، لأن النفاق لم يحن وقته بعد كما ذهب بعض المفسرين^(١).

(١) انظر في ذلك صنيع محمد فؤاد عبد الباقي في المعجم الفهرس حيث رمز للآية ب(م) وهو رمز الآيات المدنية.

وانظر أيضاً ما ذكره القرطبي عن ابن عباس وفتادة أن سورة العنكبوت مدنية كلها.

الأمر الثاني: اللافت للنظر في سورة العنكبوت، ورود الأمر بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وكأنه تهيئة للنفوس للمرحلة اللاحقة التي سيكون بين المسلمين وبين أهل الكتاب احتكاك، فلا يكونوا البادئين بالشدة، فيأتي التنبيه على هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمُّ وَحْدٌ وَمَنْ لَمْ يُسْلِمُوا ۖ﴾ (٤٦) ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آءَانْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ (٤٧) ﴿[العنكبوت: ٤٦، ٤٧].

والأمر الثالث: تهيئة النفوس للهجرة في أرض الله الواسعة، وربما كانت يثرب قد بدأت تستقبل المهاجرين من المؤمنين بعد بيعة العقبة الأولى، ومهما كان الأمر وأنى كان وقت نزول سورة العنكبوت فإن الإشارة واضحة والحث على الهجرة أيضاً واضح، ببيان تكفل الله الرزق للعباد في أي أرض وفي أي زمان ولنقرأ قوله تعالى: ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٦) ﴿[العنكبوت: ٥٦].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٠) ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١) ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٢) ﴿[العنكبوت: ٦٠ - ٦٢].

لقد كانت لهذه المسيرة المباركة في المرحلة المكية مع تكوين الشخصية الإسلامية على مستوى التربية الفردية، وصهرها في بوتقة الجماعة بالتفاعل مع الأحداث المحلية ومن خلال العظات والعبر المستفادة من سير السابقين ومع فتح باب الأمل للمستقبل المشرق، كان لكل ذلك أكبر الأثر في إيجاد تلك القيادات الرائعة حول رسول الله ﷺ ليتسلموا دفة قيادة خير أمة أخرجت للناس وليغيروا وجه التاريخ في مدة زمنية تعتبر لحظات عابرة في عمر الأمم، إنها أمة محمد ﷺ (أمة الإسلام).

= وذهب الحسن وعكرمة وعطاء وجابر إلى أنها مكية كلها... وذهب يحيى بن سلام - وهو أحد قولي ابن عباس - أنها مكية إلا عشر آيات من أولها.

انظر تفسير القرطبي ص ١٣ و ٣٢٣.

الفصل الثاني

في المرحلة المدنية

على الرغم من أن القرآن المكي عرض قضايا اليهود بشكل مفصل يتناسب مع المراحل الدعوية، وذلك بقصد تكوين الشخصية الإسلامية المتميزة في ضوء انحرافات الأمم السابقة لأخذ العظات والعبر من سيرهم وتجنب ما وقعوا فيه، وللتحذير من اليهود الذين سيلتقون بهم وجهاً لوجه في مرحلة لاحقة، فكشفت الآيات المكية دخائل نفوس هؤلاء اليهود وأن الخلف منهم على خطأ السلف فباءوا بغضب من الله سبحانه وتعالى على الرغم من كل ذلك - وكما لاحظنا في المراحل الأخيرة من القرآن المكي^(١) - جاءت التوصية بمجادلة أهل الكتاب والتي هي أحسن، استمر هذا التوجيه في بداية المرحلة المدنية، فما توجه رسول الله ﷺ إلى بيت المقدس في صلواته إلا تأليف لقلوب اليهود بأمر من ربه جل جلاله^(٢).

وما أمره بصوم يوم عاشوراء عندما وجد اليهود يصومونه لأنه اليوم الذي أنجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من فرعون وملئه^(٣) إلا تأكيد للرغبة في

(١) انظر ما كتبه عن سورة العنكبوت ص ٥٣.

(٢) استمر استقبال بيت المقدس في الصلاة مدة سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يتشوق إلى التوجه إلى الكعبة المشرفة حتى نزل قوله تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ سورة البقرة: الآية ١٤٤.

انظر تفسير ابن كثير ٣٣٥/١.

(٣) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى =

كسب اليهود إلى جانب الدعوة وعدم المجابهة معهم منذ اللحظات الأولى في المرحلة المدنية.

وهذا ما أشارت إليه الآيات في سورة البقرة عندما وجّه الخطاب المباشر من الله سبحانه وتعالى إليهم ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نَهَبْتِ الْبَيْتِ عَمَلِكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْزُقُكُمْ وَإِنِّي فَأَرْزُقُكُمْ ﴿٤٠﴾ وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْرُكُوا بِآبَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَأَنْقُضَنَّ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَكُنْتُمْ أَهْلَهُ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [البقرة: ٤٠ - ٤٣].

وفيها الإشارة إلى العهد الذي أخذ من بني إسرائيل وأنبيائهم أن يقيموا شرائع الله، وإذا أدركهم زمان آخر الأنبياء أن يؤمنوا به ويعزروه وينصروه ويتبعوا النور الذي أنزل معه يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾ [المائدة: ١٢].

بنود متقابلة في الميثاق الذي أخذ منهم، وبنو إسرائيل أعلم الناس بصدق رسول الله ﷺ، لأن الكتاب الذي أنزل عليه مصدق لما مع بني إسرائيل، لذا قال الله تعالى لهم ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ فلئن كان المشركون على جهل بالقرآن وهداياته وقصصه، فإن بني إسرائيل يعلمون علم اليقين أن القرآن المنزل على محمد والتوراة المنزلة على موسى من مشكاة واحدة. وفي كليهما الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، والإنفاق في سبيل الله في وجوه الخير عامة.

= وبني إسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيماً له، فقال الرسول الله ﷺ: نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه.

انظر صحيح البخاري، كتاب الصوم ٢/٢٥١ وصحيح مسلم، كتاب الصيام ٣/١٤٩، مسند الإمام أحمد ١/٢٩١.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر... قال قال رسول الله ﷺ: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع».

وقد أخذ نفس الميثاق على الأنبياء جميعاً أن يؤمنوا بالنبي الأمي الخاتم الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة، يقول جل جلاله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَهُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ، وَتَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَقْرَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَأَشْهَدُوا وَإِنَّا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١].

اليهود والمجتمع الإسلامي في المرحلة المدنية:

تقدم أن المرحلة المكية التي امتد زمنها ثلاثة عشر عاماً كونت القاعدة الإيمانية المتميزة للشخصية الإسلامية من خلال التركيز على الجوانب الأربعة الأساسية: التوحيد، اليوم الآخر، النبوة، الدعوة إلى الالتزام بأهيات الأخلاق.

وقد فصلنا القول في المنهج القرآني في عرض ذلك كله، وقلنا كان من الأساليب القرآنية في منهج التكوين ذكر انحرافات بني إسرائيل في قضايا العقيدة لكي يتجنبها المسلمون ولا يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل. لذا أخذت قصص بني إسرائيل حيزاً كبيراً في العرض، حسب مراحل الدعوة في مكة وبأساليب تتناسب مع أجواء السور التي ذكروا فيها.

وفي هذه المرحلة كانت الأساسيات الأربع تذكر ولكن لتتناسب مع المهام الجديدة في المرحلة المدنية، ألا وهي مهمة البناء والحماية والصيانة للمجتمع الإسلامي.

- البناء للمجتمع الإسلامي بإنزال التشريعات التفصيلية في شؤون الحياة كلها من العبادات البدنية: كالصوم، والمالية: كالزكاة، والبدنية والمالية: كالحج، والجهاد، والمعاملات: كأحكام الأسرة: من النكاح، والطلاق والعدة، والإرث.

والمعاملات المالية: كالبيع والرهن والأجار والسلم وتحريم الربا، وتحريم أكل المال بالباطل عن طريق الرشوة والغش والسرقه...

- وحماية المجتمع من الأعداء من الخارج: بمشروعية الجهاد في سبيل الله وما يتعلق به من أحكام الفبيء والغنائم، والأسرى، والغلول والعهد والمواثيق بين الدولة الإسلامية والدول والفتات الأخرى غير الإسلامية.

- وصيانة المجتمع من الداخل: بتشريع الأحكام المتعلقة بالحدود والقصاص والتعزيرات التي تقام على أفراد المجتمع الإسلامي عند ارتكابهم ما يهدد أمن المجتمع وسلامته.

وكذلك كشف مخططات المنافقين الذين يحاولون هدم المجتمع الإسلامي من الداخل.

وفي كل مجال من هذه المجالات التي تناولها القرآن الكريم تفصيلاً، كان لليهود ذكر فيها، نظراً لأنهم النموذج المنحرف الذي كلف بالتكاليف الشبيهة بما كلف به المسلمون، ولكنهم غيروا وبدّلوا وانحرفوا، فكان المنهج القرآني ذات المنهج في المرحلة المكية في البناء، هناك بناء الشخصية الإسلامية المتميزة التي تنفر من النموذج السيء نموذج اليهود.

وهنا بناء المجتمع الإسلامي المتميز الذي تقام دعائمه على أسس متينة من الأحكام والتشريعات ليكون مجتمعاً ربانياً ترفرف عليه بشائر السعادة والعزة والمجد، ولا يكون للنماذج التي حل عليها غضب الله ومقته لطمسه معالم الحق والتحايل على شرائع الله لا يكون لتلك النماذج أثر فيها وإن عايشه المسلمون فترة واختلطوا بهم زمناً حاولوا جهدهم للتأثير في المجتمع الناشئ.

فكان لإيراد المواقف اليهودية من شرائعهم، للتحذير والتنبيه، دور تربوي كبير في تمايز المجتمع الإسلامي العتيد بخصائصه وكان الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار على الوعي التام من هذه الاستقلالية بالالتزام بشريعة الإسلام ومنهاجه ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

ولعل من الأمور اللافتة للنظر في هذه المرحلة المدنية الأمر المباشر الموجه إلى المسلمين بطاعة الله وطاعة الرسول كثيراً^(١) وبأساليب مختلفة،

(١) ذكرت كلمة الطاعة ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، ولم يرد منها في المرحلة المكية شيء يأمر بطاعة رسول الله ﷺ، وقد ورد النهي لرسول الله ﷺ في طاعة المشركين كقوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ سورة الكهف: الآية ٢٨. وكقوله ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ سورة القلم: الآية ١٠. وقوله: ﴿فلا =

علماً أن الأمر بطاعة الرسول مباشرة لم يرد في المرحلة المكية، وإنما جاء من خلال ذكر قصص الأنبياء السابقين مع أقوامهم حيث كانوا يدعونهم إلى طاعتهم.

والحكمة في ذلك - والله أعلم - سداً لذريعة الزعم أن محمداً جاء يطلب الزعامة لنفسه فيأمر الناس بطاعته، أو يظنوا أنه يدعوهم لعبادة نفسه أو أن يجعلوه شريكاً لله. وخاصة أن المرحلة المكية - كما تقدم - مرحلة تكوين العقيدة الإسلامية وصياغة الشخصية الإسلامية المتميزة، وأي التباس في أسلوب الدعوة قد يؤدي إلى نتائج غير مرغوب فيها. ويحتاج إلى جهد كبير في المستقبل للتعديل والتقويم والإعادة إلى المنهج السليم.

أما في المرحلة المدنية فقد ترسخت دعائم عقيدة التوحيد، والإيمان برسول الله الذي يبلغ عن ربه التكليف.

والأحكام التفصيلية التي يبلغها الرسول ﷺ تحتاج إلى تنفيذ فوري، وأي تباطؤ في التنفيذ أو تردد فيه يورث تأخيراً في بناء المجتمع وربما شروخاً وفجوات، فلا غرو أن نجد هذا التركيز بمختلف الأساليب على الالتزام بطاعة الرسول وأنها من طاعة الله كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء: ٨٠ - ٨١].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: ٣١ - ٣٢].

ويأتي بالمقابل النهي عن معصية الرسول وهما أمران متقابلان وكثيراً ما

= تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴿سورة الفرقان: الآية ٥٢، وغيرها. أما صيغة الأمر بالطاعة فجاءت على السنة الأنبياء السابقين لأقوامهم كثيراً، منها في عشرة مواضع في سورة الشعراء وحدها فكل نبي يقول لقومه ﴿إني لكم رسول أه، فأتقوا الله وأطيعون﴾ الآيتان ١٠٧ - ١٠٨.

يأتي النهي عن العصيان مقترباً بالأمر بطاعة الرسول كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْمَطْبُوعُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْتَدِ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤].

وكلما كثرت الأحكام التفصيلية في السورة تردد الأمر بطاعة رسول الله والنهي عن معصيته كما نجد ذلك في سورة النساء وآل عمران والنور... وكان لورود اليهود في مجال الطاعة والمعصية وأقوالهم التي تتسم بالوقاحة والتمرد كان لكل ذلك دور تربوي للأمة الإسلامية ليتجنبوا المزالق التي وقع فيها اليهود.

فقد جاء في سياق الحديث عن مواقفهم تجاه شرائع التوراة والالتزام بها ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَوْلًا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣].

ولا يقف الأمر عند حد التمرد والعصيان بل يصل درجة أخطر من ذلك درجة تغيير شرائع الله وتحريفها عن مواضعها، يقول جل جلاله عن شأنهم هذا ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَدَعْنَا لِيَأْ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْبَانِهِمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَمَنْهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

إن الأمر بطاعة رسول الله ﷺ في المرحلة الأولى من المراحل المدنية والنهي عن مخالفة أمره وعصيانه أمر يقصد منه - والله أعلم - تكوين القاعدة الراسخة في المجتمع الإسلامي للالتزام بالأحكام التفصيلية التي تكوّن لبنات بناء الصرح الاجتماعي.

والنماذج اليهودية التي تعرض في هذه المراحل لها أثرها الهام في تشكيل الحس الإسلامي في النفوس من الروغان والتحاييل والتمرد على الشرائع.

فالأسلوبان - أسلوب الترغيب في طاعة الله ورسوله وأسلوب التنفير من معصية الله ورسوله، كلاهما يصب في ميدان واحد وفي قناة واحدة لتشكيل الشخصية الربانية والمجتمع الرباني المستسلم لأوامر الله المنفذ لأحكام شرعه الواثق بتنزل نصر الله عليه الطامع في الحصول على رضوان ربه .

وفيما يلي نستعرض المراحل التي تناول القرآن الكريم فيها اليهود ومواقفهم، وسنجد كيف أن القرآن المدني لم يترك شاردة ولا واردة تخص اليهود وأساليبهم لإفساد أمر المسلمين إلا وكشفه، وتسوق الآيات مواقف أجدادهم القدماء من شرائع أنبيائهم للاستدلال على الخط المتبع في تكوين الشخصية اليهودية وأنه لم يختلف عند خلفهم مما كان الأمر عليه عند أسلافهم البائدين وسنستعين في كل ذلك بأحداث السيرة وأسباب النزول لنحدد هذه المراحل^(١) حسب اجتهادنا في تسلسل الوقائع مع اليهود.

(١) من الصعب معرفة ترتيب نزول السور المدنية، لأن أغلب السور المدنية تشتمل على وقائع يزيد الفاصل الزمني بينها على عدة سنوات، فسورة البقرة فيها الآيات التي تحدثت عن سرية عبد الله بن جحش وقتالها في الشهر الحرام ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ الآية ٢١٧ من سورة البقرة وكانت الحادثة في السنة الأولى للهجرة وفي سورة البقرة آخر آية نزلت على الإطلاق وهي قوله تعالى: ﴿وانقوا يومأترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون﴾ الآية ٢٨١. ومثل ذلك في سورة النساء وغيرها.

مرحلة المهادنة والعهود والمواثيق

لقد فتحت المدينة بالقرآن على يد مصعب بن عمير ومن معه من الرعييل الأول من الأنصار، وفي بيعة العقبة الثانية أخبر مصعب رسول الله ﷺ أنه لم يبق بيت في المدينة إلا وفيه ذكر الإسلام^(١)، فأرسل رسول الله ﷺ المهاجرين زرافات لتقوية شوكة الإسلام في دار الهجرة ولإنقاذهم من فتنة المشركين وإيذائهم، إلى أن أذن الله لرسوله بالهجرة، وما أن استقر في المدينة حتى عقد العهود والمواثيق مع سكان المدينة - معاهدة دفاع مشترك - على أن يكونوا يداً واحدة ضد العدو الخارجي.

وكان رسول الله ﷺ يحرص على بقاء الهدوء في المدينة والاستقرار لكي ينتشر الإسلام بين القبائل وهم مطمئنون ولكي يقرأوا القرآن ويفقهوا مراميه وغاياته، فأفضل بيئة ينتشر فيها الإسلام هي البيئة المستقرة التي لا يخشى أحد فيها على نفسه ولا على ماله من الاضطهاد إن تبنى رأياً أو اعتقد ديناً، أو ما يسمى الآن بالبيئة المفتوحة التي تكون فيها حرية الفكر والرأي مكفولة. فتكون القناعات عن طريق الحوار وإقامة البراهين والحجج. فإذا وجدت مثل هذه الأجواء فلا فكر يصمد أمام الفكر الإسلامي، ولا حجج تناهض البراهين الساطعة لدعوة الإسلام. وأسوأ بيئة للدعوة هي البيئة المشحونة بالإرهاب الفكري والاضطهاد العصبي.

ومن خلال تلك الأجواء التي حرص رسول الله ﷺ على إيجادها كانت الدعوة الإسلامية تشق طريقها وتنتشر يوماً عن يوم، وكانت من الفئات التي

(١) انظر ما ذكره ابن هشام في سيرته عن انتشار الإسلام في بيوت الأنصار ١٨٧/٢.

توجه إليها الدعوة وتقام عليها الحجة اليهود والمقيمون في يثرب وما حولها، وعلى الرغم من تصرفات بعض زعمائهم المناهضة للإسلام، وتأليب بعض القبائل العربية الوثنية على دولة الإسلام، كان الحوار وإقامة الحجة هو السبيل إلى درء خطرهم.

وكانت هذه المرحلة تتسم بكشف دخيلة اليهود وتصرفاتهم التي كانوا يحرصون على إخفائها من الناس، وخاصة حلفائهم من الأوس والخزرج لتبقى صورتهم عندهم مشرقة.

وعندما رأى اليهود أن المسلمين يملكون زمام المبادرة في كل المجالات، وأن الوحي لن يترك لهم سراً مخفياً ولم يستطيعوا المجابهة ومقارعة الحجة بالحجة، لجأوا إلى أساليبهم المعهودة من المخادعة والمراوغة والتشكيك في قضايا العقيدة والأحكام.

- فمن الأساليب التي لجأوا إليها ما قصه القرآن عنهم: ﴿وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاجِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٢ - ٧٤].

جاء ذلك في أعقاب محاجة القرآن لهم عندما زعموا أنهم على ملة إبراهيم وأن إبراهيم كان يهودياً، وأنهم من نسله وأولى الناس به حيث أفحمهم القرآن الكريم بالحجج العقلية ودمغهم بالوقائع التاريخية ولنستمع إلى القرآن وهو يحاورهم: ﴿يَتَأَهَّلِ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ هَتَأْتُمْ هَتُولَاءَ حَبِجَّتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَصَلِّمُ وَلِيَهُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَذَاتَ طَآئِفَةٍ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ يَتَأَهَّلِ الْكِتَابِ

لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٧٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ ﴿آل عمران: ٦٥ - ٧١﴾.

ولكن ماذا ينفع أسلوب المراوغة والمخادعة مع الحقائق الربانية الكاشفة وهل يجدي التمويه والكذب شيئاً عندما تظهر الحقائق وتستجاش الفطرة السليمة وتخاطب بمسلمات العقل، ووقائع التاريخ.

- وتارة كانوا يحاولون التشكيك في سلامة المنهج الذي يسير عليه المسلمون فعندما تحولت القبلة إلى المسجد الحرام وجد اليهود مع صنائعهم من المنافقين مرتعاً خصيباً لإطلاق الشائعات، إن محمداً حنَّ إلى مسقط رأسه وموطن صباه فتوجه إليها في صلاته ولا يستبعد أن يحنَّ إلى دين آبائه فيرجع إلى عبادة الأصنام^(١).

فجاء الرد الإلهي عليهم ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّهُمْ عَن قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة: ١٤٢].

وبيّن لهم أن تحول القبلة هو امتحان واختبار لإيمان المؤمنين من جهة ومن جهة أخرى إقامة حجة على اليهود لأنهم كانوا يجدون في كتابهم أنه يصلي إلى قبلتين وهم يعرفون ذلك الأمر كما يعرفون أبناءهم^(٢).

ولنسر مع السياق القرآني المعجز ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّكَ بِاللَّهِ لَكَاوِفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ قَدْ رَأَى نَقْلَهُ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَوْلَيْسَكَ قِبْلَةٌ تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ وَلَئِن آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِن آتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ

(١) انظر في ذلك تفسير ابن كثير ٣٣٩/١.

(٢) انظر ذلك في تفسير ابن كثير ٣٣٧/١.

بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْمَلِئِمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ (١) كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٣ - ١٤٦].

جاءت هذه المناقشة الرائعة لليهود في سياق بيان محاولاتهم المتكررة في التشكيك بدعوة الإسلام، وبيان أنهم الأصل في الدين وأنه لن يقبل من أحد سواهم حيث يقول جل شأنه: ﴿وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبْعَ بِمِلَّتِهِمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِجَتِ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُولُوا ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٥، ١٣٦].

في هذه المرحلة - مرحلة المهادنة - كان اليهود يحاولون أن يلقوا في روع المسلمين أنهم مؤمنون مسلمون مثلهم، وأن لديهم علم الأولين، وأنهم أصحاب مكانة عند الله وأن مزاياهم مقررة من الله ومن لم يكن على شاكلتهم فحرام عليه الجنة وهذه أساليبهم مع العرب الوثنيين ظنوا أنها تخدع كل الناس ولم يعلموا أن الوحي الإلهي يفضح كل ذلك.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَّنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَنْهُمْ أُمَّتُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا ءَامَانِي وَإِنَّهُمْ إِلَّا يَنْظُرُونَ ﴿٧٨﴾ قَوْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّآ قَلِيلًا قَوْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾

(١) من العلماء من أعاد الضمير إلى أمر تحول القبلة المفهوم من السياق، ومنهم من أعاد الضمير إلى رسول الله ﷺ، واستدلوا بقول عبد الله بن سلام والله إني لأعرف رسول الله أكثر مما أعرف ابني، فإن أوصافه محققة عندي أما ولدي فلا أدري ما فعلت النساء: انظر الرواية في تفسير ابن كثير: ٣٣٩/١.

وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٦﴾ [البقرة: ٧٦ - ٨١].

إن دين الله بين واضح لا يحابي أحداً، وليس بين الله وبين أي من خلقه نسب، وإنما هي أعمالهم يحصيها ثم يوفيهم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

وإن القوامة على دين الله لا تكون بالتوارث وإنما بالتوفيق الذي يهبه الله لمن يشاء من عباده فيهديهم ويصلح بالهم في خدمة دينه وشريعته، ومن لم يكن أهلاً لهذه المنحة أبعد الله وكبه على وجهه في النار، إن الافتراءات المختلفة والادعاءات الكاذبة والمزاعم الباطلة والعنجهية المغرورة مما كتبوها بأيديهم في التلمود وأضفوا عليها صفة التقديس بنسبتها إلى الله لن تغير من واقعهم شيئاً، ولن تجعل من تحريفهم وتوليهم عن أحكام الله وافتراءاتهم على خلق الله ميزة تكسبهم القوامة على شرائع الله والوصاية على عباد الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقًا مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّبُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُضِرُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ [آل عمران: ٢٣ - ٢٦].

إن هذه الآيات تكشف جانباً من العنجهية اليهودية فهم ليسوا بحاجة إلى رسالة وتشريع وحكمة، لأنهم الشعب المختار الذي ضمنوا آخرتهم فلن يمسه العذاب إلا أياماً معدودات بمقدار أيام عبادتهم العجل أو بعدد سبعة أيام فعمر الدنيا في توراتهم المحرفة سبعة آلاف سنة، وهم يعذبون عن كل ألف سنة يوماً^(١)، إنه الغرور المحض بما افتروه ونسبوه إلى الله.

(١) تفسير ابن جرير الطبري: ٣٠٣/١، وتفسير ابن كثير: ٢١١/١.

وعندما جابههم المسلمون لماذا لا تؤمنون برسول الله ﷺ وأنتم تزعمون أنكم تؤمنون بالله ورسله وكتبه، راوغوا واختلقوا الأعذار الواهية للتهرب وقالوا إن الذي يأتيك هو جبريل وهو عدونا ولو كان إسرافيل أو ميكائيل صاحبك لاتبعناك^(١).

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

- لقد استحثت آيات كثيرة أهل الكتاب على الاستجابة لدعوة الحق، وترك العناد والمقاومة بالباطل، وذكرتهم بنعم الله على أجدادهم وإنقاذهم من بطش عدوهم، وتفضيلهم على الأمم الوثنية بإرسال الرسل فيهم وإنزال الكتب عليهم كما في قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ يُخَيَّلُكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُوكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَدَّبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَمْجَنَكُم مِّنْ غَرَقَانَا ءَالِ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة: ٤٧ - ٥٠].

كما ذكرتهم الآيات الكريمة بشطط بني إسرائيل وجهالاتهم وتجاوز الله تعالى عنهم وتكريمهم المرة تلو المرة وإغداق النعم عليهم لفك ضائقتهم كلما صادفتهم أزمات مادية أو معنوية في معاشهم:

يقول جل من قائل: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِهْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [البقرة: ٥١].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن

(١) تفسير ابن كثير: ٢٣١/١.

كَانُوا أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَفَرْنَا لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَارِعُوا إِلَى الدِّينِ فَذَلِكُمْ فَجْرًا مِمَّا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٥٨﴾ فَذَلِكُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَلِذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ قَوْمٍ لَقِيمًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ
أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ نَضِيبًا وَقَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَفُلُوا وَآشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ
اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴿البقرة: ٥٥ - ٦٠﴾^(١).

ولكن قلوب اليهود القاسية ما كان يفيدها التذكير وما كان لها أن تتعظ بسير أسلافهم وقد صاغها التلمود على الغطرسة والكبر والافتئات والمراوغة، يقول جل شأنه عنهم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة: ٧٤].

ويوجه الخطاب للمؤمنين من باب التخفيف عليهم لكيلا يتهموا أنفسهم بالتقصير في دعوة القوم إلى الحق. وإنما هي طبائع اليهود التي نشأوا عليها فلا تذهب أنفسهم حسرات على هؤلاء الجفاة العتاة غلاظ القلوب.

﴿أَنْظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِنِّي بَعْضٌ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٥ - ٧٧].

ولم يقتصر الأمر على كشف ما فعله أسلاف اليهود من الجرائم وأيدهم أخلافهم، بل بين القرآن الكريم ما يفعله اليهود وقت بعثة رسول الله ﷺ من تناقضات لما أخذ عليهم في كتبهم من العهود والمواثيق، ففي كتبهم لا ينبغي أن يقاتل اليهودي ابن ملته ولا يخرج من داره وأرضه ولا يناصر عليه عدواً

(١) في سورة البقرة أكثر من ٨٠ آية كلها في الحديث عن بني إسرائيل وتعداد نعم الله عليهم ومقابلتهم لهذه النعم بالجحود والتمرد والكفران.

ولا يسفك له دمًا، ولا يأخذ منه أسيراً، إلا أن أحلاف قبائل اليهود كانت مع القبائل الوثنية فكانت تناصر حلفاءها على أبناء ملتهم من اليهود فبنو قينقاع قد حالفوا الخزرج وبنو النضير وبنوا قريظة حالفوا الأوس فيقع بينهم قتال، وربما وقع الأسر من أحد الأطراف للآخر، فيرجعون ليجمعوا المال ويفك أسر اليهودي الذي هم أسروه لأن كتابهم يمنع أخذه أسيراً. . هذا ما سجلته عليهم الآيات الكريمة^(١) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْفُجُورِ وَإِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَى فَتُلاَدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسَدُّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة: ٨٤ - ٨٦].

كما بينت الآيات الكريمة أن من شأن اليهود مناقضة العهود والمواثيق وعدم الالتزام بها إلا في حالة ضعفهم وخوفهم، وما العهود التي يمضونها مع غيرهم إلا سياسة مرحلية وإذا وجدوا فرصة لنقضها وظنوا في أنفسهم القوة أو توقعوا مناصرة من جهة فإنهم يتبرؤون من تلك العهود، وهذا ديدنهم لذا على المسلمين أن يكونوا على حذر منهم ولا يركنوا إلى العهود التي أبرمها مع اليهود وإن كان الذي وقعه معهم نبي مرسل:

يقول عز من قائل حكيمًا: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلِمًا^(٢) عَلَيْهِمْ عَهْدٌ نَبَذُوا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ بَدَّ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: ٩٩ - ١٠١].

(١) انظر في ذلك تفسير ابن كثير ٢١٦/١ والقرطبي: ٢٠/٢.

(٢) انظر التعبير بـ(كلمة) وهي مركبة من كل وما المصدرية الظرفية، وتفيد التكرار. انظر المعجم في النحو والصرف، زين العابدين التونسي ٦٨/١. والتعبير بها يعطي انطباعاً أن ذلك طبع ملازم لهم لا ينفكون عنه، ودائم الحدوث والتكرار منهم.

إن الدافع لهذه التناقضات وهذه التقلبات النفسية اليهودية الحاقدة المليئة بالشنآن والغيظ على الناس جميعاً، وهذا شأنهم في سالف عصورهم منذ أن حرفوا كلام الله في التوراة وكتبوا التلمود بأيديهم ونسبوه إلى الله زوراً وبهتاناً فلا خير فيهم إلا القليل. وعلى المسلمين الصبر والعفو والصفح حتى يأتي الوعد الحق في إخراجهم ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٥٥﴾﴾ مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٥٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٥٨﴾﴾ وَكَثِيرٌ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسْبًا مِنَ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٩].

- ولما كانت يهود تزعم مزاعم وتنسبها إلى التوراة وهم يظنون أن لا علم لأحد بما في التوراة كان القرآن يدعوهم المرة تلو الأخرى للرجوع إلى التوراة - مما لم تنلها أيديهم بالتحريف والطمس - ليتأكدوا بأنفسهم من تناقضاتهم وافتراءاتهم يقول جل جلاله:

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٣ - ٩٥].

- وكان مما يقض مضجع اليهود أن يروا قبيلتي العرب الكبيرتين في يثرب قد دخلتا الإسلام وأخى الإسلام بين الجميع وأصبح الجميع متكافئين متحابين ترفرف فوق رؤوسهم رايات المحبة والسلام. ومنذ فترة قصيرة كانت الشحناء والبغضاء تاكل قلوبهم بفعل دسائس اليهود، وكانت أموالهم وغلالهم تدخل خزائن اليهود ثمناً للسلاح الذي تسفك به دماؤهم.

مر بجمعهم شاس بن قيس ورأى رجالاً من الأوس والخزرج في مجلس

لهم يتبادلون أطراف الحديث إخوة مسلمين متحابين فساءه ذلك، ففسد بينهم من يذكرهم بشعر ملاحمهم في الجاهلية عندما كانوا يفاخرون بانتصاراتهم على غيرهم، والفتنة نائمة لعن الله موقظها فسرعان ما استيقظت على يد اليهود، وتواعد القوم إلى الحرة ليعيدها جذعة، فخرج إليهم رسول الله ﷺ يهدئهم ويقول لهم أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة حتى ثاب القوم إلى رشدهم وعرفوا أنها نزغة شيطان استدرجهم إليها يهودي ماكر فأقبل بعضهم إلى بعض يتعانقون ويتسامحون فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ ءَاكَلُوا كَلْبًا يَرُدُّوكُم بِدءِ ءِيمَانِكُم كَفْرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُم ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُم رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَاتُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا بِعَمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُم إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ءَقَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (١) [آل عمران: ١٠٠ - ١٠٣].

هنا سؤال يفرض نفسه وهو:

على الرغم من أن القرآن الكريم فصل مواقف اليهود من دعوات أنبيائهم وتمردهم على أوامر ربهم وبيان نزول غضب الله عليهم بسبب كتمانهم الحق وقتلهم الأنبياء وتحريفهم للكتب ونسبتهم إلى الله جل جلاله ما لا يليق، فكيف يرغب رسول الله ﷺ التعاون معهم في إقامة المجتمع المدني الجديد ويوقع معهم معاهدة تعاون وتأزر^(٢)، وتجرب المجرب عبث وضياع للوقت فما الحكمة في ذلك!؟

(١) انظر أسباب النزول للواحي ص ١١١ وتفسير ابن جرير الطبري: ١٧/٢.

(٢) قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم. وشرط لهم واشترط عليهم بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبي ﷺ، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، فلحق بهم، وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ريعتهم يتعاقلون بينهم. . وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس، وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم. . إن اليهود ينفقون مع المؤمنين فلاداموا محاربين، وإن يهود بني عوف أمة من المؤمنين، =

هناك جوابان لمثل هذا السؤال نأخذه من خلال استقرائنا لطبيعة دعوة الإسلام:

الأول: إن مهمة رسول الله هي التبليغ والبيان للناس جميعاً ولا يمكن أن يحكم على أحد من الناس مسبقاً بأن الهداية لن تكون من نصيبه فذاك غيب لا يعلمه إلا الله تعالى. لذا لم يدع نوح عليه السلام على قومه ويحكم عليهم بأنهم لن يلدوا إلا فاجراً كفاراً، إلا بعد أن أوحى الله إليه ﴿أَنْتَ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [هود: ٣٦].

لذا نجد أن الهدايات الربانية توجه رسول الله ﷺ إلى الموقف السديد في أشد الظروف قسوة عليه، فعندما هم بالدعاء على مشركي قريش بعد غزوة أحد، وقد شجوا وجهه الشريف وكسروا رباعيته.. فقال كيف يفلح قوم فعلوا بنبيهم هذا نزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (١٢٨) وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ [آل عمران: ١٢٨، ١٢٩].

ومن المعلوم في تاريخ الدعوة في المرحلة المكية أن أناساً كانوا من أشد

= لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه، وأهل بيته وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف وإن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني الأوس مثل ما لليهود بني عوف... وإن البر دون الإثم، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم إن بطانة يهود كأنفسهم، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ وإنه لا ينحجز على ثأر جرح.. وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وإن بينهم النصر على من حارب أصل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة البردون والإثم... وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث واشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.. على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم، وإن يهود الأوس، مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض، من أهل هذه الصحيفة. انظر السيرة النبوية لابن هشام بحاشيته الروض الأنف ٢/٢٤٢.

الناس عداوة لدعوة الإسلام وبغضاً لرسول الله ﷺ، ثم صاروا من أشد المناصرين للدعوة، ومن أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ^(١) فكان لابد من التعامل مع اليهود كأى فئة من الفئات التي يحرص رسول الله ﷺ على تبليغهم الدعوة وبيان الحق لهم، وفتح المجال أمامهم للإيمان. والمساهمة في نشر الإسلام...

الثاني: إن اليهود في يثرب كانوا يشكلون الطبقة المثقفة، وكان الوثنيون ينظرون إليهم نظرة إعجاب، وكان للقبائل العربية معهم صلوات ومصالح وشائج قريبي أحياناً وتحالفات عسكرية أحياناً، والبدء بالهجوم عليهم وإعلان الحرب من غير أسباب ملموسة ومبررات واقعية تحدث من جانبهم كل ذلك يشكل عوائق في نفوس القبائل العربية.

لذا نجد أن الرسول ﷺ اتخذ حيال كل موقف ما يناسبه ولم يعمم العقوبة على جميع اليهود على الرغم من اتضاح تشابه مواقفهم في مناسبات تأتي تفصيلات بعضها قريباً، ولكنه اتخذ من موقف كل قبيلة من العهد الذي كان بينه وبينها ما يناسبه وفي الوقت المناسب، فكانت عقوبات بني قينقاع، وبني النضير وبني قريظة، وأهل خيبر وفدك، كل بما يناسبه، فكانت الثقة تملأ قلوب المؤمنين ويزدادون إيماناً بسلامة الموقف والحكمة في التصرف تجاه تلك الأحداث بعد أن يكونوا قد وقفوا بأنفسهم على دواعي اتخاذ هذه المواقف^(٢).

(١) انظر في ذلك قصة إسلام عمر بن الخطاب سيرة ابن هشام: ٩٥/٢، وعكرمة بن أبي جهل الطبقات الكبرى لابن سعد: ٤٠٤/٧ وأبي سفيان بن حرب سيرة ابن هشام ٤/٩، وعمرو بن العاص، سيرة ابن هشام: ٢٩٦/٣ بل ومن اليهود في المرحلة المدنية: عبد الله بن سلام ومخيريق وميمون بن يامين.

(٢) لا يوجد أصعب من موقف الجندي المقاتل في المعركة إذا كان يشعر في قرارة نفسه أنه ظالم وقضيته ليست عادلة. لذا فمن الخطأ تضليل الجنود وإيهامهم على أنهم مقدمون على قتال العدو الفلاني. ثم يجد الجندي نفسه في ميدان آخر وجهاً لوجه مع أشقائه أو بني قومه، كما حدث ذلك لجيوش عربية حيث كانوا يوهمون أنهم ذاهبون لقتال اليهود ثم يجدون أنفسهم في بلد عربي يقاتلون العرب.

كما أنها تسحب من العدو اللافتة التي يمكن أن يرفعها ويجمع الناس حولها لمناصرته ضد دعوة الحق. وبالتالي يجد العدو نفسه وحيداً في ميدان المعركة يجابه مصيره نتيجة غدره وخيائته أو تأمره مع أعداء الإسلام فلا يجد من أحد مناصرة ولا مواساة.

وفي أحداث بني قريظة وخيبر الشواهد الكثيرة من أقوال اليهود أنفسهم على استحقاتهم لهذا المصير المظلم نتيجة خرقهم العهود والمواثيق، إن استثمار المواقف الخاطئة من جانب العدو وتسخيرها لكسب الرأي العام من السياسات التي اعتمدها المسلمون منذ عهد رسول الله ﷺ وهي من السياسة الشرعية المعتمدة^(١).

(١) قارن ذلك بما يفعله أعداء الإسلام من الدول الكبرى اليوم تجاه بعض حكام المسلمين وتصرفاتهم الخاطئة ويحملون المسلمين نتيجة هذه التصرفات الخاطئة ليؤلبوا الرأي العام العالمي ويسخرون منظمة الأمم المتحدة واسمها لتنفيذ مآربهم في ضرب مصالح المسلمين وإن كنا لا نستبعد تواطؤ كثير من حكام المسلمين معهم في التمهيد لمثل هذه المواقف.

أسباب الانحراف لدى اليهود عن الإيمان بدعوة الحق

إن في جبلة الإنسان حب التملك والسيطرة، وإشباع الغرائز والانطلاق من القيود التي تلزم سلوكاً معيناً في الحياة، وهذه الأمور هي الصفات البهيمية في كل إنسان إلا أن العقل الذي منحه الله جل جلاله للإنسان وميّزه به عن سائر المخلوقات يفرض عليه كتم كثير من الشهوات البهيمية وعدم الجري وراءها في كل الميادين وإنما يشبعها بمقدار، وما اختلط على العقل أمره ولم يميز بين السليم والسقيم فيه أو لم يحط بأبعاد المفساد والمصالح فيه، فقد جاء الوحي الإلهي على ألسنة الأنبياء والمرسلين لتجلية الموقف الصحيح وإظهار الصراط المستقيم الذي ينبغي سلوكه في العلائق الاجتماعية والتصرفات الفردية إلى جانب التكاليف العبادية. وكلما انحرفت البشرية عن الجادة أو سيطرت الشهوات والشبهات على نور الحق أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب والهدايات لإعادة البشرية إلى جادة الصواب، هذه سنة الله في رسالاته إلى الناس.

إلا أن التاريخ البشري يدل على أن الإنسان لا يترك شهواته ومعهوداته بسهولة لمجرد ورود الحق إليه بل يحاول الاستمرار عليها والدفاع عنها، وكثيراً ما يبرر هذه العادات بحجج وإن كانت واهية إلا أنه يتشبث بها لعلها تنفعه ولو داخل نفسه.

وإذا انكشفت هذه الحجج ولم تنفع صاحبها، وكان التشبث بها مسيطراً على النفوس وقعت المجابهة بين أصحاب الحق وأهل الأهواء والشبهات، وتكون المعارك سجالاتاً، إلى أن تتحقق سنة الله في خلقه ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا

وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ [غافر: ٥١].

وتاريخ بني إسرائيل مليء بهذه الصراعات، وكثيراً ما تمكن أهل الباطل من قتل خصومهم من الأنبياء والصالحين، يقول جل جلاله عنهم: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيًا حَتَّىٰ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

إلا أن عبقرية اليهود لم تقف عند المجابهة والتبرير والتحايل، بل طالت في كثير من الأوقات أصل الديانة والشرائع فحرفتها لتلائم دوافعهم وأهواءهم، وتناولت سير الأنبياء والمرسلين الأطهار فشوهتها لتكون منطلقاً لانحرافاتهم السلوكية فلا يعترض على انحرافاتهم لأنهم بشر قاصرون وقعوا فيما وقع فيه أنبياءهم، وليسهل عليهم قيادة الرعايا الذين تسيرهم شهواتهم فإذا ملكوا أزمتهما تمكنوا من قيادتهم ولو إلى ما فيه حتفهم.

وأدرك اليهود أن السيطرة على النفوس والعقول لا تتم إلا بتحقيق جانبين لهم:

الأول: القضاء على كل معتقد يجمع أتباعاً ويصوغهم صياغة معينة، وإحلال معتقد تافه متناقض مكانه تتباين حوله الآراء والأفكار، فلا هو معتقد سماوي ينظر إليه بقدسية، ولا هو معتقد بشري تتوصل العقول إليه بناء على التجربة، بل يخلطون بين الخرافة والمثالية غير الواقعية والبهيمية في السلوك والإخلاق إلى مستنقع الشهوات، وبذلك تتميع الشخصية وتنحط الأخلاق ويسهل انقيادها ويتحكم في مصائرها، فلا عقيدة دافعة للمقاومة ولا سياجاً خلقياً يحمي من الذوبان.

الثاني: السيطرة المالية والتحكم في المصالح.

وقد رأوا أن أقرب طريق للسيطرة على المال والاقتصاد العالمي هي جمع المال بأي وسيلة كانت ومن أشهر هذه الطرق: الربا، والتجارة بالعرض والتجارة بالسلاح والمحرمات.

فإلى جانب توفير المال في الأيدي بسهولة من هذه الطرق، هناك

مكاسب جانبية تتحقق جراء استخدام تلك الطرق فالربا يؤدي إلى تحكّم طبقة معينة محدودة العدد في مصير الشعوب والأمم وذلك من خلال السيطرة على مقدرات تلك الشعوب، فيؤدي إلى وجود الأحقاد والبغضاء بين تلك الطبقة الطفيلية المتسلطة وبين سواد الشعب المحروم فيزداد الصراع الطبقي وتسفك الدماء وتثور الفتن.

والتجارة بالعرض يؤدي إلى نشر الرذيلة وسيطرة البهيمية على مشاعر الإنسان، والانحطاط الخلقي مرتع خصيب لنشر الدمار والانحراف وبالتالي السيطرة على مقاليد الأمور فما أسهل التحكّم في قدرات شعب تسيره شهواته.

والتجارة بالسلاح يساعد على نشر الفتنة وسفك الدماء وتوقد أتون ومحارق لمقدرات الشعوب من الأموال والرجال والمستفيد من كل ذلك هم تجار الأسلحة فأرباحهم متحققة مهما كان مصير المعارك فالغالب والمغلوب فيها خاسر، وقد أجاد اليهود استغلال هذه الميادين، منذ فجر تاريخهم الأسود، فما حلوا بقعة من الأرض إلا وحاولوا السيطرة على أهلها عن طريق الربا والفساد الخلقي وإثارة الفتن ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِعُنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُنَّ مَا أُزِيلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَافَيْنَا أَكْثَرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٤].

ودهاقنة الإفساد في العالم لم يكتفوا بنشر الفساد وإثارة الفتن والحروب وسيلة للسيطرة على العالم بل جعلوا ذلك ديناً يتقربون به إلى الله بزعمهم، وما أخطر الانحراف والفساد إذا أصبح معتقداً لدى الإنسان، فطبيعة الإنسان البهيمية إذا أطلق عنانها دمرت وأفسدت شهوةً وجبلةً فكيف إذا أصبحت معتقداً يدين الإنسان به ويسعى إلى تحقيقه هدفاً ورسالة؟! هذا ما وصل إليه اليهود منذ أن بدأوا بالتخطيط للسيطرة على العالم.

- ففي مجال العقائد حصروا اهتمام الإله المتخيل عندهم في شعبه المختار وجعلوا أنفسهم أبناء الله دون سائر الناس وما خلق غيرهم إلا

لخدمتهم^(١) وما الأموال إلا مخلوقة لهم فإن استولى عليها غيرهم أعطاهم الحق في إعادتها بكل وسيلة متاحة مشروعة أو غير مشروعة^(٢).

- وفي الرسائل والنبوات ينبغي في زعمهم أن تكون حكراً على بني إسرائيل لهداية من ضل منهم^(٣) أما غير بني إسرائيل فلا يرتقون إلى مرتبة الخطاب ولا التكاليف لأنهم كالبهائم، لذا فكل من ادعى النبوة ولم تكن له صلة قريى ببني إسرائيل فدعواه مرفوضة باطلة في كتب بني إسرائيل التي حرفوها، وطمسوا معالم كل دعوة أو إشارة وردت في التوراة إلى وجود أنبياء من غيرهم أو يمكن أن يأتوا في مستقبل الأيام.

- أما ميادين التشريعات والأحكام والهدايات والأخلاق، فأطلقوا أيديهم حرية التحريف والتبديل وجعلوا كتبهم قراطيس يظهرن شيئاً منها ويكتمون ما لا يلائم أهواءهم ومخططاتهم في توجهاتهم العامة. وكتبهم مليئة بترهات ينزه العاقل ذهنه من أن يفكر بأنها شريعة سماوية.

- إلى جانب كل ذلك فقد نفخوا في أتباعهم تلك العنجهية الفارغة، وأطلقوا أبواقهم الكاذبة لزعم أن الشعب المختار خلق من جبلة خاصة. هياؤه الله للسيادة والقيادة^(٤).

(١) يقول الحاخام - أباريانيل -: (المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات، وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب الأمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة) انظر الكنز المرصود/٧٥.

(٢) يقول ألبو ومعه جمهرة الربيين: إن الله أعطى اليهود كل قوة على خيرات الأمم ودمائهم. همجية التعاليم الصهيونية ص ٧٣. «إن ممتلكات النصراني بالنظر إلى اليهودي هي ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار وأول يهودي يستولي عليها عنوة يكون مالكة الأصيل» المرجع السابق ص ٧٧.

(٣) انظر همجية التعاليم الصهيونية ص ٦٣ وما بعدها..

(٤) قال الرابي مناحم: أيها اليهود، إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة. انظر الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٧٥.

ولتحقيق كل ذلك كان توغلهم في المجتمعات الإنسانية لتحقيق مآربهم وأهدافهم في الإفساد والسيطرة. فكان الصراع بينهم وبين شعوب العالم جميعاً.

ولا تكاد تجد شعباً ذا حضارة على وجه الأرض إلا وكان له مع اليهود مواقف وملاحم. هذه سنة الله في اليهود وفي المجتمعات التي يعايشهم اليهود.

ومن هذه الأمم ذات الحضارات على وجه الأرض أمة الإسلام وقد كان لهم مع اليهود منذ انبثاق فجر الإسلام صولات وجولات، في كل الميادين في العقائد والتشريعات والأخلاق والمواقف السياسية والحضارية والميادين الاجتماعية ولا زال هذا الصراع دائراً وسيستمر إلى يوم القيامة.

فالإسلام يسعى لإقامة المجتمع الرباني الذي يقوم بالعبودية لله تعالى، وينشر العدل والحب والصفاء والنقاء والطهر.

واليهود يسعون لإفساد هذا المجتمع واستغلاله والسيطرة على مقدراته المادية والمعنوية وتسخيره لمآربه وإثارة الفتن والمفاسد بين شعوبه، والقضاء على مقومات هذا الدين في جميع الميادين لإحلال حضارة الانحطاط الخلقي والجشع المادي والفتن والحروب محله. إنها معركة الوجود وتحقيق الذات بين المسلمين وبين اليهود على مدار التاريخ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

عندما يصطدم الأمل بالواقع والحقيقة

بعد أن دوّنت كتب بني إسرائيل وسجلت شروح التوراة وحواشيها (المشناة، والجماراة، التي عرفت بالتلمود) وكانت متأخرة جداً عن بداية تاريخ اليهود الذين مزّوا بتجارب مريرة كان لهم فيها حياة البدو والرعاة المتنقلين وحياة الحضر والاستقرار والزراعة والاستيطان.

وتفاوتت الحياة بين حياة الرعية المغلوب على أمرها، وحياة الملوك والجبابرة المتحكمين في رقاب غيرهم.

دوّن ذلك التاريخ كله، وتحددت معالم الثقافة اليهودية التي تحمي اليهود من الذوبان في غيرهم عن طريق أحياء اليهود (الجيتو)، وارتسمت البصمات على الشخصية اليهودية التي يراد لها أن تنشأ الأجيال عليها.

وانتشر اليهود في أصقاع المعمورة لحمل رسالتهم التي استقرت الآراء حولها فضربوا مشارق الأرض ومغاربها لتحقيق حلمهم في السيطرة على العالم بأساليبهم الخاصة.

وكان من جملة القبائل التي ضربت في الأرض لتحقيق نبوءات كتبهم قبائل استوطنت شبه جزيرة العرب.

وكان الدافع الأساسي لها في أخذ هذا المنحى من الأرض إلى جانب الدوافع الاقتصادية والاجتماعية دافعاً دينياً، حيث كانت قبائل: بني النضير وبني قريظة والقينقاع يقرؤون في نبوءاتهم أن نبياً سيبعث في بلاد العرب وسيكون مهاجره إلى أرض ذات نخيل وحرث وستتحقق على يديه كثير من نبوءات

التوراة من الحكم بين الناس بالعدل وإقامة دين الله وانتشار دينه وأتباعه في أصقاع الأرض وأنا جيلهم في صدورهم رهبان بالليل فرسان بالنهار.

وكانوا يطمعون أن يكون هذا النبي منهم، لأنه استقر في نفوسهم أن لا نبي إلا من بني إسرائيل بل من سبط معين منهم هو سبط لاوين فاستوطنوا قرى في جزيرة العرب (يثرب، وخيبر، وتيماء) وكلها ذات نخيل وحرثات وكانوا يمهدون للنبي الخاتم ويقولون عند التشاجر والمخاصمة مع جيرانهم من القبائل العربية لقد أظل زمان نبي آخر الزمان سنؤمن به ونقتلكم معه قتل إرم وعاد^(١) وكانوا لا يشكون أنه سيكون من بني إسرائيل، ولما بعث رسول الله ﷺ وكان من نسل إسماعيل عليه السلام الفرع الثاني من دوحه النبوة من نسل إبراهيم عليه السلام، لم تحتل نفسية اليهود التي صاغها التلمود وصورتهم شعب الله المختار، وهو السادة والقادة كيف تكون النبوة في غيرهم ويكونون أتباعاً لهذا النبي؟.

لقد ذكرهم القرآن الكريم بهذه الحقائق وبمواقفهم السابقة ودعاهم إلى ترك البغي والحسد والبغضاء فإن النبوة هبة الله يضعها فيمن شاء وهو أعلم حيث يجعل رسالته.

يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا بِهِ فَلَمَسَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ يَسْمَأَ اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَن يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِعَضْبٍ عَلَى عَضْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البقرة: ٨٩، ٩٠].

إن بغي اليهود لم يكن على غيرهم فحسب بل كان بغيهم على كل من

(١) انظر في ذلك سيرة ابن هشام مع الروض الأنف ١٢٤٥، ووفاء الوفا ١/١٦٠ وتفسير البغوي ١/٩٣ حيث جاء فيه: (... وذلك أنهم كانوا يقولون إذا أحنزهم أمر ودهمهم عدو: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث بآخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة، فكانوا ينصرون، وكانوا يقولون لأعدائهم من المشركين: قد أطل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فقتلكم معه قتل عاد وثمود وإرم).

حاول الحد من طغيانهم وأهوائهم وشهواتهم من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الربانيين المصلحين ولو كانوا من بني إسرائيل أنفسهم، فكم من نبي قتلوه ومعه الربيون بغير حق، وكانوا يعلمون علم اليقين أنهم أنبياء مرسلون، وأن لعنة الله تحل على قاتليهم، ولكنها النفوس العاتية والقلوب القاسية الفظة لا تؤثر فيها المواعظ ولا القوارع، ولا يخضعون إلا للقوة التي تقهرهم أو تهدد وجودهم بالإبادة وهم يرونها رأي العين وبغير ذلك فلا يدعون ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَوْلَنَا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة: ٩٣].

فإذا كان البغي والطغيان وقسوة القلب يدفع اليهود ليقتلوا أنبياءهم من بني جلدتهم لأنهم حاولوا إعادتهم إلى حظيرة الإيمان والحد من فسادهم وشورهم، فكيف يلغون قيادهم لنبي من غير بني جلدتهم بل جاء ليكشف للعالم ولجميع الناس موبقات دهاقنة الدين اليهودي المحرف، وشورهم وأثامهم، وحقدهم الذي لا يحد على البشرية ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانُكُم سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

لقد كان رسول الله ﷺ يبين الحق فيما ينقل إليه من أمر اليهود ويقره مع صبغه^(١) بالصبغة الإسلامية وما كان من تحريفات اليهود واختلافهم أبعده

(١) بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء/ العاشر من محرم/ فسأل عن سبب لصومهم هذا اليوم فقالوا إنه يوم نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون فنحن نصومه تعظيماً له، فقال رسول الله أنا أولى بموسى منهم، فأمر بصيامه، وقال خالفوا اليهود وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده وانظر الحديث بمعناه في مسند الإمام أحمد ج١/ ٣٤٠، وكذلك ما أمر به من تنظيف أفنية البيوت، ولبس النعل في الصلاة مخالفة لليهود، فقالوا إن هذا الرجل لا يترك لنا أمراً إلا ويخالفنا فيه. انظر في ذلك سنن الترمذي. كتاب الآداب ١٩٨/٤ ومختصر سنن أبي داود للمنذري - باب الصلاة في النعل ٣٢٩/١.

وأظهر الحق والصواب فيه لقد كانت تلك الهدايا الربانية والشرائع الإسلامية تثير حفيظة النفوس اليهودية التي تربت على تعاليم التلمود الحاقدة، فبذلت كل ما تملك من جهد وسلكت كل سبيل لإطفاء نور الإسلام ولو بالتآمر مع الوثنيين المشركين على دعوة التوحيد وهذا ما كشفه القرآن الكريم من أفعالهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ وَأَلْفُتُونَ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلَكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَصَبَّوهُم مِّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيمًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [النساء: ٥١ - ٥٦].

لقد تبوأ اليهود مكانة عظيمة في نفوس القبائل العربية الوثنية قبل الإسلام حيث كانت بأيديهم الزعامة الأدبية والمادية، وجاء الإسلام لينتزع منهم كل ذلك، بل ليكشف سوءتهم في قتلهم الأنبياء وصددهم عن سبيل الله وأكلهم الأموال بالباطل، وكانوا أحرص الناس على إخفاء كل ذلك عن العرب الأميين الذين كانوا ينظرون إلى اليهود أنهم أهل الكتاب الأول وعندهم من العلم ما ليس لدى الأميين^(١).

أما الزعامة الأدبية فقد كانت لليهود في المناطق التي استوطنوها في جزيرة العرب في كل من يثرب وخيبر وتيماء وغيرها مما كانوا يتوقعونه أن يكون مهاجر آخر الأنبياء حسب وصف التوراة لأحوال النبي الخاتم. وكانت القبائل العربية وخاصة الأوس والخزرج ترجع إليهم في كثير من القضايا التاريخية والاستفسار عن الأمم السابقة وما كان يحتاج إلى علم ومعرفة خارج

(١) انظر في ذلك ما قالته قريش عندما أرسلت إلى اليهود في يثرب يسألونهم ما يستوثقون به من أمر محمد ﷺ وكان سبب نزول سورة الكهف.

انظر السيرة النبوية لابن هشام مع حاشية الروض الأنف: ٣٩/٢.

دائرة أساطيرهم وما توارثوه من شأن القبائل وأنسائها. على الرغم من أنهم لم يتبعوا اليهود في ديانتهم إما لأن اليهودية ديانة مغلقة، أو لأن الدافع الديني عند الوثنيين العرب لم يكن ليحملهم على البحث عن الحقيقة بل كانت الأعراف القبلية والعادات المتوارثة هي المسيطرة على سلوكهم وتصرفاتهم. وكانت هذه الأعراف تتوارث شفاهاً والعرفون والنسابون كانوا يأخذون خبرتهم بالممارسة والمجالسة، ولم يكن لديهم كتب ومدونات يرجعون إليها. فكانت الزعامة الثقافية لأهل الكتاب في جزيرة العرب فعندما جاء الإسلام وأظهر الحق، وكشف ما كان أهل الكتاب يحرسون على إخفائه وبين حقيقة مواقفهم من الكتب المنزلة، وطمسهم لمعالم الحق وقسوة قلوبهم وكتمانهم لأمر الله. بعد ظهور ذلك فقد اليهود تلك المكانة في نفوس الأميين من الوثنيين، بل فقدوها في نفوس أتباعهم من عامة اليهود ودهمائهم.

وكانت الريادة المالية والاقتصادية في يد اليهود أيضاً، فهم التجار المحتكرون وهم المرابون شأنهم في ذلك شأن كل يهودي يحل أي أرض أو يساكن أي شعب من شعوب العالم، حيث تنص توراتهم المحرفة على أن لا يعامل أخاه اليهودي بالربا، أما غير اليهودي فعامله بالربا، ويرشدهم تلمودهم الحقود على أن جميع الناس خلقوا حميراً ليركبه اليهودي وكل مال يملكه غير اليهودي فإنما غصبه من اليهودي وله إعادته إلى حوزته بأي وسيلة متاحة مشروعة أو غير مشروعة.

لذا فالتعامل بالربا من دعائم الاقتصاد اليهودي، وكانوا يسعون إلى إقراض القبائل العربية للحاجة أو لغير الحاجة.

وكانوا يثيرون الفتن وخاصة بين الأوس والخزرج ليمدوا كلا الطرفين بالسلاح والمال والقروض الربوية، ومما ساعدهم على تنفيذ مخططهم وتحقيق مآربهم تحالف بني قريظة الأوس، وبني النضير الخزرج ليتوغلوا في صفوفهم ولتكون مشورتهم مقبولة ودسائسهم نافذة واليهودي لا يعرف حليفاً ولا يراعي إلا ولا ذمة سوى مصالحه المادية وتجارته الربوية ولكنها خطط مآكرة للاستيلاء على مقدرات هذه القبائل واستغلال جهودهم وإثارة الفتنة بينهم ليستفيد اليهود

بمختلف اتجاهاتهم ومذاهبهم وبنى أسباطهم من ذلك ولتصب بعد ذلك في خزائهم وتمتلئ بالمال السحت، فلما جاء الإسلام آخى بين المؤمنين جميعاً ومنهم الأوس والخزرج وفوت على اليهود الدسائس والمكائد ونبه على أن طاعة هؤلاء يؤدي إلى الكفر يقول تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا قَرِيبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (١) [آل عمران: ١٠٠ - ١٠٣].

لقد فوت الإسلام فرص الفتنة على اليهود وقطع عليهم السبيل للإقراض بالربا، حيث حرم الربا بجميع أنواعه ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠ - ١٣٢].

بل اعتبر الإسلام أكل الربا بمثابة إعلان حرب على الله ورسوله (٢) وذلك ليجتث من النفس المؤمنة جذور التعلقات المالية الخبيثة ويزرع مكانها حب الإنفاق ابتغاء مرضاة الله تعالى ولعل من الحكمة الإلهية البالغة أن تأتي آيات الإنفاق والحث عليه بمختلف أشكاله وأنواعه، وآيات النهي عن الربا والتشديد والنعير على آكله متعاقبة في سورة البقرة (٣) وآل عمران (٤).

(١) انظر سبب نزول هذه الآيات في أسباب النزول للواحي وما فعله شاس بن قيس لإلقاء الفتنة بين الأوس والخزرج.

(٢) يقول تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ سورة البقرة: الآيتان ٢٧٨، ٢٧٩.

(٣) انظر آيات الإنفاق في سورة البقرة من ٢٦١ - ٢٧٤ وآيات الربا من ٢٧٥ - ٢٨١.

(٤) انظر آيات الربا في سورة آل عمران من ١٣٠ - ١٣٢ وآيات الإنفاق من ١٣٣ - ١٣٤.

لقد زرع الإسلام بتحريم الربا أسس الاقتصاد اليهودي وجفف منابع الثروة وقطع أطناب التحكم والسيطرة على المجتمع، ففقد اليهود بذلك أسباب بقائهم وسيادتهم فما كان أمامهم سوى التآمر ليل نهار لإطفاء نور الله بتأليب القبائل الوثنية عليهم كما فعلوا في أحد والخندق وخيبر، وبإلقاء الفتنة بين المسلمين بتحريك أوليائهم من المنافقين كما فعلوا في الأحداث التي رافقت غزوة بني النضير وتسببت في إجلائهم والتآمر على اغتيال رسول الله ﷺ وقيادات المسلمين التي كانت السبب المباشر في حصار بني النضير^(١).

هكذا اصطدمت أحلام اليهود وأمانهم بالحقيقة الناصعة التي ظهرت مع بزوغ فجر الإسلام وقيام دولته في المدينة المنورة، وعندما تحققوا من صدق الرسول وصحة الرسالة أضمروا له عداوة الدهر:

أورد ابن هشام بسنده عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها أنها قالت: كنت أحب ولد أبي إليه، وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، ونزل قباء، في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين^(٢)، قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت إليّ واحد منهما، مع ما بهما من الغم، قالت: وسمعت عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي: حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال عداوته والله ما بقيت^(٣).

كان حيي بن أخطب يعبر عن دخيلة النفس اليهودية التي صاغها التلمود لقد عرف شأن رسول الله ﷺ وصدقه ودعوته كما يعرف ابنه ونفسه ﴿الَّذِينَ

(١) الروايات في ذلك في الدر المنثور ٥٦٣/٢.

(٢) مغلسين: مأخوذة من الفلّس: وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح. انظر النهاية لابن الأثير: ٣/٣٧٧.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، مع حاشية الروض الأنف للسبيلي ٢/٢٥٨، دار المعرفة.

ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ [البقرة: ١٤٦].

ولكن النفوس المنطوية على البغي والحسد والحقد كيف تقبل الحق وترضخ له، فكان منهجهم عداوة الدهر لدعوة الحق. وهو المنهج الدائم المستمر إلى يومنا هذا تجاه الإسلام والمسلمين وسيبقى هذا المنهج إلى قيام الساعة. كما أخير بذلك الصادق المصدوق. ولقد كانت الاعترافات تصدر من بعض اليهود بين الفينة والأخرى، ولكنها كانت تحجب بحجب كثيفة من الإنكار والجحود:

فقد ورد أن كنانة بن صويراء قال ليهود بني النضير: والله إنه لرسول الله، وما قام إلا أنه أخبر بما هممتم به من الغدر - وذلك عندما هموا بإلقاء الحجر على رسول الله ﷺ من فوق الجدار - وإنه لآخر الأنبياء، وكنتم تطمعون أن يكون من بني هارون، فجعله الله حيث شاء، وإن كتبنا والذي درسنا في التوراة التي لم تغير ولم تبدل: أن مولده بمكة، وأن دار هجرته يثرب وصفته بعينها ما تخالف حرفاً مما في كتابنا، وما يأتيكم به أولى في محاربتة إياكم، ولكأني أنظر إليكم ظاعنين يتضاغى صبيانكم قد تركتم دوركم خلوفاً وأموالكم، وإنما هي شرفكم فأطيعوني، وأسلموا وادخلوا في دين محمد فتأمنوا على أموالكم وأولادكم وتكونون من عليه أصحابه، وتبقى بأيديكم أموالكم، ولا تخرجون من دياركم قالوا: لا نفارق التوراة وعهد موسى^(١).
أورد ابن القيم ما قاله الحرث بن عوف لعيينة بن حصن عندما أقسم له قائلاً: والله ليظهرن محمد على ما بين المشرق والمغرب، يهود كانوا يخبروننا بهذا أشهد لسمعت أبا رافع سلام بن أبي الحقيق يقول: إنا نحسد محمداً على النبوة حيث خرجت من بني هارون، وهو نبي مرسل، ويهود لا تطاوعني على هذا، ولنا منه ذبحان واحد بيثرب وآخر بخيبر، قال الحرث قلت لسلام: يملك الأرض جميعاً؟ قال: نعم والتوراة التي أنزلت على موسى، وما أحب

(١) انظر سبل الرشاد ٤/٤٥٤ نقلاً عن ظلال السيرة النبوية، محمد عبد القادر أبو فارس

أن يعلم يهودي بقولي فيه^(١).

قلة من اليهود استطاعوا أن يتغلبوا على داء الحسد الذي أضرم في داخلهم على رسول الإسلام فأعلنوا إسلامهم منهم:

يامين بن عمير، وأبو سعد بن وهب وهما من بني النضير عندما قال أحدهما لصاحبه: والله إنك لتعلم أنه رسول الله فما نتظر أن نسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا، فنزلا من الليل وأسلما فأحرزا أموالهما^(٢).

هكذا كان شأن اليهود فهم قوم بهت كما قال عنهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأرضاه، وما هذه المواقف إلا نتيجة طبيعية لتربية التلمود الذي أورثهم الحقد والضغينة على العالم جميعاً، وجعل الشخصية اليهودية مجمع نقائص ونقائص.

(١) انظر زاد المعاد ٤/١٣٩.

(٢) انظر السيرة الحلبية ٢/٥٦٦.

مرحلة المجابهة

إننا لا نستطيع أن نحدد تحديداً زمنياً بدأ هذه المرحلة ولا نهايتها فإن الكشف عن معتقدات اليهود التي أدخلوها في كتبهم، نسبوها إلى الله زوراً وبهتاناً، ومعتقداتهم في الأنبياء ومواقفهم من رسالاتهم كل ذلك جاء في المرحلة المكية، ولكن من شأن القرآن الكريم أن يربط بين الحدث وبين ما يناسبه من العظات والعبر، وما يشابهه من تاريخ الأمم في العصور الغابرة، وبيان سنن الله في ذلك كله.

لذا فإن ربطنا لقضايا فكرية معروفة عن اليهود، وكذلك التعقيب على الحدث بما يناسب التوجيه القرآني قد يكون له شبه بمواقف سابقة أو لاحقة، ولكن الربط والبيان الجديد يرد بمناسبة الواقعة الجديدة في المرحلة، وكشف عن جانب في الشخصية اليهودية متأصل فيهم متوارث من الأجيال السابقة.

فليس موقفاً قرآنياً جديداً من اليهود وإنما هو إيراد جديد لمجيء المناسبة التربوية أو التوجيهية نتيجة حدوث ما يستدعي الاستشهاد بها.

أ - المجابهة الفكرية مع اليهود:

أخذت الدعوة الإسلامية مسار المهادنة مع الطوائف الموجودة في المدينة - كما تقدم - وذلك بغية إتاحة المجال للتفكير والمناقشة الهادئة، وقد اكتسبت بذلك أرضاً جديدة وميادين فسيحة وإقبالاً على الدخول في دين الله.

ولكن ذلك لم يكن ليريح اليهود الذين أسقط في أيديهم، وبدأ القرآن في هذه المرحلة يدعوهم إلى الإيمان والدخول في دين الله ويزيح الحجب عن أعينهم ويقيم البراهين على أن هذا النبي هو النبي الذي أخبرت به كتبهم وأنهم

يعرفون أوصافه، وبدأ بعض أحبارهم يدخل الإسلام لما تحقق من مطابقة الصفات التي قرأوها في كتبهم عنه^(١).

١ - وكان رسول الله ﷺ لا يتوانى عن دعوتهم ومناشدتهم الرجوع إلى الحق كما كان لاحتكاك الصحابة بهم ومناقشتهم ودعوتهم إلى الإسلام آثار تدفعهم لإثارة الشكوك تجاه ما يقوله الصحابة رضوان الله عليهم.

فلما كانت دولة الإسلام تحتاج إلى النفقات المالية لإيواء المهاجرين وللإنفاق على السرايا والبعثات الجهادية، ونزلت آيات الإنفاق في سبيل الله تحث المسلمين للإنفاق تربية وتهذيباً لنفوسهم ووقاية لشح النفوس من جهة ولسد الخلة في المجتمع الإسلامي وإيجاد لحمة التآزر وأصرة المودة بين أفرادها من جهة أخرى من مثل الآيات الكريمة ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

﴿إِنَّ الْمَصْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعِفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨].

(١) انظر قصة إسلام مخيريق وكان من أحبار يهود أسلم يوم أحد واستشهد يومئذ السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٥٧... وقصة إسلام ميمون بن يامين في الإصابة ٣/٣٧١ وكذلك قصة إسلام عبد الله بن سلام، فقد أورد الإمام أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم النبي ﷺ وهو في أرض يخترف - فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني جبريل بهن أنفأ، قال: جبريل؟ قال نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ سورة البقرة: الآية ٩٧ قال: أما أول أشراط الساعة فنار تخرج من المشرق فتحشر الناس إلى المغرب، وأما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما ما ينزع الولد إلى أبيه وأمه، فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

انظر مسند الإمام أحمد والجامع الصحيح للبخاري كتاب تفسير القرآن: ١٤٨/٥.

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَاكِرٌ حَلِيمٌ﴾ (٧)
[التغابن: ١٧].

قالت يهود: لقد افتقر رب محمد يستقرضنا المال. فنزلت الآيات تبين هذه المقولة الملحدة ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَكَتُكُمْ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٨١) ذلك بما قَدَمْتُمْ آيِدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٨٢) [آل عمران: ١٨١، ١٨٢].

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَتْ آيِدِيهِمْ وَأَعْمَؤُا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَيْدًا مِنْهُمْ مَا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُفِينًا وَكُفْرًا﴾ (٨١) [المائدة: ٦٤].

٢ - ولما كان الصحابة رضوان الله عليهم يعرضون عليهم دعوة الحق كانت يهود تتحجج بأنهم لا يؤمنون برسول حتى يأتيهم بالآيات البينة التي تدل على صدقه، فكشف القرآن الكريم ادعاءاتهم وحقيقة كتمانهم الأمور وعنادهم تجاه الأنبياء جميعاً على الرغم من أخذ العهود والمواثيق منهم أن لا يكتموا شيئاً من الحق، يقول تعالى في ذلك ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا نؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ الْبَيْنَتِ وَإِلَىٰ قُلُوبِكُمْ فَلَمَّا قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٨٣) فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كَذَّبْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيْنَتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٨٤) [آل عمران: ١٨٣، ١٨٤].

﴿لَتَجِدَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٨٦) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُونَهُ فَبَدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِنْهُمَا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (٨٧) [آل عمران: ١٨٦، ١٨٧].

(١) تفيد روايات أسباب النزول أن آيات سورة آل عمران نزلت عندما عرض عليهم أبو بكر رضي الله عنه الإسلام فبأهوا بغناهم وأن لا حاجة لهم لرب محمد، أما آيات سورة المائدة فنزلت عندما طالبهم رسول الله ﷺ بالمساهمة في الإنفاق حسب العهد الذي كان بينهم وبين المسلمين، فقالوا يد الله مغلوبة عنا ولا نملك مالاً لتنفقه. انظر في ظلال السيرة النبوية للدكتور: محمد عبد القادر أبو فارس ٥١/١. وسيرة الرسول لدروزة ١٤٩/٢.

٣ - ليس هذا فحسب، بل كانوا يختلقون الأحداث ثم يأتون إلى رسول الله ويسألونه عنها، فعندما يخبرهم بالحق في الحادثة، قالوا لكننا نجد في التوراة خلاف ذلك فيبرزون الشيء المحرّف ويكتمون الحق وعندما ينصرفون يثني بعضهم على حصافة بعض وحكته ومهارته ويطلب بعضهم من الآخرين الثناء على هذا التصرف الماكر، ففضحهم القرآن الكريم على هذه الأساليب الملتوية وأوعدهم على هذه المواقف المنحرفة يقول تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ [آل عمران: ١٨٨، ١٨٩].

٤ - يلبس اليهود لكل حالة لبوسها، فعندما أعيتهم الحيلة للإفساد بين الأوس والخزرج حيث نبه الله سبحانه وتعالى إلى هذه الفتن وأمرهم بتوحيد الصف كما جاء في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠١﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠١، ١٠٢].

حاولوا تشكيك المسلمين في دينهم وإبعاد المترددين الراغبين في الإسلام عن التفكير في الدخول فيه فتظاهروا بالدخول في الإسلام في أول النهار ثم ارتدوا وأعلنوا ردتهم آخر النهار وأشاعوا في الناس إنهم لم يجدوا خيراً في هذا الدين الجديد. لكي يوهموا العرب الأميين بأن أهل الكتاب أدري منهم في صحة الأديان وصوابها، فلو كان هذا الدين الجديد خيراً لما فارقه وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَىٰ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَءَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران: ٧٢ - ٧٤].

ولما انكشفت حيلتهم وأظهر الوحي الإلهي حقيقة صنيعهم لجأوا إلى

حيلة أخرى هي التودد للمسلمين بصلة القرابة والنسب فقالوا نحن من ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم وأنتم من ولد إسماعيل بن إبراهيم فنحن أبناء عم، ونحن وإياكم تربطنا صلة الرحم والجوار منذ القدم فهلا كان بيننا وبينكم تعاون وتشاور في كل الأمور، فحذر الله جل جلاله المسلمين من الاطمئنان لهم والركون إليهم واتخاذهم بطانة لأن قلوبهم مملوءة حقداً وحسداً على المسلمين قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَيْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآئِنْتُمْ ءَٰوَلَاءُ شُجُوْبُهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِّنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنًا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمَسَّكْتُمْ حَسَنَةً سَنُوْهُم وَإِن تَصِيبْتُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَمْعَلُونَ مُخِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴿

[آل عمران: ١١٨ - ١٢٠].

٥ - لقد عرف اليهود بالمخاتلة والمخادعة، وإذا أرادوا التملص من عهد أو قضية تلمزمهم بعبء مالي أو مشقة بدنية أو غيرها أوجدوا لها مبررات فإن ضاقت بهم السبل ألصقوها بكتابهم وديانتهم شأنهم في ذلك شأن المفترين في كل عصر: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِن ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحِشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴿

[الأعراف: ٢٨، ٢٩].

وإذا حدثت حادثة استثقلوا حكم التوراة فيها حاولوا اختلاق حكم من عند أنفسهم، أو إلصاقه بأي جهة كانت:

روى أحمد ومسلم وأبو داود عن البراء بن عازب قال: مر على النبي ﷺ بيهودي محمم^(١) مجلود، فدعاهم فقال: أهكذا تجدون حد الزاني

(١) التحميم: تسويد الوجه انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/ ٤٤٤ وكانوا يحملون الزانيين على حمارين بالمقلوب ويطوفون بهما الأحياء تشهيراً، وهو الحد الذي اتفقوا عليه بدل الرجم.

في كتابكم؟ قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى: أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: اللهم لا، ولولا أنك نشدتنى بهذا لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد فقال النبي ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه، وأمر به فرجم، فأنزل الله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَدَدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّخْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [المائدة: ٤١، ٤٢].

٦ - جاء عبد الله بن سوريا الأعور الفطيموني ومعه مجموعة من بني جلده إلى رسول الله ﷺ لمجادلته ومحاولة افتتانه عن دينه فقالوا: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا تهتد، وكانت النصرارى من وفد نجران قالوا من قبل مثل تلك المقولة فرد الله عليهم في ذلك فنزل قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ آهَتُوا وَإِنْ قَالُوا فِيمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ نَسْتَكْفِيهِمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٢٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٢٩﴾ أَمْ نَقُولُ أَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ مَا أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٥ - ١٤٠].

لقد كانت هذه صورة من صور المجادلة وبيان الحق لليهود عندما كانوا يثيرون القضايا التاريخية وهم يزعمون أنهم أهل الكتاب الأول وأنهم على حق.

٧ - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن كعب بن أسد، وابن صلوبا، وعبد الله بن سوريا وشاس بن قيس قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه فقالوا: يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم وأنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَمِيتَكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ أَحْكَمْتُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٨، ٤٩] (١).

إن هذه المحاولات التي كان اليهود يحاولون التأثير بها على مواقف رسول الله ﷺ ليتخذوها حجة لحرب الإسلام وأهله والتشكيك في صدق رسول الله ﷺ إنها أساليب اليهود منذ القدم في تحريف أحكام شرائع الله، وصد الناس عنها بأي وسيلة كانت ليتحكموا في الأنظمة التي يلزمون الناس بها حيث يطبقونها متى شاؤوا ويعطلونها متى شاءوا حسب أهوائهم والمصالح اليهودية التي يرونها. أما أن تكون شريعة ثابتة لا تخضع للأهواء والمؤثرات فلن تحقق لهم ما يريدون. لقد نجح اليهود قديماً في تحريف الديانات ومنها الدين النصراني حيث أدخلوا فيه من الوثنيات ما شاؤوا أن يدخلوه وتحكموا في الديانات الوضعية ولبسوها على أصحابها، فأصبحوا ألعوبة بيد اليهود،

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام مع حاشيته الروض الأنف ٢/٢٨٢، وانظر تفسير ابن كثير ٦٧/٢.

ولكن شريعة الإسلام استعصت عليهم فلم تجد محاولاتهم مع رسول الله ﷺ ولا مع الصحابة من بعده.

٨ - ولعل أخطر دور كان يلعبه اليهود هو تأمرهم مع المنافقين على تخريب المجتمع الإسلامي من داخله.

لقد رأى اليهود في تلك الفئة من الناس ضالتهم، حيث وجدوا زعماء للمنافقين كعبد الله بن أبي يأكل الحقد قلبه لفوات الملك والزعامة من بين يديه بعد أن كان قاب قوسين منه. ووجدوا في أتباعه، راعاً لا يستخدمون عقولهم وإنما تحركهم العصبية الجاهلية، وتجمعهم المصالح الآنية العاجلة، ويدفعهم الحرص عليها على التظاهر بالإسلام والاختلاط بالمسلمين وحضور جمعهم وجماعاتهم والخروج معهم إلى الجهاد أحياناً بغية الحصول على الغنائم ولدرء خطر التوجه إليهم. وكان اليهود يتصلون بهم سراً لتوجيههم وأخذ المعلومات منهم للتعرف على الثغرات التي ينفذون منها إلى الصف الإسلامي لإثارة الفتن ونشر الإشاعات ومحاولة صرف الناس عن دينهم.

ولعل أدق تعبير جاء عن دور اليهود في هذا التوجيه والفتنة ما عبر عنه القرآن الكريم بالشياطين، فكما يوسوس شياطين الجن في قلوب الناس كلما وجدوا غفلة عن ذكر الله ومجالاً لبث نفثاتها، كذلك شياطين الإنس كانوا يوجهون في الخفاء أتباعهم من المنافقين وينفثون سمومهم وفتنهم في المجتمع، فكان المنافقون يتصلون بالمؤمنين ويتظاهرون بالإيمان ولكن عند اجتماعهم بشياطين الإنس جددوا لهم العهد أنهم على ما عهدوا فيهم من الولاء والتبعية لهم.

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ ^(١) قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ [البقرة: ١٤، ١٥].

ولقد حذر الله سبحانه وتعالى المنافقين على فعلتهم السيئة ووبخهم على

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي في تفسير كلمة الشياطين ٣٥/١.

موالاتهم اليهود من دون المؤمنين، وأن ذلك لن يغني عنهم شيئاً في الدنيا والآخرة، وأمرهم بعدم غشيان مجالس أولئك الكفرة الذين يستهزؤون بكتب الله ورسله، وبين لهم أن هذا التذبذب في المواقف سيجرهم إلى أوحم العواقب وأسوأها: يقول عز من قائل: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨﴾ الَّذِينَ يَلْبَسُونَ الْكُفْرَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْبَسْنَاهُمْ لِيُظْهِرُوا مَا فِي الْكُفْرَانِ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَصِمُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّهُمْ فِي عَذَابٍ مُبِينٍ ۝١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذَا يَنْتَهَيْتُمُ عَنْ الْمُنَافِقِينَ وَالْكُفْرِينَ فِي جِهَتِهِمْ ۝١٤٠﴾ الَّذِينَ يَرَبُّوْنَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ عَلَيْهِمْ وَتَمَنَعْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۝١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لِآلِ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ۝١٤٣﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا كُفْرًا لَا يَنفَعُهُمْ إِذْ يَأْتِيَنَّ السَّاعَةَ ۗ سَاءَ الَّذِي يَتَّخِذُ الْكُفْرَانَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۝١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦﴾ ﴿[النساء: ١٣٨ - ١٤٦].

إنه كشف فاضح للمظاهر والممارسات التي كان المنافقون يؤدونها وبيان لأمارات شخصية ومقولات سيئة كانوا يتفوهون بها وخداعاً وتمويهاً، ولكن أحوالهم لا تخفى على ذي بصيرة إيمانية. ومع كل ما قاموا به وما تفوهوا به تجاه المسلمين وتجاه دعوة الله، فإن الله سبحانه وتعالى الرحيم بعباده فتح لهم باب التوبة وأطمعهم فيها بشرط أن يقلعوا عن تلك الصلوات مع اليهود وأن يصلحوا نفوسهم بالالتزام بأحكام الشرع وتطبيقها نصاً وروحاً ويتوجهوا بقلوبهم إلى الله ويتركوا هذه الخصلة البغيضة، فعندئذ سيدخلون في زمرة المؤمنين الصادقين ليكون لهم الأجر العظيم في الدارين.

لقد كانت العهود والمواثيق السرية الخاصة بين المنافقين واليهود على الولاء والتناصر تلعب دوراً في إثارة المشكلات في المجتمع المدني.

وما توسط ابن أبي بن سلول وإلحاحه على رسول الله ﷺ لترك قتل
يهود بني قينقاع والاكْتفاء بإجلالهم إلا لون من ألوان تنفيذ العهود السرية،
وكذلك الصلوات السرية مع يهود بني النضير، هذه الصلوات التي فضحها الله
سبحانه وتعالى وبيّن أن المنافقين ورّطوا حلفاءهم اليهود ثم تخلوا عنهم كما
يفعل الشيطان باتباعه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِغُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ
لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا
يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصَرُّونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي
صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُفْقِدُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَفُوعًا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ
عَدَابُ آيِمٍ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ١١ - ١٦].

وحتى في هذا السياق وفي التعقيب على هذا التآمر ثم التخاذل يعقب
القرآن الكريم على موقف المنافقين ويفتح لهم باب الأمل وأن لا يكونوا مثل
هؤلاء اليهود الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فلا هم لهم إلا الفساد والإفساد
في الأرض، فضلوا وأضلوا.

لعلها إثارة لبقايا ما كان المنافقون يتظاهرون به من الإسلام وتوجيه
الخطاب بصفة الإيمان فتح باب الأمل لهم وإطعامهم، وخير علاج لأمراض
قلوبهم هو هذا القرآن الذي لو أنزل على جبل لخشع وتصدع رهبة وخشية من
الذي كان هذا كلامه.

وتختتم الآيات بذكر بعض أسماء الله الحسنی الدالة على أن فتح باب
الأمل للناس رحمة بهم والله الملك القدوس المهيمن العزيز الجبار، لا ينقص
ضلال هؤلاء وغيرهم من ملكه شيئاً كما لا يزيد إيمانهم شيئاً في ملكه ولكن
من رحمته بعباده أن لا يرضى لهم الكفر.

وسورة المجادلة تكشف لنا جانباً من هذه العلاقة بين المنافقين واليهود،

وهذا الولاء القوي الذين لا يفسره إلا جمعهم على عداوة المسلمين يقول جل شأنه:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ نُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ آلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المجادلة: ١٤ - ١٨].

إن تكرار هذه التحذيرات في القرآن الكريم حول موالاته الكفار، والنكير على من لا يرتدع ولا يكف عن الاتصال بأعداء الله المغضوب عليهم من اليهود للدليل على أن مكر اليهود لم ينته، وأنه كان ذا أثر كبير على المجتمع الإسلامي وكانت صيانة المجتمع الإسلامي تتطلب مثل هذا التكرار والتنبيه والتحذير من العواقب.

تعقيب

ما ورد في تفضيل بني إسرائيل وتوجيهه

جاءت آيات عديدة في القرآن الكريم تذكر بنعم الله على بني إسرائيل ومنها أنه فضلهم على العالمين كقوله تعالى: ﴿يَبْنَئِ إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة: ٤٧، ١٢٢].

﴿قَالَ أَعْيَزَ اللَّهُ أَبِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف: ١٤٠].

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٣، ٢٤].

وقد يتساءل بعض الناس ألا تدل هذه النصوص من القرآن الكريم على تفضيل اليهود وتميزهم واختيارهم دون سائر العالمين؟!

نقول إن هذا التفضيل كان بسبب اختيارهم لحمل رسالة ربهم فكانت الميزة مقترنة بالقيام بأعباء الرسالة فكانوا في عصرهم مفضلين على الأمم الوثنية والمشركة لأنهم أتباع الرسل وأنهم حملة رسالة التوحيد. ولكن بعد تخليهم عن حمل الرسالة، وأفعالهم الشنيعة في التحريف والتبديل وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقتل الأنبياء بغير حق استحقوا اللعن والطرده من رحمة الله وضرب الذلة والمسكنة عليهم إلى يوم الدين.

يقول سيد قطب: وتفضيل بني إسرائيل على العالمين موقوت بزمان استخلافهم واختيارهم فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم وعصوا أنبياءهم وجحدوا نعمة الله عليهم وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة وقضى عليهم بالتشريد، وتذكير الله لهم بهذا التفضيل منه إطماع لهم كي ينتهزوا الفرصة المتاحة على يد الدعوة الإسلامية فيعودوا إلى موكب الإيمان^(١).

إن كل نعمة يقابلها تكليف، وكل تكليف يترتب عليه أجر ومثوبة فإن قام بها المكلف استحق الأجر والمثوبة، أما إذا أهمل أو غير حسب هواه فإن عقوبة الله العاجلة والآجلة له بالمرصاد فلما تخلى بنو إسرائيل عن القيام بالمهام وصموا بهذا العار الأبدي في العاجلة وفي الآجلة لهم عذاب عظيم. يقول الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

﴿فِظَلِرِ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٥﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْبَهُمْ آمَوالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٥، ١٦٦].

إن الأحكام التي بينت أسبابها وعللها ينبغي عدم بترها عن تلك الأسباب والعلل ولا ينبغي تجزئة آيات الكتاب والإيمان ببعضها وترك بعضها كما هو الحال مع اليهود الذين ذم الله سبحانه وتعالى هذه الخصلة فيهم: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقُولُونَ أَنفُسَكُمْ وَنُحْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجَهُمْ أَفْتُونُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

إن العدل الرباني لكل الناس ولا يظلم ربك أحداً، لقد وجد من بني

(١) في ظلال القرآن ٦٩/١.

إسرائيل أتباع للأنبياء ناصرُوا الحق مع رسلهم وضحوا في سبيل ذلك فاستحقوا ثناء الله عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ولكن الله لا يحابي أحداً عندما يكون الانحراف عن منهج الله وعن وحيه إلى الإخلاق إلى الأرض وإلى شهوات النفس وإلى تيه الأهواء وضلال العقول ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [٦٠] وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ [٦١] وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِنْتِمَاءِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٦٢] لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِنْتِمَاءَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ [٦٣] [المائدة: ٦٠ - ٦٣].

إنه العدل الإلهي المطلق فهو يمدح المحسن على إحسانه وطاعته واستقامته على الطريقة. ويذم المعاند المشاق المتمرد على طاعة ربه.

ومن خلال دراسة النصوص الكريمة نجد أن هذا التفضيل مشروط بشروط:

أ - أنهم لما التزموا مقتضى الإيمان واتبعوا موسى عليه السلام وطبقوا شرائعه صاروا أصحاب فضل على معاصريهم الآخرين لأنهم كانوا على الوثنية والشرك.

ب - كما أنهم استحقوا الثناء عليهم وذكر فضلهم بسبب صبرهم الدال على قوة إيمانهم.

ج - كما أن التعبير بـ(لما صبروا) ولما تفيد الظرفية، فيكون تفضيلهم وجعلهم أئمة كان محددًا بظرف خاص، وموقتاً بزمان خاص، وهو الزمان الذي تحقق فيه إيمانهم وسط كفر من حولهم، ووجد فيه صبرهم النابع من

إيمانهم، ففضيلهم إنما كان على (عالمي) زمانهم، وليس على كل العالمين حتى قيام الساعة. وال التعريف في (العالمين) للعهد الذهني المأخوذ من سياق الآيات التي تعرض قصتهم.

وقد مضى زمانهم وانقضى قبل بعثة رسول الله ﷺ، وقبل وجود الأمة المسلمة (وارثة) بني إسرائيل في التفضيل على العالمين والقيام بحمل الرسالة ونشرها والقيام بالخلافة في الأرض^(١).

إن الذين يتلون الآيات السابقة في القرآن الكريم عليهم أن لا يغفلوا الآيات الأخرى التي تحدثت عن حكم الله في بني إسرائيل عندما غيروا وبدلوا وحرّفوا وكتّموا فقد جاء فيهم القدر الإلهي الممتد:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَنْ مَآ تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١٢].

بل كان أنبياءهم يعلنون حكم الله فيهم بسبب تمردهم على أحكام التوراة وتماديهم على الانحراف والفجور وخنق الحق ودعم الباطل.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

واليهود لا يعرفون للمبادئ حقيقة، ولا تنطوي قلوبهم على تقدير للمثل ولا يقتنعون بقدسية للعبادات، بل معبودهم ما يختلقونه بأيديهم ويتخذون ما سواه هزواً ولعباً.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: ٦٠].

(١) انظر ذلك في الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص ١١٥.

ويتحمل أحبار السوء الإثم الأكبر لأنهم أعانوهم على انحرافهم ولم ينهوه عن الفساد الذي انغمسوا فيه، بل كانوا يشاركونهم في ذلك.

﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمْ الرِّبِّيُّونَ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْآثِمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفْقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَيْدًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة: ٦٣، ٦٤].

إن قوماً يقرأون الآيات التي ذكر فيها تفضيل بني إسرائيل على العالمين ويغفلون الآيات التي جاءت في وصفهم بأقبح الأوصاف وذكرت تخليهم عن مقومات الفضل والريادة واستحقوا غضب الله عليهم إلى يوم القيامة، إن من يقرأ بعض آيات الكتاب ويغفل دلالات الآيات الأخرى، كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه وهو صنيع اليهود في كتبهم.

إن المقرر الثابت في شرائع الله ورسالات أنبيائه أن لا نسب بين الله وبين أحد من خلقه، وإنما هي الأمانة والتكاليف فمن قام بها وأداها وتقرّب إلى الله بما شرع استحق رضوان الله.

ومن تقاعس عنها ولم يقم بها على وجهها استحق غضب الله وعقوبته ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٧].

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [القتال: ٣٨].

ب - المجابهة الحربية مع اليهود:

كان رسول الله ﷺ حريصاً على تأليف قلب اليهود المقيمين في المدينة، وذلك لفتح المجال أمامهم لتدبر دعوة الحق عن قرب، ولكف آذاهم عن

المسلمين في بداية مرحلة جديدة والمسلمون يقدمون على تأسيس دولة وإقامة مجتمع إسلامي على أسس جديدة.

فكان الميثاق الذي كتبه الرسول ﷺ وحدد فيه المسؤوليات للفتات الثلاث: المسلمين واليهود والمشركين.

وكان من أهم البنود:

١ - الدفاع المشترك عن المدينة تجاه من يقصدها بسوء مهما كان انتماءه.

٢ - تحمل النفقات العامة والديات.

٣ - عدم إحداث شيء يناقض الميثاق، وعدم إيواء المحدثين.

ويظهر من تفاصيل الميثاق أن اليهود لم يكونوا حلفاً واحداً بل كانت لهم ولاءات متعددة وأحلاف مع أطراف، فمنهم من كان يوالي الخزرج ومنهم من يوالي الأوس ومنهم من يوالي بني النجار ومنهم من يوالي قبائل صغيرة..

لذا نصت الوثيقة على جميع هذه الأطراف تفصيلاً^(١).

لم تكن المجابهة بين المسلمين واليهود في المدينة حرباً بالمعنى المعهود للحرب، وإنما كانت حملات تأديبية كلما كثرت دسائسهم وفسادهم داخل المجتمع الإسلامي.

١ - حملة لتأديب بني قينقاع:

وكانت أول حملة تأديبية لليهود ما جرى لليهود بني قينقاع يقول كتاب

(١) انظر نص الوثيقة في السيرة النبوية لابن هشام ٢/٢٤٢. مع حاشية الروض الأنف

وانظر الفقرات المنقولة في هامش ص ٧١، ٧٢ من الكتاب.

السيرة: لما كانت وقعة بدر أظهر يهود بني قينقاع البغي والحسد ونبذوا العهد والمدة فأنزل الله تعالى على نبيه: ﴿وَأِمَّا مَخَافَتٌ مِّن قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَأَنْذِرْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]، قال رسول الله ﷺ: إني أخاف بني قينقاع^(١).

وذلك لأنهم كانوا لا يخفون عداهم للمسلمين، وكانوا يقولون: أغرَّ محمدًا أنه غلب أعراباً لا عهد لهم بالحرب ولو لاقانا لوجدنا أننا الرجال^(٢).

وكانت الحادثة التي أوقدت الشرارة عليهم: أن امرأة مسلمة قدمت بجلب لها فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سواتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهودياً، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون، فوقع الشر بينهم وبين يهود بني قينقاع.

فسار إليهم رسول الله ﷺ يحمل لواءه عمه حمزة بن عبد المطلب،

(١) انظر طبقات ابن سعد ٢/٢٩.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ جمع يهود بني قينقاع في سوقهم ثم قال: يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله عليكم، قالوا يا محمد إنك ترى أنا قومك!! لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أن نحن الناس، فأنزل الله فيهم قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلِبُونَ وَتَحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ، قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنِيتِنَا فَتَنَّا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرُونَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ سورة آل عمران: الآية ١٢.

انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/١٣٧، وفتح الباري ٨/٣٣٤ وتفسير ابن كثير ٢/١٤، والكامل في التاريخ ٢/١٣٧.

فحاصرهم خمس عشرة ليلة، قذف الله في قلوبهم الرعب فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر المنذر بن قدامة السالمي بتكتيفهم ليضرب أعناقهم.

فلما رأى رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول رجال بني قينقاع قد كتفوا لتضرب أعناقهم جاء إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا محمد أحسن في موالي وكانوا حلفاء الخزرج في الجاهلية، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد أحسن في موالي، فأعرض عنه رسول الله ﷺ فأدخل يده في جيب درع النبي ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: أرسلني، وعرف الغضب في وجه رسول الله ﷺ، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ: هم لك^(١).

فحكم فيهم رسول الله ﷺ بإجلائهم من المدينة خلال ثلاثة أيام، على أن يصطحبوا معهم الذرية والنساء، وللمسلمين السلاح والأموال.

وكلف عبادة بن الصامت - وكان حليفهم في الجاهلية فتبرأ منهم عندما نقضوا العهد - بالإشراف على إجلائهم، فمضى بهم حتى سلخوا طريق الشام ونزلوا بأذرعات.

وفي موقف ابن أبي بن سلول وعبادة بن الصامت نزل قوله تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٦].

(١) انظر السيرة النبوية لابن كثير ٦/٣ والكامل في التاريخ ١٣٨/٢.

لقد كان لموقف رسول الله ﷺ من اليهود ومن رأس المنافقين أثر بالغ في نفوس الناس فبإبعاد بني قينقاع من المدينة كفّ شرهم وقطع دابر تأمرهم مع حلفائهم من المنافقين، وكان في ذلك إضعاف لموقف ابن أبي بن سلول ولو لم يجب طلبه بالكف عن قتلهم فلربما أثار فتنة هوجاء في المدينة خاصة وأن كثيراً من بني عوف من الخزرج كانوا يسمعون له مسلمهم ومشرکهم عصبية، وكان الوقت مبكراً لكشف حقيقة ابن أبي أبي، فقد حدثت فيما بعد أحداث عزّته تماماً أمام العقلاء من مؤيديه، بل وصل الحد إلى ولده وكان يسمى عبد الله أيضاً أن يطلب من رسول الله قتل أبيه إن كان قد حكم بقتله لأنه يخشى إن تولى غيره ذلك أن لا يستطيع رؤية قاتل أبيه فيقتله، فيكون قد قتل مسلماً بكافر فيدخله الله النار^(١) ولكن رسول الله ﷺ كان يقول له المرة تلو الأخرى، سنحسن إلى أبيك ما دام بيننا، ولم يشأ أن يقول الناس إن محمداً يقتل أصحابه، نظراً لتظاهر المنافقين بالإسلام ولكي لا يتخذ ذلك سنة في الولاة من بعده فيقتلون مناوئهم على الظنة، لقد كانت سياسة حكيمة من رسول الله ﷺ أن يكف شر المفسدين ويقطع روافد الفتنة ويحصرها في موقعها، ويجب المجتمع الإسلامي الاضطراب ولما ترسخ دعائمه ويشتد سوقه.

٢ - حملة التأديب لبني النضير:

والحملة الثانية التي قام بها رسول الله ﷺ ضد اليهود ما كان من حملته ضد بني النضير:

فقد نشط المنافقون وشياطينهم من اليهود بعد غزوة بدر واتصل زعيم بني النضير كعب بن الأشرف بالمشركين من قريش يحثهم على الثأر لقتلهم في بدر، ووعدهم بتقديم الدعم لهم، وليحمل قريشاً على الثقة بكلامه أثنى على أصنامهم ودينهم وارتد على عقبيه ليقول كلمته الفاجرة لقريش أنتم أهدي سبيلاً من المسلمين، فسجل القرآن عليه وعلى من معه من اليهود هذه الارتكاسة، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ

(١) انظر ذلك في تفسير ابن كثير... في تفسير سورة المنافقون: ٣٧٢/٤.

وَالظَّالِمُونَ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلَكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمَنْهُمْ مَّن ءَامَنَ بِهِ وَمَنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴿ [النساء: ٥١ - ٥٥].

ولم يقتصر نشاط زعماء بني النضير على ذلك، بل استطاعوا عن طريق حلفائهم من المنافقين أن يخذلوا الجيش الإسلامي في أحد فينسحب ابن أبي بثلث الجيش بعد مغادرتهم المدينة إلى أرض المعركة في أحد^(١). وهو يدعي أنه لن يحدث قتال كما أخبر القرآن الكريم عنهم. ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنَجَّىٰ الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَاقَبُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَمَالَوْا فَتَمَلَّؤُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦٦ - ١٦٧].

وكان شعر كعب بن الأشرف ينتشر بين المنافقين في المدينة، ويؤجج نار الحقد في قلوبهم وكانت شماتته بالمسلمين لما أصابهم يوم أحد، ومن المعلوم أن للكلمة دوراً في المعارك لا يقل عن دور الحلقة.

إلى جانب استهتاره بالقيم الإسلامية وتشبيهه بالنساء العفيفات من المؤمنات الطاهرات، حتى قال رسول الله ﷺ «من لي بكعب بن الأشرف فقد أذى الله ورسوله»^(٢). فكان أمر اغتياله وارتاح المسلمون من شره.

وفي هذا النشاط المحموم لليهود ضد الإسلام والمسلمين حدثت حادثة تآمرهم على قتل رسول الله ﷺ عندما خرج إلى بني النضير يطالبهم بالمساهمة

(١) ولعله السر في ورود ذكر أهل الكتاب في سياق الحديث عن غزوة أحد في سورة آل عمران حيث نهت الآيات الكريمة عن اتخاذ بطانة من دون المؤمنين، ومقابلة أهل الكتاب للمؤمنين بوجه وما تخفيه صدورهم من الحقد والبغضاء وإرادة السوء بالمؤمنين أعظم مما يصدر على ألسنتهم. انظر الآيات ١١٨ - ١٢٠ من سورة آل عمران.

(٢) انظر صحيح البخاري مع شرح فتح الباري ٣٣٩/٨.

في ديات لزمت المسلمين نتيجة قتل خطأ ارتكبه أحد الصحابة^(١)، وكان من بنود المعاهدة التي وقع اليهود عليها المساهمة في التكاليف التي تلزم السلطة الإسلامية في المدينة باعتبارهم من مواطني هذه السلطة^(٢).

فلما علم رسول الله ﷺ بهذه المؤامرة عن طريق الوحي رجع إلى المدينة وأرسل إليهم أن اخرجوا من المدينة فلا تسكنوني بها وأخبرهم بما تأمروا عليه من قتله ومحاولة إلقاء عمرو بن جحاش صخرة عليه من فوق الجدار.

وأجلهم عشراً، وبينما هم يستعدون للجلاء ومنهمكون في إحضار الإبل أرسل إليهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول أن لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم فإن معي ألفين من قومي وغيرهم يدخلون حصونكم ويموتون دونكم قبل أن يوصل إليكم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان. فطمع بنو النضير واغتروا بهذه الوعود فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك. وكان على رأس يهود بني النضير بعد كعب بن الأشرف حيي بن أخطب، فنصحه بعض عقلاء اليهود أمثال سلام بن مشكم حيث قال له: منتك نفسك والله يا حيي الباطل، فإن قول ابن أبي ليس بشيء، وإنما يريد أن يورطك في الهلكة حتى تحارب محمداً فيجلس في بيته ويتركك، ألا ترى أنه أرسل إلى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة أن تمدكم بنو قريظة، فقال له: لا ينقض رجل واحد منا العهد فأيس من بني قريظة، وأيضاً قد وعد حلفاءه من بني قينقاع مثل ما وعدك حتى حاربوا ونقضوا العهد وحصروا أنفسهم في صياصيهم وانتظروا ابن أبي فجلس في بيته وسار إليهم محمد حتى نزلوا على حكمه، فإذا كان ابن أبي لا ينصر حلفاءه ومن كان يمنعه من الناس ونحن لم نزل نضربه بسيوفنا مع الأوس في حروبهم^(٣) فقال حيي نأبى إلا عداوة محمد وإلا قتاله. فقال سلام بن مشكم: فهو والله جلاؤنا من أرضنا، وذهب أموالنا وشرفنا وسبي ذرارينا مع قتل مقاتلينا. فأبى حيي إلا محاربة رسول الله ﷺ وألقت بنو النضير له قيادها.

(١) انظر الحادثة في السيرة النبوية لابن هشام ٢٤٠/٣ والسيرة الحلبية ٥٦٠/٢.

(٢) انظر بنود المعاهدة فيما تقدم ص ٧١.

(٣) كان بنو قينقاع حلفاء الخزرج في الجاهلية، أما بنو النضير وبنو قريظة فكانوا حلفاء الأوس.

وتحدثت سورة الحشر - وتسمى سورة بني النضير أيضاً - عن هذه الحملة التأديبية لبني النضير، وعن موقف المنافقين الذين تمالؤا مع اليهود حيث جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿لَمَّا تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِن أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِن نَصَرُوهُمْ لَيُؤَلِّقُوا الْآذَانَ لَمَنْ لَآ يَبْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَابًا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُفْلِحُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر: ١١ - ١٧].

وبعد حصار دام بضعة وعشرين يوماً ينس يهود بني النضير من مناصرة المنافقين لهم فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ ورضوا بالجلء على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(١) فخرجوا إلى خيبر وحزن المنافقون لخروجهم أشد الحزن^(٢) وكان هذا الإجلء في السنة الرابعة للهجرة بعد غزوة أحد بأشهر لتبدأ مرحلة جديدة في نشاط اليهود من خلال القيادات التي انتقلت إلى خيبر بعد انتقال بني النضير إليها وكان نشاطهم ذا شقين تأليب القبائل العربية على المسلمين من خلال تحريك قريش وحلفائها ومن خلال تحريك بني قريظة وهي القبيلة اليهودية الثالثة التي كانت لا تزال تساكُن المسلمين في المدينة، ولم تكن تعلن عن مناقضتها للعهد ولا تظاهر أحداً على المسلمين، ولكن حقد حبي بن أخطب ومن معه من يهود خيبر لم يكن ليترك بني قريظة بمنأى عن غدرهم وكيدهم وتآمرهم على المسلمين. فكانت سبباً في مصرع بني قريظة كما يأتي.

(١) آلة الحرب.

(٢) انظر أحداث غزوة بني النضير في سيرة ابن هشام ٢٤٠/٣ وزاد المعاد ١١٠/٢ والسيرة الحلبية ٥٥٩/٢ وتفسير ابن كثير: ٣٤٠/٤.

تعقيب الاغتيال السياسي

لقد كان بين الفترة والأخرى يوجه رسول الله ﷺ بعض شباب المسلمين لاغتيال بعض زعماء اليهود كما فعل رسول الله ﷺ عندما قال:

- (من لي بكعب بن الأشرف فقد آذى الله ورسوله)^(١) فانتدب له محمد بن مسلمة وسلكان بن سلامة (أبو نائلة)، وعباد بن بشر بن وقش والحارث بن أوس بن معاذ وأبو عيسى بن جبر، وليلة تنفيذ المهمة مشى معهم رسول الله ﷺ إلى البقيع ثم ودعهم قائلاً: انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم^(٢)، وبقي في انتظارهم فلما رجعوا استقبلهم قائلاً أفلحت الوجوه^(٣).

- عمرو بن جحاش: وهو الذي انتدب لإلقاء الحجر على رسول الله ﷺ. فبعد غزوة بني النضير قال رسول الله ﷺ ليامين بن عمير - الذي أسلم -: ألم تر ما لقيت من ابن عمك، وما همم به من شأني؟ فجعل ابن عمير لرجل جعلاً على أن يقتل له عمرو بن جحاش فقتله.

- أبو رافع سلام بن أبي الحقيق: ركب في نفر من بني قومه بني النضير إلى قريش وغطفان وثقيف وغيرهم من قبائل العرب يؤلبهم على حرب رسول الله ﷺ، وذلك بعد إجماع بني النضير إلى خيبر، حيث نزل أبو رافع في أحد حصونها، فأرسل إليه رسول الله ﷺ خمسة نفر من الخزرج وهم: عبد الله بن عتيك، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، والأسود بن خزاعي،

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٨/٣٣٩. والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/٣٢.

(٢)(٣) فتح الباري ٨/٣٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ٣/١٣.

ومسعود بن سنان^(١)، فتمكنوا من قتله في داره ليلاً. ولو نظرنا في سيرة هؤلاء لوجدناهم يقومون بأعمال ضد الدولة وضد رئيسها وضد المجتمع الإسلامي:

١ - نقضهم العهد الذي التزموا فيه بمناصرة المسلمين ضد كل عدو خارجي وعدم إيواء المحدثين المعادين أو إعطائهم الجوار.

٢ - تحريض الأعداء على حرب المسلمين.

٣ - الحرب الإعلامية ضد المسلمين من هجاء رسول الله ﷺ والمسلمين ورتاء قتلى المشركين.

٤ - التشييب بالمسلمات القاتلات وإشاعة الفحش من القول.

٥ - التآمر على قتل رسول الله ﷺ، وانتداب أحدهم لذلك (عمرو بن جحاش).

على ضوء ما تقدم يثور سؤال:

ما حكم الاغتيال السياسي الآن؟!

لإصدار الحكم الشرعي في ذلك لا بد من استقراء النصوص والاطلاع على أقوال العلماء فيها، ولعل ما ينبغي مراعاته جملة أمور منها:

١ - شروط في ولي الأمر الذي يصدر الحكم أو الأمر:

أ - أن يصدر القرار من أعلى سلطة مسؤولة في الدولة.

ب - أن يكون الأمر مجمعاً عليه، من غير مخالف.

ج - أن يترتب على تنفيذ القتل علناً فتنة أكبر.

د - أن لا يترتب على تنفيذ الاغتيال فتنة أكبر.

(١) صحيح البخاري بشرح فتح الباري: ٢٦/٥ كتاب المغازي، انظر الكامل في التاريخ

١٤٦/٢.

٢ - شروط في المغتال الذي تقرر اغتياله :

أ - أن يكون كافراً - على ملة غير الإسلام - خالف شرط الذمة والعهد، أو مسلماً خالف أمراً معلوماً من الدين بالضرورة، فحكم عليه بالردة إجماعاً.

ب - أن يكثر فساده وشره، وتقدير ذلك يعود إلى أهل الشورى أو أهل الحل والعقد، أو اللجنة العليا.

ج - أن يكون إجماع بين أهل الحل والعقد على استحقاقه القتل نتيجة أفعاله المخرجة له من الملة.

إن العمل بحد ذاته مشروع لأن رسول الله ﷺ قد أمر به وهو المشرع، ولكن لا بد له من ضوابط تكبح جماح الحكام لئلا يتخذ فعل رسول الله ﷺ ذريعة للفتك بكل من خالفهم الرأي أو كانت له انتقادات سياسية للحكم.

وهذا اللون من القتل أو تنفيذ حكم الله في المفسدين في الأرض غير حكم إهدار الدم، إذ إن إهدار الدم يكون الحكم فيه علنياً، ولا يحدد شخص ولا طائفة لتنفيذه، وإنما يشجع عليه مقابل أجر أخروي أو دنيوي.

٣ - حملة التأديب لبني قريظة :

لم يكن اليهود لتكف عن إيقاد نار الحروب ضد المسلمين، فبعد أن أجليت بنو النضير عن المدينة اتخذوا خيبر وكرأ لتأمرهم وقاعدة لانطلاق مسعري نار الفتنة إلى القبائل العربية، فقد ركب حبي بن أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن أبي الحقيق وهوذة بن قيس وأبو عامر الفاسق إلى قريش في مكة يحرضونهم على حرب الرسول ﷺ وبقوا معهم يوسوسون لهم ويزينون لهم قتال المسلمين حتى حملوا خمسين رجلاً من بطون قريش على التحالف وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين بأستارها أن لا يخذل بعضهم بعضاً ويكونون يداً واحدة على محمد ما بقي منهم رجل.

عندئذٍ شعر الوفد بالراحة، فخرجوا من مكة إلى غطفان ودعوهم إلى حرب المسلمين وقالوا لهم إنا سنكون معكم وإن قريشاً قد بايعوهم على ذلك

وجعلوا لهم تمر خبير سنة إن هم نصرورهم على المسلمين^(١).

فخرجت قريش في أربعة آلاف مقاتل على رأسهم أبو سفيان بن حرب يحمل لواءهم عثمان بن طلحة، وخرجت غطفان وفزارة وبنو مرة وبنو سليم وبنو أسد وبنو أشجع وعلى رأسهم عيينة بن حصن الفزاري الأحق المطاع وطلحة بن خويلد الأسدي والحارث بن عوف المري وأبو مسعود بن ربيعة الأشجعي وكلهم صناديد أقوامهم في ستة آلاف مقاتل تتمة العشرة آلاف. ليخيموا بمجمع الأسيال بالقرب من المدينة في ثلاثة عساكر وملاك أمرها إلى أبي سفيان.

ولم تنته مكيدة اليهود عند هذا الحد بل أرسل حبي بن أخطب إلى قريش بعد أن عسكروا بالقرب من المدينة - أن يرسلوا إليه ألف رجل، وإلى غطفان أن يأتيه منهم ألف رجل ليغيروا على المدينة من الخلف، فصار خوف رسول الله ﷺ والمسلمين على الدراري أشد من الخوف على أهل الخندق.

ولم يفت حبي بن أخطب موقع بني قريظة في المعركة وكان قد وعد قريشاً أنهم سيكونون معهم، وهم سبعمائة وخمسون مقاتلاً، فأتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة فدق باب حصنه، فأبى أن يفتح له وألح عليه في ذلك فقال له: ويحك يا حبي إنك امرؤ مشؤوم، وإنني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً، فقال له: ويحك افتح لي أكلمك، فقال: ما أنا بفاعل، فغاضه، فقال له: والله ما أغلقت دوني إلا تخوفاً على جيشيتك^(٢) أن آكل معك منها، ففتح له، فقال له: ويحك يا كعب، جئت بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجمع الأسيال، وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد، قد عاهدوني وعاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه، فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر، وكل ما يخشى، فإني لم أر في محمد إلا صدقاً ووفاء ويحك يا حبي دعني وما أنا عليه.

(١) انظر السيرة الحلبية ٢/ ٦٣٠.

(٢) الجيشية: هي أن تطحن الحنطة طحناً جليلاً ثم تجعل في القدر ويلقى عليها لحم أو تمر وتطبخ. انظر النهاية لابن الأثير: ١/ ٢٧٣.

فلم يزل حيي بكعب حتى أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يقتلوا محمداً أن يكون معه في حصنه ويصبيه ما أصابه. فعندئذ نقض كعب العهد وبريء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ ومزقوا الصحيفة التي كان بها العقد. وجمع رؤساء قومه وأعلمهم بما صنع من نقض العهد وشق الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ^(١) وهذا ما يحدثنا به القرآن الكريم من أمر اليهود مع الأحزاب حيث يقول تعالى: ﴿تَأْيِهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ٩ - ١١].

كان اليهود المحرك للتجمع والحشود من الخارج، وكان المنافقون يشيرون الإشاعات والأراجيف بين صفوف المقاتلين خلف خطوط المسلمين، فمن قائل إن محمداً كان يعدنا بلاد فارس وقصور الشام ونحن الآن نخندق على أنفسنا من الخوف ولا يأمن أحدنا أن يذهب لقضاء حاجته، ومنهم من كان يتعلل بأوهى الأعذار لترك الساحة ويفر من الميدان يزعم أن بيوتهم مكشوفة للعدو.

ولكن المؤمنين الصادقين كان لهم شأن آخر يقول الله تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿١٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢ - ٢٤].

ولما وصل خبر نقض العهد من اليهود إلى رسول الله ﷺ أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عباد إليهم للتأكد من الخبر فوجدوهم قد نقضوا العهد ونالوا

(١) انظر السيرة الحلبية ٢/٦٣٨.

وزاد المعاد لابن القيم ٢/١١٧، والسيرة النبوية لابن هشام بحاشية الروض الأنف ٣/٢٦١.

من رسول الله ﷺ، وتبرؤوا من عقده وعهده فشتهم سعد بن معاذ وهم حلفاؤه في الجاهلية، وشاتمهم سعد بن عبادة، فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمهم فما بيننا وبينهم أربى. وبعد أن اطمأن حبي بن أخطب إلى نجاح مخططه مع بني قريظة صار يمد قريشاً بالمؤن ليستمروا في حصار المدينة، وفي أحد الأيام وبينما طائفة من الأنصار خرجوا ليدفنوا ميتاً منهم بالمدينة صادفوا عشرين بعيراً لقريش محملة شعيراً وتمرّاً وتبناً، حملها ذلك حبي بن أخطب شداًداً وتقوية لقريش، فأتوا بها رسول الله ﷺ فتوسع بها على أهل الخندق^(١).

ولما رجع المشركون خائبين وأرسل الله عليهم جنوده من الريح ومما لا يرى ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

كان لا بد من محاسبة بني قريظة على فعلتهم هذه وخيانتهم لله ولرسوله ولنقضهم العهد وغدرهم، ولعل رسول الله ﷺ كان يريد استشارة الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك إلا أن الوحي لم يمهلهم فقد نزل جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ يغتسل من آثار المعركة فناده: عذيرك^(٢) من محارب، عفا الله عنك أو قد وضعتم السلاح قبل أن تضعه الملائكة؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، قال فوالله ما وضعناه، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة فإنني عامد إليهم فمززل بهم الحصون.. فأدبر جبريل عليه السلام ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم، يقول أنس: كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم موكب جبريل عليه السلام حين سار لبني قريظة^(٣).

فأذن مؤذن رسول الله ﷺ: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. ونادى المنادي يا خيل الله اركبي.

فسار إليهم رسول الله ﷺ وقد لبس الدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناة

(١) السيرة الحلبية ٢/٦٤٧.

(٢) أي من يعذرك؟!.

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٦٧. والسيرة النبوية لابن كثير ٣/٢٢٤ والسيرة الحلبية ٢/٦٥٨. وانظر قول أنس في صحيح البخاري: كتاب المغازي ٥/٥٠.

بيده، وتقلد السيف وركب الفرس، وكان معه ثلاثة آلاف مقاتل وحمل اللواء علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فلما مر على نفر من بني النجار وجددهم قد لبسوا السلاح ينتظرون رسول الله ﷺ فقال: هل مر بكم أحد؟ قالوا: نعم، دحية الكلبي مرّ على بغلة بيضاء، وأمرنا بحمل السلاح، وقال لنا: رسول الله ﷺ يطلع عليكم الآن فلبسنا سلاحنا وصففنا، فقال رسول الله ﷺ: ذاك جبريل عليه السلاح، بعث إلى بني قريظة يزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم.

وحاصر رسول الله ﷺ بني قريظة خمساً وعشرين ليلة، فلما أيقنوا أن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كبيرهم كعب بن أسد:

يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً أيها شتمتم، قالوا وما هي؟ قال نتابع هذا الرجل ونصدقته، فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وأنه الذي تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يكن من بني إسرائيل، ولقد كنت كارهاً لنقض العهد، ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس - يعني حيي بن أخطب وكان قد دخل معهم حصنهم حين رجعت الأحزاب وفاء لكعب بما كان عاهده عليه - أتذكرون ما قال لكم ابن خراش حين قدم عليكم؟ إنه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصاراً، وتكونوا آمنتم بالكتابين الأول والآخر، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره.

قال كعب: فإذا أبيتم عليّ هذه، فهلّم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف، ولم نترك وراءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلًا، وإن نظفر فلعمري لنجدن النساء والأبناء.

قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم؟

قال فإن أبيتم عليّ هذه، فإن الليلة ليلة السبت وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة، فقالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا إلا من قد علمت وأصابه ما لم يخف عليك من المسخ.

وقال لهم عمرو بن سعدى: قد خالفتم محمداً فيما حالفتموه، ولم أشرككم في غدركم فإن أبيتم أن تدخلوا معه فائبتوا على اليهودية، وأعطوا الجزية، فوالله ما أدري يقبلها أم لا؟ قالوا: نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه، القتل خير من ذلك.

فلما لم تتفق كلمتهم على رأي أرسلوا إلى رسول الله ﷺ نباش ابن قيس يعرضون عليه أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة، فأبى رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية، فأرسلوه ثانياً بأنه لا حاجة لهم بشيء من الأموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكم رسول الله ﷺ، ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة - رفاعة بن المنذر - نستشيره في أمرنا - وكان حليفاً لهم مناصحاً لهم، وكان ماله وولده وعياله في بني قريظة فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم، وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم وأشار بيده إلى حلقة: أي إنه الذبح^(١).

ثم لم يجد بنو قريظة بدأ من النزول على حكم رسول الله ﷺ فعزل رسول الله ﷺ المقاتلين وكانوا بين السبعمائة والثمانمائة وأمر بهم فكتفوا، وعزل الذراري والنساء جانباً، فتدخل الأوس حلفاء بني قريظة في الجاهلية وطلبوا من رسول الله أن يعاملهم معاملة بني قينقاع حلفاء الخزرج، فأرضاهم رسول الله ﷺ بأن يحكم فيهم سيد الأوس سعد بن معاذ فرضي به الأوس وبنو قريظة ورسول الله ﷺ.

(١) ندم أبو لبابة على هذا التصرف واعتبره خيانة لله ولرسوله، فلم يرجع إلى رسول الله ﷺ وإنما رجع إلى مسجد رسول الله فربط نفسه بسارية المسجد وألى على نفسه أن لا يفك نفسه إلا للصلاة أو لقضاء الحاجة حتى تنزل توبته، ويكون رسول الله هو الذي يفكه. فنزل فيه قوله تعالى: ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم...﴾ انظر السيرة النبوية لابن هشام ٢٦٨/٣. وزاد المعاد لابن القيم ٧٣/٢.

فأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ - وكان في خيمة رفيدة في مسجد رسول الله يعالج من السهم الذي أصابه يوم الخندق - فجاءه قومه وحملوه إلى رسول الله وقد أحاطوا به وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك فلما ألحوا عليه وأكثروا، قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

وأراد سعد بن معاذ أن يستوثق بنفسه من تحكيم الأطراف جميعها له فقال لبني قريظة: أترضون بحكمي قالوا: نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما حكم به، وقال للجهة التي فيها رسول الله ﷺ وعلى من ههنا مثل ذلك وأشار إلى الناحية وهو معرض عن رسول الله إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: نعم. قال سعد: فإنني أحكم فيهم أن تقتل الرجال، وتغنم الأموال وتسبى الذراري والنساء. فقال رسول الله ﷺ لسعد: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات.

وشقت الأخاديد في سوق المدينة، ثم أرسل إليهم يأتون بهم أرسالاً في الليل ليلقوا جزاء خيانتهم وغدرهم، فقتلوا وألقوا في تلك الخنادق ثم رد التراب عليهم في تلك الخنادق.

ولما أتى بحبي بن أخطب مجموعة يدها إلى عنقه بحبل، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: ألم يمكن الله منك يا عدو الله؟

قال: بلى، أباي الله إلا تمكينك مني، أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل.

ولما جاء بسيد بني قريظة كعب بن أسد، قال له النبي ﷺ: يا كعب قال نعم يا أبا القاسم، قال: ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم، وكان مصداقاً بي أما أمركم باتباعي، وإن رأيتموني تقرؤوني منه السلام، قال: بلى والتوراة يا أبا القاسم، ولولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود^(١).

(١) انظر السيرة الحلبية ٦٦٨/٢.

تعقيبات

التعقيب الأول: لقد وجد سعد بن معاذ رضي الله عنه في موقف امتحان وابتلاء من الله، فهل بقي في نفسه من شوائب الجاهلية شيء، وهل للنفاق مسرى إلى قلبه فيتخذ موقفاً شبيهاً بموقف رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول من حلفاء الجاهلية، لو كان للزعامة في قومه واستمرارها مطمع في نفسه لأرضاهم بذلك وقد ألحوا عليه أن يكون رحيماً بحلفائه لكن الدافع الإيماني عند سعد بن معاذ كان أقوى من أي ولاء، وكان ولاء الله ورسوله هو الوحيد، كيف لا وقد نزل بعد حادثة بني قينقاع قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَوْ أَنْ نُصِيبَنا دَارَهُ فَمَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَلْدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُؤَلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَتَّابِعُ الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّهَا وَلِيكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٦].

فهذه النذر الربانية كانت نصب عين سعد بن معاذ، وما قيمة الزعامات والحياة الدنيا إذا كانت النهاية غضب الله وعذابه الأخروي لقد حكم فيهم حكم الله المبرء من الهوى والمصالح الشخصية والولاءات القبلية، حكم الله الذي يرجح مصلحة الإسلام والمسلمين والمصالح العام على أي اعتبار آخر، لذا أيد النبي ﷺ حكمه وقال له: لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة.

وجاء التأييد الرباني ليخلد هذا الحكم الذي أجراه الله على لسان سعد بن معاذ رضي الله عنه: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاصِبِهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَبَنَاتَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطْفُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

إن أركان الدولة لا تتوطد إن لم يكن لها نظام تطبقه على الكبير والصغير لا تؤثر فيه الأهواء ولا يخضع لأمزجة الحكام. يزن أعمال الناس ويكون الحكم العدل على تصرفاتهم.

ولا تدخل هيبة السلطة الإسلامية إلى قلوب الناس إن لم تكن الطبقة الحاكمة جادة في تطبيق أحكام العدل الرباني دون مواربة أو مدهانة أو محاباة على حساب شرع الله.

لقد عاتب الله سبحانه وتعالى رسوله عندما أخذ موقفاً ليناً سمحاً من أسرى بدر حيث أنزل رب العزة ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُتَخَذَ فِي الْأَرْضِ رُبُودًا عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال: ٦٧، ٦٨].

إن الدول تحتاج - وبخاصة في مراحل التأسيس - إلى صرامة وقوة واتخاذ قرارات من شأنها توطيد دعائم الحق والعدل. وتأخذ على أيدي أهل الكيد والخيانة.

لقد سجل سعد بن معاذ موقفاً للمؤمن الذي يترفع بولائه لله ولرسوله على أي ولاء آخر فكان جديراً بأن يهتز لموته عرش الرحمن^(١).

التعقيب الثاني: إن بعض النفوس الضعيفة لا تحتمل نتائج هذا الحكم ولا تريد أن تتخيل أفواجاً من الخونة يقدمون للقتل فتقطع رؤوسهم وترمي جيفهم في خنادق وهم يبلغون المئات. ويقولون هذه قسوة وهمجية.

(١) «عن جابر رضي الله عنه: سمعت النبي ﷺ يقول: اهتز العرش لموت سعد بن معاذ» صحيح البخاري - مناقب سعد بن معاذ: ٤/٢٢٧.

إن هؤلاء لا يتصورون عظم الجريمة التي ارتكبها هؤلاء الغدارون ولا يتصورون النتائج التي كانوا يرمون إليها لو فازوا في جريمتهم وتمكنوا من اجتياح المدينة مع الأحزاب ماذا كان سيحدث للمسلمين ونسائهم وذريتهم.

وأعظم من ذلك ماذا كان ينتظر منهم تجاه دعوة الحق أما كانوا حريصين على إطفاء نور الله والقضاء على بيضة الإسلام لترجع الجاهلية وليرجع حكم التلمود الأسود بمضامينه من الحقد الأسود على البشرية.

إن عقوبة الموت لأعداء الله المتآمرين على طمس معالم الحق الساعين للإفساد في الأرض ليست كثيرة.

لقد أراح رسول الله ﷺ المسلمين عندما نقذ حكم الله في بني قريظة وطهر عاصمة الدولة الإسلامية الفتية من شرور اليهود حيث لم تبق تجمعات دينية تتآمر على عقيدة الأمة وتساعد أعداءها.

إنها السياسة الشرعية الحكيمة لتوطيد أركان دولة الإسلام وهو الحكم العدل سواء رضي البشر أم سخطوا.

بل إننا عندما نقرأ في تاريخ أي دولة من الدول سواء كانت تتبع مذهباً وضعياً أو تستمد نظامها من دين سماوي محرّف نجد أنها تبيح لنفسها سحق المناوئين لها، ولا ترى في ذلك غضاضة وقد لا يصل الأمر مع هؤلاء المناوئين إلى درجة التعاون مع أعداء الدولة. وفي التاريخ الحديث والقديم عبر وحوادث لمن يعتبر.

التعقيب الثالث: لقد غزت ثقافات وافدة معاصرة أذهان المسلمين، وأثرت على بعض القيادات الإسلامية المعاصرة فاستهجنوا أحكام الإسلام في الأسرى، وبدأت الانهزامية داخل نفوسهم، لأن بعض أحكام القرآن لا تستسيغها عقول الماسونية وربائبها الذين تغذوا بلبانها وترعرعوا في أحضانها ومن هذه الأحكام الشرعية ما قاله علماء المسلمين وطبقه رسول الله ﷺ ومن بعده خلفاؤه الراشدون ومن تبعهم بإحسان من أمراء المؤمنين وملوك الإسلام وسلطين المسلمين. حيث قالوا إذا تغلب الجيش الإسلامي على أعداء الإسلام من الكفار أن أمير المؤمنين مخير بين أربعة أمور يطبق أيها شاء حسب ما يرى فيه مصلحة الإسلام والمسلمين. وهي:

١ - الفداء: بأن يفادي الأسرى من الأعداء بأسرى من المسلمين أو بمال أو بمنفعة تعود على المسلمين. كما فعل رسول الله ﷺ بأسرى بدر، حيث فاداهم على مال، ومن لم يكن لديه مال وكان يجيد الكتابة جعل فداءه تعليم بعض صبيان المسلمين القراءة والكتابة^(١).

٢ - المن عليهم بدون مقابل ابتغاء مرضاة الله تعالى أو تأليفاً لقلوبهم أو غير ذلك. كما فعل رسول الله ﷺ ببعض الأسرى من بني المصطلق، ومع قريش يوم فتح مكة حيث قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء، وكما فعل في أسرى ثقيف وهوازن يوم حنين.

٣ - الاسترقاق: أن يجعلهم أرقاء حيث تسلب حريتهم ويلحقون بالمتاع والأنعام، حيث أهدروا آدميتهم وكرامتهم^(٢) عندما وقفوا أمام دعوة الحق وحرصوا على القضاء على الإسلام وإطفاء نور الله. وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ مع كثير من القبائل العربية وفعله خلفاؤه الراشدون عند فتح بلاد فارس وبلاد الروم.

٤ - القتل: وهو أن يقتل المقاتلون البالغون من الذكور وكذلك كل من اشترك في القتال الفعلي وكان في أرض المعركة كما فعل رسول الله ﷺ مع يهود بني قريظة.

وللإمام أن يطبق في المعركة الواحدة كل هذه الأحكام أو بعضها فله أن يمن على بعضهم ويفادي آخرين ويسترق مجموعة منهم ويقتل آخرين. كما فعل بأسرى بدر فقد قتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط. كما للإمام أن يعقد معاهدات مع بعض الدول يلتزم بموجبها بلون من ألوان التعامل للأسرى من باب المعاملة بالمثل ولكن يراعي في كل الأحوال مصلحة المسلمين. ولا تكون الثقافات المعادية أو التيارات الفكرية أو الضغوط الدولية هي الأصل في هذه الاتفاقات. كما للإمام أن ينبذ إلى أية دولة معاهداتها إن خشي منهم الخيانة كما نص عليه القرآن: ﴿وَأَمَّا خِثَافٌ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَأَنْبِذْ

(١) انظر في ذلك السيرة الحلبية غزوة بدر الكبرى: ٤٥١/٢.

(٢) عرّف فقهاء المسلمين الرق بأنه: عجز حكمي يلحق بالآدمي سببه الكفر.

إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٥٨﴾ [الأنفال: ٥٨].

لقد وقف بعض المعاصرين على النص الكريم في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: ٤].

فقالوا إن حكم الأسرى هو أحد الأمرين: المنّ بإطلاق سراحهم من غير مقابل. وإما الفداء بمال أو تبادل مع أسرى المسلمين. ولم يلتفتوا إلى أقوال الرسول الكريم وإلى فعله وإلى سيرة خلفائه من بعده وإلى النصوص الكريمة الأخرى أما هذا النص في سورة (محمد)^(١) فقد قال المفسرون أقوالاً في توجيهه يقول الإمام القرطبي:

واختلف العلماء في تأويل هذه الآية على خمسة أقوال:

- ١ - أنها منسوخة في أهل الأوثان.
- ٢ - إنها في الكفار جميعاً وهي منسوخة.
- ٣ - إنها ناسخة.
- ٤ - لا يكون فداء ولا أسر إلا بعد الإثخان والقتل بالسيف.
- ٥ - إنها محكمة والإمام مخير في كل حال.

ورجح القرطبي القول الخامس حيث يقول:

وهو مذهب مالك والشافعي والثوري والأوزاعي وأبي عبيد وغيرهم. وهو الاختيار. لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين فعلوا كل ذلك، قتل النبي ﷺ عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث يوم بدر صبراً، وفادى سائر أسارى بدر، ومنّ على ثمامة بن أثال الحنفي وهو أسير في يده، وأخذ من سلمة بن الأكوع جارية ففدى بها أناساً من المسلمين، وهبط عليه ﷺ قوم من أهل مكة - أي في الحديبية - فأخذهم النبي ﷺ ومنّ عليهم، وقد منّ على سبي هوازن، وهذا كله ثابت في الصحيح، قال النحاس: وهذا على أن الآيتين محكمتان معمول بهما، وهو قول حسن، لأن النسخ إنما يكون لشيء قاطع فإذا أمكن

(١) سورة (محمد) تسمى أيضاً سورة (القتال).

العمل بالآيتين فلا معنى للقول بالنسخ، إذ كان يجوز أن يقع التعبد إذا لقينا الذين كفروا قتلناهم، فإذا كان الأسر جاز القتل بالاسترقاق والمفاداة والمن، على ما فيه الصلاح للمسلمين، وهذا القول يروى عن أهل المدينة والشافعي وأبي عبيد، وحكاه الطحاوي مذهباً عن أبي حنيفة^(١).

إن أحكام الشريعة مصدرها الكتاب والسنة والإجماع والقياس وهي مصادر التشريع في الإسلام، وليست أهواء الناس ولا أنظمة التلمود أو الماسونية أو محافظها الدولية.

٤ - حملة التأديب ليهود خيبر:

بعد معاهدة الصلح مع قريش في الحديبية لم يبق مركز ثقل لأعداء الإسلام في جزيرة العرب يحسب لهم حساب سوى اليهود في خيبر، حيث انتقل إليها كثير من يهود بني النضير وبعض يهود بني قينقاع فاتخذوا منها وكراً لتأليب القبائل العربية من غطفان وغيرها.

فما أن عاد رسول الله ﷺ من الحديبية لم يمكث في المدينة سوى شهر وبعض الشهر حتى أمر بالتوجه إلى خيبر لكسر شوكة اليهود فيها وحاصر المسلمون حصونهم ليقطعوا المدد عنهم من حلفائهم من القبائل المجاورة. وما زالت حصون اليهود تتهاوى تحت ضربات جند الله وكلما فتح حصن انتقل اليهود إلى آخر، فلما لم يجدوا مفرأً من الهزيمة فاضوا على الصلح لإنقاذ حياتهم من المصير الذي آل إليه بنو قريظة.

فأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ يطلب منه الصلح على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذرايعهم ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض وعلى الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة إلا ثوباً على ظهر إنسان، فقال رسول الله ﷺ وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتم تمنيون شيئاً فصالحوه على ذلك^(٢).

(١) انظر تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن) ١٦/٢٢٧، ٢٢٨.

(٢) انظر زاد المعاد لابن القيم ٤/١٣٦.

ولكن أتى لليهود أن يصدقوا في عهودهم وأن يتخلوا عن المال والكنوز وهو معبودهم من دون الله. لذا فقد غيَّبوا مسكاً فيه مال وحلي لحبي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت بنو النضير، فقال رسول الله ﷺ لعم حبي بن أخطب ما فعل مسك حبي الذي جاء به من النضير قال: أذهبت النفقات والحروب، فقال: العهد قريب والمال أكثر من ذلك فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب فأقر بالمسك ودل على مكانه، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق بالنكث الذي نكثوا من تغييب الأموال.

وأراد رسول الله ﷺ أن يجلي اليهود من خيبر، فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها فنحن أعلم بها منكم.

- ولم يكن للمسلمين أحد يقوم على الأراضي المفتوحة وقد أخذ الجهاد عليهم أوقاتهم - فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع وكل ثمر ما بدا لرسول الله ﷺ أن يقرهم.

فكانت أرض خيبر ملكاً للمسلمين قسمها رسول الله ﷺ بين الغانمين وزارع عليها اليهود، فلما دنا أجل رسول الله ﷺ أوصى أن لا يجتمع دينان في جزيرة العرب.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أجلاهم من خيبر لتطهر جزيرة العرب من شرورهم.

لقد انتهت المجابهة الفكرية المباشرة بين المسلمين وبين اليهود بانقطاع الوحي ووفاة رسول الله ﷺ. كما انتهت حملات التأديب لليهود بإجلائهم عن جزيرة العرب، لتبدأ مرحلة أخرى من إفساد اليهود في العالم الإسلامي بإثارة الفتن بين المسلمين ودس القضايا الفكرية الدخيلة والمذاهب السياسية الهدامة في المجتمع الإسلامي بغية تقويضه من الداخل، وقد كشف علماء المسلمين كثيراً من هذه المخططات والدسائس، ووصل اليهود إلى بغيتهم في أوقات كثيرة مما كلف المسلمين دماء وخسائر مادية جسيمة وسنعرض في فصول قادمة - إن شاء الله تعالى - جوانب من هذا المكر وألواناً من هذه الفتن التي أثارها اليهود في المجتمعات الإسلامية، لتأخذ العبرة منها لتكون منارات نهدي بها في مستقبل أيامنا.

الباب الثاني

المعالم القرآنية لسُننِ الله القدرية في اليهود

تمهيد في سنن الله تعالى القدرية:

الله في كونه ومخلوقاته سنن كونية وسنن اجتماعية، يجري الكون بموجبها حسب أوامر الله وإرادته وهي ثابتة تحفظ الثبات والدوام والانتظام في الكون.

وهذه السنن مبنية على أسباب تؤدي إلى نتائجها الحتمية، إلا إذا تدخلت الإرادة الإلهية فعطلت النتيجة لتكون خارقة للعادة - للسنة القدرية -.

- إن سنة إحراق النار للأجسام القابلة للاحتراق سنة كونية لم تتخلف إلا عندما كان الأمر الإلهي لها بترك هذه السنة ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْتَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

فتعطلت السنة الكونية لتكون معجزة لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام.

- وسيلان الماء من المكان المرتفع إلى المكان المنخفض سنة كونية ولكن الماء وقف حائطاً هائلاً ليفتح الطريق اليبس لكليم الله موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين من بني إسرائيل ليسلكوا فيه سبيل النجاة من طغيان فرعون ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَأَزَلْفْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿١٦٤﴾ وَأَوْحَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمِينَ ﴿١٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا

الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٨].

ومثل تلك السنن الكونية المادية في الطبيعة سنن الله في المجتمعات والأمم والحضارات وهي سنن قدرية لا تتخلف.

- فمن هذه السنن القدرية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَّا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكُنَّا بِرَبِّكَ بِذُنُوبٍ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [الإسراء: ١٦، ١٧].

إن أهل العلم بسنن الله الكونية والقدرية يرون أن هذه السنة حتمية كحتمية إحراق النار وسيلان الماء.

إن الأمة التي ينغمس قاداتها في حماة الشهوات ومستنقع الرذيلة ويسخرون طاقات الأمة للنزوات الشخصية وتمجيد الذات ولا يوجد في الأمة من يقف أمام سعارهم البهيمي، إنها أمة كتبت مصيرها بيدها، ووقعت على نفسها بالدمار فجاءها القضاء المبرم والقدر المحتوم فدمرت تدميراً، وفي الحضارات القديمة والحديثة من لدن نوح عليه السلام إلى اليونان والرومان وحتى في تاريخ المسلمين إلى عصرنا الحاضر شواهد حق وصدق على اطراد هذه السنة القدرية في العالم.

- ومن هذه السنن المطردة ما جاء في قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيَّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيَّرُوا مَا يَأْتِيهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال: ٥٣].

«إن الله لا يغير ما بقوم من عزة وسلطان ورفاهية وخفض عيش وأمن وراحة حتى يغير أولئك ما بأنفسهم من نور العقل وصحة الفكر وإشراق البصيرة والاعتبار بأفعال الله في الأمم السابقة، والتدبر في أحوال الذين جاروا عن صراط الله فهلكوا وحل بهم الدمار...»

حادوا عن الاستقامة في الرأي، والصدق في القول، والسلامة في الصدر، والعفة عن الشهوات، والحماية على الحق، والقيام بنصره، والتعاون

على حمايته، خذلوا العدل فلم يجمعوا همهم على إعلاء كلمته واتبعوا الأهواء الباطلة وانكبوا على الشهوات الفانية، وأتوا عظام المنكرات، خارت عزائمهم، فشحوا ببذل مهجهم في حفظ السنن العادلة واختاروا الحياة في الباطل على الموت في نصره الحق، فأخذهم الله بذنوبهم وجعلهم عبرة للمعتبرين.

هكذا جعل الله بقاء الأمم ونمائها في التحلي بالفضائل، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها. سنة ثابتة لا تتخلف باختلاف الأمم، ولا تتبدل بتبدل الأجيال كسنته تعالى في الخلق والإيجاد وتقدير الأرزاق وتحديد الآجال^(١).

إن سنن الله المادية ثابتة لا تتخلف إلا بخرق العادة، ويدركها كل العقلاء وسنن الله القدرية في المجتمعات ثابتة لا تتخلف إلا بخرق العادة، ويدركها أهل البصيرة من العقلاء.

والسنة لا تصبح سنة مطردة إلا إذا اعتمدت على أسباب موضوعية غير مقيدة بزمان محدد أو حالات شاذة أو قيود وشروط طارئة، وقد أورد القرآن الكريم جملة من السنن القدرية الخاصة باليهود وهي سنن قررها الله سبحانه وتعالى فيهم، وليست من اجتهاد المجتهدين ولا آراء الفلاسفة والمصلحين، بل هي سنن من الذي خلق اليهود وأرسل فيهم رسله وأنزل عليهم شرائعه، فكانت لليهود مواقف وكان لليهود طريقتهم الخاصة في التعامل مع أنبيائهم، وفي أخذهم بشرائعهم، وفي علاقاتهم مع الشعوب التي اختلطوا بها. فكان لهم منهج في الحياة تربوا عليه وربوا أجيالهم ولا يزالون على هذه المناهج فشكلت لديهم طباعاً ونفوساً وعادات محكمة تتحكم في أساليب حياتهم وبالتالي كانت سنناً ثابتة في أجيالهم، لذا نجد القرآن الكريم يخاطب معاصري رسول الله ﷺ ويحملهم جرائم آبائهم وأجدادهم، وما ذاك إلا لأنهم يرون ما كان يراه الأباء

(١) انظر تفسير المنار ٤٣/١٠، وهي مقتطفات من مقالة للشيخ محمد عبده نشرت في

العروة الوثقى العدد ١٧ في ٦/١٢/١٣٠١ هـ الموافق ٢٥/٩/١٨٨٤ م.

والأجداد من كتمان الحق والتحريف لشرائع التوراة واستباحة قتل الأنبياء وإباحة
أكل أموال الناس بالباطل.

وفيما يلي نذكر جملة من هذه السنن القدرية في اليهود مع التمهيد لها أو
التعقيب عليها أو التحليل لمضامينها.

سنن الله القدرية في بني إسرائيل

من خلال العرض القرآني لتاريخ بني إسرائيل ومواقفهم من أنبيائهم وعلاقاتهم بغيرهم من الأمم والشعوب، ومن خلال تعاملهم مع أحكام شرائعهم وتربية الأجيال على نهج محدد. من خلال كل ذلك نتعرف على جوانب من سنن الله الثابتة في بني إسرائيل التي أوردتها القرآن الكريم وتكشف عن طبائع وأخلاق وعادات تتوارثها الأجيال من اليهود مهما تباينت بهم الأوطان وتناولت عليهم الأزمان.

ومعرفة هذه السنن التي أخبر بها العليم الخبير لها أهميتها من جوانب

متعددة:

١ - إنها دين ندين الله سبحانه وتعالى به وأي انصراف عنه أو تبديل أو تحريف لهذه النصوص المحكمة إلحاد في دين الله وتعطيل لهدايات القرآن.

٢ - إنها تكشف حقائق القوم وعناصر تكوين شخصيتهم فتتير لنا سبل التعامل معهم، ويقطع دابر الزيف والتمويه الذي يتظاهرون به ويدخلون به على الأمم والشعوب في العقائد والسلوك والعادات وغيرها.

٣ - إنها تعطي للمؤمنين ثروة ثقافية ووعياً سياسياً وحنكة اقتصادية بحيث تحفظ للمؤمن كيانه المتميز، ولأتمه سيادتها واستقلالها، وللدولة الإسلامية مجدها وهيبتها.

ليبقى المجتمع الإسلامي المجتمع الرباني الذي يرفع راية الدعوة إلى الله وإقامة شرع الله في ربوع الأرض على نور وبصيرة بمنأى عن مخططات المفسدين في الأرض، وسنجعل من كل سنة معلماً يحدد لنا صراطاً مستقيماً ونهجاً وشرعة لا نحيد عنها.

المَعْلَمُ الْأَوَّلُ

التزوير المتعمد للكتاب المنزل وتغيير حقائق الدين :

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 79].

لقد اختلق أحبار اليهود كتاباً من عند أنفسهم كتبوه بأيديهم ووضعوا فيه كل سموهم ودونوا فيه أحلامهم وأمانيتهم، ثم نسبوه إلى الله تعالى وأضفوا عليه من القدسية أكثر مما أضفوه على التوراة المنزلة على موسى عليه السلام إنه كتاب التلمود الذي كتبوه أيام الشتات وكان التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي اللذين يختلفان اختلافات كثيرة ولكنهما يجتمعان على الخطوط العريضة في تمجيد الشعب المختار وتسخير الأميين لخدمتهم وأكل أموال الناس بأي طريق لإعادتها إلى ملك الشعب المختار^(١).

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التزوير والافتراء بقوله تعالى: ﴿وَمَنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يِعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَايًّا وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: 78، 79].

وتارة يلبسون على الناس أمر الكتاب بلي اللسان عند القراءة ليوهموا

(١) جاء في الكنز المرصود في قواعد التلمود: إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، ص ٥٣.

وانظر معركة الوجود بين القرآن والتلمود، عبد الستار فتح الله سعيد ص ١٣١. وفي التلمود: إذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشد العقاب، لأن الذي يخالف شريعة موسى خطيئته مغفورة، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل، نقلاً عن الكنز المرصود ١١١.

الناس بأنهم يقرأون في كتابهم المنزل عليهم: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُنَّ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨].

إنه الافتراء المتعمد ولم يأت ذلك نتيجة التباس أمر على هؤلاء الأحرار ولا نتيجة فهم خاطئ لنص من نصوص كتابهم، وإنما هو التزوير والافتراء عن علم وعن قصد، وهذا ما تشعرنا بها الآية الكريمة ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ إن الربيين الذين وضعوا التلمود في الشتات ليحافظوا على ذوبان اليهود في المجتمعات الأخرى رأوا أن إعطاء اليهود جرعات من الآمال والأحلام والاعتزاز والفخر والتعالي على تلك الشعوب الوثنية يحفظ عليهم كيانهم ورأوا أن توجيهاتهم لا تؤخذ مأخذ الجد ما لم يضعوا عليها طابع التقديس بل قدسوها أكثر من التوراة وربوا الأجيال عليها ولا زال التلمود هو الكتاب الذي يصنع شخصية اليهودي الخاصة في كل عصر وكل جيل^(١).

(١) يقول برنارد لارار: لكن اليهودي حافظ دينياً على فكرة الاستعلاء والتفوق هذه واستمر في النظر بأنفة واحتقار إلى جميع الذين كانوا غرباء عن شريعته، أما الذي علمه أن يكون كذلك فهو كتاب التلمود المليء بعصبية ضيقة وضارية لقد اتهم الكتاب بأنه ضد المجتمع، وهذ التهمة تنطوي على شيء من الحقيقة. ويقول المؤرخ اليهودي الألماني رهاينريخ غريبتس عن التلمود البابلي: (بكلمة واحدة فإن التلمود هو مربى الأمة اليهودية ومعلمها). انظر مقدمة كنوز التلمود ص ٨ ترجمة محمد خليفة التونسي.

قال الرابي مناحم: أيها اليهود، إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة، الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٧٥.

ويقول الحاخام - أباربانيل:

(المرأة غير اليهودية هي من الحيوانات وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذي خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب أمير أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة، فإذا مات خادم اليهودي أو خادمته، وكان من المسيحيين، فلا يلزم أن تقوم له التعازي بصفة كونه فقد إنساناً، ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة له) الكنز المرصود ص ٧٥.

المَعْلَم الثاني

الموبقات والانحراف الخلقي

دين يتقربون به إلى الله في زعمهم

﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
[آل عمران: ٧٥].

إن في جميع الأمم والشعوب من يسرق ويزني ويخون الأمانة ويتعامل بالربا.

ولكن كل من يرتكب ذلك يقر على نفسه بالانحراف وأنه يرتكب ذنباً ومعصية، والمجتمع ينظر إليه كذلك. ولا يوجد في الأمم من يزعم أنه يتقرب إلى الله بهذه الانحرافات سوى اليهود.

وهذا ما أشارت إليه الآيات الكريمة حيث يقول جل شأنه: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ^(١) وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ [آل عمران: ٧٥ - ٧٧].

(١) عن ميمون بن مهران قال: ثلاثة المسلم والكافر فيهن سواء من عاهدته فوق بعده مسلماً كان أو كافراً فإنما العهد لله ومن كانت بينك وبينه رحم فصلها مسلماً كان أو كافراً، ومن اتتمك على أمانة فأدها إليه مسلماً كان أو كافراً.

١ - أكل المال الحرام ومسارعتهم فيه :

انطلاقاً من عقيدة اليهود أنهم البشر وأن الدنيا خلقت من أجلهم، وأن الأمم الأخرى ما خلقت إلا لخدمة اليهود، فإن المال لليهود وحدهم، وإذا وجد في أيدي غيرهم فإنما قد غصبوه من اليهود، وتلمودهم مليء بمثل ذلك وأحبارهم يضربون الأمثلة للتفنن في الحصول على المال وإعادته إلى حوزة اليهود واستخلافه من يد الأميين، فقد جاءت نصوص كثيرة تنص على ذلك منها:

يقول الرابي (البو): «سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم»^(١).

ويقول الرابي (عشي): «إني نظرت كرمأ حاملاً عنباً فأمرت خادمي أن يستحضر لي منه، إذا ظهر أنه تعلق (ملك) أجنبي، وأن لا يمسه إذا ظهر أنه تعلق يهودي»^(٢).

ويمتدحون فعل الرابي صموئيل - أحد حاخاماتهم - عندما اشترى آنية من الذهب من أجنبي كان يظنها الأجنبي نحاساً ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط وهو ثمن بخس وسرق أيضاً درهماً من البائع.

وفعل الرابي كهانا، عندما اشترى مائة وعشرين برميلاً من النبيذ ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة برميل فقط.

ولا يجوز لليهودي في شريعته أن يرد مالاً مفقوداً لأمي فقد جاء في التلمود: (إن الله لا يغفر ذنباً لليهودي يرد للأمي ماله المفقود)^(٣).

والتعامل بالربا عند اليهود طريقة مشروعة للسيطرة على أموال الأميين.

يقول الرابي مؤاب: (عندما يحتاج النصراني إلى دراهم فعلى اليهودي أن يستولي عليها من كل جهة ويضيف الربا الفاحش إلى الربا الفاحش حتى يرهقه

(١) انظر الكنز المرصود ص ٧٢.

(٢) المرجع السابق ص ٧٣.

(٣) المرجع السابق ص ٧٥.

ويعجز عن إيفائه ما لم يتخل عن أملاكه أو حتى يضاهي المال مع فائدته أملاك المسيحي وعندئذ يقوم اليهودي على مدينه وبمعاونة المحاكم يستولي على أملاكه^(١).

وإذا ضاعت وثيقة لأمي فيها إثبات حقه على يهودي، فلا يجوز حسب تعاليم التلمود أن يعيدها اليهودي الذي رآها إلى الأمي لإثبات الحق. يقول الرابي جريكام: «إذا فقد أجنبي سنداً محرراً على يهودي بدين ما، ووجده يهودي فيمتنع رده إليه لأن الدين يسقط بوجود السند تحت يد يهودي، وإذا قال من وجده إنني أردته لصاحبه احتراماً لاسم الله وتأدية للحق فيلزم الرد عليه بما يأتي وهو: إذا أردت أن تحترم اسم الله فادفع الدين من مالك»^(٢).

هذه بعض أقوال أحبارهم وربيبهم في شروحاتهم على التوراة، فهل بقيت وسيلة من الوسائل للحصول على المال السحت إلا ونصوا عليها؟!

وهل يستغرب أن ينص القرآن الكريم على هذه الطبيعة الراسخة في المتقدمين منهم والمتأخرين عندما يصمهم بهذه السمة:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانَ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخَمَّى عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

وإذا كان هذا دين الكبراء منهم فلا عجب أن نراهم يتركون الأتباع يرتعون في المال الحرام ولا ينهاهم عن أكله يقول تعالى في حقهم:

﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَمْعَلُونَ ﴿٦٦﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٢، ٦٣].

(١) أخلاق اليهود ص ٤١.

(٢) همجية التعاليم اليهودية ص ١٥٦، ١٥٧.

ونتيجة هذه التعاليم المضللة التي حشوا بها أذهان اليهود - والإثم الأكبر، لا شك على القادة الموجهين الربيين الذين بيدهم دفة القيادة والتوجيه - ونتيجة لتلك التعاليم وجدت هذه النفسية المطوية على الشر والكذب والخداع والمبالغة في أكل الحرام والحرص عليه:

يقول تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ ﴿١﴾ [المائدة: ٤١، ٤٢].

ولهذه الصفات الراسخة في نفسية اليهودي، تجده منبذاً من المجتمعات الإنسانية جميعاً، رمز الجشع والاستغلال والندالة ويضحى بكل القيم في سبيل الحصول على المال، فالعرض والأخلاق والدين والمروءة كل ذلك يضحى به في سبيل الحصول على المنافع المادية.

لأجل هذه المفاهيم التي اختلقها اليهود والتزموا بها، عاملهم الله سبحانه وتعالى بتلك الشدة والقيود والإصر والأغلال ليربي تلك النفوس المنحرفة ويلين من قسوة تلك القلوب المتحجرة.

يقول الله تعالى: ﴿فَظَلِمَ مَنِ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً ﴿١٦٥﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: ١٦٥، ١٦٦].

وإذا حصل اليهودي على المال طغى وتجبى وجعله وسيلة للإفساد والتدمير بل والاستعلاء على الذات الإلهية، ويظنون أن من أوتي المال فقد

(١) لم تستخدم كلمة السحت في القرآن الكريم إلا في حق اليهود، ومعنى السحت: المال الحرام الذي يذهب بدين المرء ومروءته، وفي الكلمة إشارة إلى الأساليب الدنيئة التي يتبعها اليهود للحصول على هذا الحرام فليس كل حرام سحتاً، انظر هذا المعنى في عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ص ٢٣٣.

أوتي السيادة والعزة والسعادة يقول الله سبحانه وتعالى عنهم:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاكُمْ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونِ عَذَابِ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [آل عمران: ١٨١، ١٨٢].

عقيدة اليهود في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

إن الأنبياء والمرسلين هم صفوة خلق الله الذين اصطفاهم لحمل رسالته إلى الناس وهم الأنموذج العملي لتطبيق شرائع الله وحمل دعوته، حيث يتمثلون الدعوة وأحكامها في سيرتهم الشخصية، لذا فالشرائع والأحكام تستمد من أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم. من هنا كانت لهم العصمة في حياتهم فلا تتسلط عليهم الشياطين ولا يستطيع أحد من البشر أن يخدعهم أو يلبس عليهم أمور الدنيا فهم في الذروة من الكمالات البشرية من الذكاء والفطنة والأمانة والصدق والشجاعة والكرم والنبل والمروءة وسائر الصفات الرفيعة.

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾ [الحج: ٧٥، ٧٦].

والرسالة والنبوة هبة من الله تعالى لا تكتسب بالرياضات الروحية أو الجهد البشري ولكن الله يعطيها لمن تكون لديه الأهلية لحملها.

لذا لما تطلع بعض القوم لأن تأتيهم الرسالة أو تصيبهم، رد الله سبحانه وتعالى عليهم هذه الأوهام والآمال، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأنعام: ١٢٤].

هذا واقع أنبياء الله وأصفيائه من خلقه وهذا ما نعتقه في حقهم، ولكن الأمر مختلف عند اليهود في حق الأنبياء.

فالتوراة المحرفة تصورهم عصابة من الأشرار يرتكبون الموبقات ويحرصون على الشهوات، يشربون الخمر ويزنون بالقريبات والبعيدات والمحرمات. يكذبون ويخادعون، ويقتلون ويسفكون الدم الحرام، ويسرقون

ويستولون على الأموال يزني أحدهم بابنته وحليلة ابنه، ويتآمر على أتباعه ليستولي على زوجته.

فهل تتصور هذه الأعمال في حق أفسق الناس وأشرارهم؟ هكذا تصور كتب اليهود المقدسة الأنبياء والمرسلين الذي يتبعونهم. وهذا لون من ألوان ترويح الإفساد في الأرض ونشر الرذيلة، لأن الذي يقرأ مثل ذلك عن الأنبياء ويقول في نفسه فما الحرج عليّ إن أنا عملت مثل عملهم ووقعت في مثل ما وقعوا فيه، فإذا كان الأنبياء هكذا فكيف نحن البشر. وكثرة الحديث عن أمر ما يجعل وقعه خفيفاً على النفوس لا تسمئ من ذكره وفيما يلي نقولات عن بعض كتب اليهود في حق الأنبياء:

أ - فعن لوط عليه السلام وابنتيه تقول التوراة: «وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض هلم نسقي أبانا خمراً أو نضطجع معه فنحبي من أبنائنا نسلاً فسقتنا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها وحدث في الغد أن قالت البكر للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها فحبلت ابنتا لوط من أيهما فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموابيين إلى اليوم. والصغيرة ولدت ابناً أيضاً ودعت اسمه بني عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم»^(١).

وتصوّر عائلة أحد الأنبياء بمثل هذا التفكير وهذه التربية، ولوط عليه السلام باعترافهم أحد الأنبياء، فكيف تكون أسر غيرهم في عقلية اليهود.

أما آل لوط فنصورتهم مشرقة في القرآن الكريم وهو الحق اللائق بمقام أنبياء الله وأصفياؤه:

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٩ ص ٢٩.

والذي دفع أحبار اليهود إلى اختراع هذه الفرية، تحقير نسل الموابيين، وبني عمون الذين كانوا ينازعون الإسرائيليين الأرض والديار.

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ يَّجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنطَهَرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَجْبَيْنَاهُ وَأَهْلَاهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَدِيرِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل: ٥٤ - ٥٨].

ب - ويسرد اليهود قصة داود مع أوريا في توراتهم المحرفة كما يلي:

«وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت أليعام امرأة أوريا الحثي، فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى فأرسل داود إلى يوباب يقول أرسل إليَّ أوريا الحثي فأرسل يوباب أوريا إلى داود فأتى أوريا إليه فسأل داود عن سلامة يوباب وسلامة الشعب ونجاح الحرب وقال داود لأوريا أنزل إلى بيتك واغسل رجلك فخرج أوريا من بيت الملك وخرجت وراءه حصاة من عند الملك ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل إلى بيته فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا إلى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لم تنزل إلى بيتك.. وفي الصباح كتب داود مكتوباً إلى يوباب وأرسله بيد أوريا وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت.. فخرج رجال المدينة وحاربوا يوباب فسقط بعض الشعب من عبيد داود ومات أوريا الحثي أيضاً..»

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها نذبت بعلها ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب»^(١).

(١) سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١١ ص ٤٩٨.

هذه أفعال داود في ذهن اليهود وتوراتهم المحرفة، أما القرآن الكريم فقد أنى على نبي الله داود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

ويقول الله سبحانه وتعالى فيه ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَخْتَصِمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) ففهمتها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً وسخّرنا مع داود الجبال بسبحن والطير وكنا فاعلين (٧٩) وعلّمته صنعة بوس لكم لنحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (٨٠) [الأنبياء: ٧٨ - ٨٠].

والقضية التي وردت في سورة (ص) حول داود وتسور المحراب عليه من قبل الخصمين عرضها القرآن الكريم، وعلى الرغم من أن ظاهرها كانت في قضية خصومة على النعاج فقد كانت مزلفة قدم لبعض المفسرين المسلمين بسبب اطلاعهم على روايات بني إسرائيل وتلفيقاتهم حول أوربا وزوجته، وظاهر الآيات لا يدل على شيء من ذلك، وسبب استغفار داود عليه السلام وإنابته إنما كان بسبب احتجاجه عن الرعية لعبادة ربه، وسماع أحد الخصمين والقضاء له قبل سماع الخصم الآخر، وبعد الحادثة جاء الثناء العطر على داود عليه السلام ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا سَأُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

ج - ويعتقد اليهود أن نبيهم هارون هو الذي صنع العجل لبني إسرائيل:

تقول التوراة المحرفة: «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم وآتوني بها، نزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وآتوا بها إلى هارون فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هارون بنى مذبحاً أمامه ونادى هارون

وقال غداً عيد للرب فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب» سفر الخروج الإصحاح ٣٢ ص ١٣٩ ، ١٤٠.

حاشا لله ولرسله أن يعبدوا مع الله أحداً وهم دعاة التوحيد، الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. ولقد كان موقف هارون عليه السلام مثل موقف موسى عليه السلام من عبدة العجل ولكنه لم يقاتل بمن معه من الموحددين عبدة العجل خشية أن يغضب عليه موسى ويقول فرقت بين بني إسرائيل فانتظره حتى يحضر وهذه شهادة ربه له بهذا الموقف يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْكَ عِدَاةً حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩٦﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٧﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٨﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿٩٩﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١٠٠﴾﴾ [طه: ٩٠ - ٩٤].

من خلال النقول السابقة من التوراة المحرفة ومن التلمود المزور نجد أن الانحراف والظلم والفساد الخلقي وأكل المال السحت كل ذلك دين يدين به اليهود لأنها من جملة عقائدهم في أنبيائهم. لذا فهم يرتبون الأجيال على هذه المفاهيم ويجعلونها جزءاً لا يتجزأ من شخصيتهم.

المَعْلَم الثالث

نقض العهود والمواثيق من جبلتهم

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ﴾
[الأنفال: ٥٦] ﴿أَوْ كَلِمًا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذُوا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
[البقرة: ١٠٠].

ينظر اليهود إلى العهود والمواثيق التي يوقعونها مع غيرهم إنها توقع للضرورة ولغرض مرحلي ولمقتضيات مصلحة آنية، فإذا استنفذ الغرض المرحلي، نقض اليهود الميثاق من غير استشعار بأي اعتبار خلقي أو التزام أدبي، فاللجوء إلى العهود والمواثيق ما هو إلا حالة اضطرارية إن لم يستطع اليهود تجاوزها بالحيلة والخداع والتزوير، أو خشوا البطش بهم أو القضاء على مصالحهم المادية.

ولكن عندما تتوافر الظروف المناسبة، وتزول الحالة الطارئة التي اقتضت التوقيع على الميثاق، فلا بد من إزالة هذا القيد الذي هو يقيد تصرفاتهم أو يحد من حركتهم للوصول إلى هدفهم الذي يسعون إليه.

ويشير القرآن الكريم إلى هذه الطبيعة الماكرة في اليهود في قوله تعالى:
﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَثَقَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدَ بِهَمَّ مَن خَلَفَهُم لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الأنفال: ٥٦، ٥٨].

إن العلاج الناجع لمثل هؤلاء القوم الذين اعتادوا نقض العهود المرة تلو المرة ينبذ إليهم عهدهم وأن لا يدخل معهم في ميثاق، وإنما تعد لهم القوة التي ترهبهم فهؤلاء لا يستقيمون على شرعة إلا إذا كانت القوة تهددهم، فلا

ينبغي أن يكون العهد ملتزماً به من جانب واحد فيصبح له قيداً يثقل كاهله بينما الطرف الآخر لا يتقيد به وينتهز الفرص. ولكن الفرق بين المؤمنين وغيرهم، أن المؤمن يُعلم عدوه بنبد العهد جهاراً لقاء عدم التزام العدو به فيكون في حل منه، أما العدو فيخاتل وينقضه سراً من غير أن يجرؤ على البوح بمقصده.

وهذا ما فعله رسول الله ﷺ مع يهود بني قينقاع فقال: «إني أخاف من بني قينقاع فنبد إليهم عهدهم وكان من الأمر ما كان»^(١).

وسياسة اليهود في نقض العهود أن ينبذه فريق منهم ويبقى فريق محافظاً على العهد وذلك تجنباً للاستئصال، فإن لقي الناقضون للعهد جزاء رادعاً، لم يقدم الآخرون على ذلك، أما إن سلموا من العقوبة والتأديب لحق بهم الآخرون في النقض والتفلت من الميثاق.

وهذه السياسة أشار إليها القرآن الكريم في معرض الحديث عن اليهود ﴿أَوَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذُوا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠] أكثرهم لا يؤمنون بالعهد ومضمونه وإنما يلتزمون به ظاهراً ويعملون على تعطيله وإلغائه باطناً. وتأتي بعد هذه الآية ما يشعر بأنهم قد تحرروا من أكبر عهد وميثاق أخذه الله عليهم ولم يلقوا له بالاً فما بالك بالعهود التي يقطعونها على أنفسهم مع البشر. حيث يقول جل شأنه: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانْتَهُمُ لَا يَسْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

لقد كان ضمن ما نزل عليهم في التوراة أنهم إن أدركوا زمان آخر الأنبياء أن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه، وأغلظ الميثاق عليهم في ذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢].

(١) انظر ما تقدم ص ١٠٦.

إن من يلقي بعهد الله وراء ظهره، فكيف يظن به أن يحافظ على المواثيق مع البشر بل إنهم يطبقون ما نصت عليه توراتهم المحرفة^(١).

هذا كان موقفهم مع رسول الله ﷺ، غدر يهود بني قينقاع بعد غزوة بدر وساءهم انتصار المسلمين على المشركين.

وغدرت بنو النضير بعد غزوة أحد وتجرأوا على المسلمين بعد أن أصابهم ما أصابهم في أحد.

وغدرت بنو قريظة يوم الأحزاب وتمالؤا مع المشركين على طعن المسلمين من الخلف، فكان من أمرهم أن منهم من أجلي ومنهم من أسر ومنهم من قتل جزاءً وفاقاً لغدرهم وخياناتهم.

واليوم يعيد التاريخ نفسه، كم هدنة وقعت مع اليهود، فكانت كل هدنة تمهد لحرب لاحقة وتضم إلى أراضي إسرائيل أرض جديدة.

واليوم يقدم العرب على تجربة جديدة مع اليهود للتنازل لهم عن فلسطين فهل يرضى اليهود بذلك أم تكون خطوة مرحلية للانقضاض مرة أخرى لتحقيق حلم دولة إسرائيل الكبرى.

إننا على يقين تام أن هذا الأمر لن يطول، وأن التوسع سيعود من جديد لأن الهدف النهائي لم يتحقق بعد وسيطرة اليهود على العالم لم تتم بشكل ظاهر ولم يتوج ملكهم على العالم.

ولنا وقفات مع سياسة اليهود الحاضرة وفي المستقبل في الجزء اللاحق من هذا الكتاب بإذن الله إن كان في العمر فسحة.

(١) جاء في التوراة (فلا تقطعوا عهداً مع سكان هذه الأرض) انظر سفر القضاة ٢/٢.

وينص التلمود. (على اليهودي أن يؤدي عشرين يمينا كاذبة، ولا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما)، انظر الكنز المرصود ص ٩٥ نقلاً عن صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية/١٠٢.

المَعْلَم الرابع

القوة المرهبة تحملهم على الالتزام

بالشرائع والعهود والمواثيق

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴿٩٣﴾ [البقرة: ٩٣].

﴿وَإِذْ نُنَقْنَا جَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ
بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ [الأعراف: ١٧١].

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ [الأنفال: ٦٠].

الشخصية اليهودية شخصية متلونة لا تعرف الأخذ الجاد بالأحكام التي
تحذ من شهواتها وتخالف أهواءها، وتحاول التملص من قيود التشريعات لتطلق
لهوى النفس العنان فتفسد في الأرض وتدمر وتحاول التحايل بأي وسيلة
لتعطيل الشرائع وتفريغها من محتواها التربوي الذي يحمل النفس على
الاستقامة.

كان هذا موقفهم من شرائع التوراة وموقفهم مع نبي الله موسى عليه
السلام.

فلما جاءهم موسى عليه السلام بالوواح التوراة ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَهُودُ وَأَمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِأَحْسَنِهَا
سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَنَاقِينَ ﴿١٤٥﴾ [الأعراف: ١٤٥].

حاولت بنو إسرائيل التخلص من هذه الشرائع واستصعبوا الأمر قال ابن عباس... أمرهم موسى بالذي أمر الله أن يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم وأبوا أن يقروا بها حتى نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة قال رفعته الملائكة فوق رؤوسهم^(١).

وفي رواية قال موسى هذا كتاب أتقبلونه بما فيه فإن فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم؟ قالوا انشر علينا ما فيها فإن كانت فرائضها وحدودها يسيرة قبلناها: قال: اقبلوها بما فيها قالوا: لا، حتى نعلم ما فيها، كيف حدودها وفرائضها فراجعوه مراراً فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربي عز وجل لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل، فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل ساجداً على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من أن يسقط عليه.

وهي سجدة اليهود إلى اليوم يقولون هذه السجدة التي رفعت بها العقوبة^(٢).

وعندما وجدوا القتيل في حي من أحيائهم وتخاصموا وأرادوا التعرف على قاتله لجأوا إلى موسى عليه السلام ليحكم بينهم فقال موسى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَنْتُمْ نَحْنُ هَؤُلَاءِ قَالِ اعْوِذْ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكْرُ عَوَائِدُ بَيْنَ ذَلِكَ فَأَفْعَلُوا مَا تُمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النُّظَيْرِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا آذِغْ لَنَا رَبِّكَ بَيْنَ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ شَبَّهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْفِي الْحَرْتَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْكَنَ جِثَّتْ بِالْحَقِّ فذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ [البقرة: ٦٧ - ٧١].

إن المماطلة والتردد وسوء الأدب تنبعث من أقوالهم، وهم يخاطبون

(١) انظر ذلك في تفسير ابن جرير الطبري ٧٥/٩.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٢٦٠/٢.

أعظم أنبيائهم الذي يعتقدون برسالته وبالوحي الذي يأتيه من الله، يقولون له ﴿الَّذِينَ هَرَوْا﴾ وهو في منصب الحكم والقضاء والفصل بين الخصومات، لقد ظنوا أنه يستهزئ بهم لما رأوا أن طلبه لا ينسجم مع عقولهم الكلييلة التي لا تؤمن بالغيبات والخوارق، ولم يجدوا مناسبة مادية بين ذبح البقرة والتعرف على القاتل.

وانظر إلى قولهم لموسى عليه السلام: ﴿الَّذِينَ جِئَتْ بِإِلْحَاقِهِ﴾ وهل كان ما يقوله قبل ذلك من ذكر الأمر والمواصفات غير الحق؟!

إنها النفسية اليهودية المتعجرفة، والشخصية الملتوية.

ولعله من اللطائف القرآنية الدقيقة أن يأتي الأمر بإعداد القوة لإدخال الرعب والرهبة إلى قلوب أعداء الله في سياق الحديث عن المعاهدات ونقض اليهود لها في كل مرة، فإن المعاهدة ليست سوى حبر على ورق لا أثر لها في الواقع إن لم تكن مدعمة بالقوة التي ترتعد لها فرائص العدو كلما فكّر في نقضها أو إبطال مفعولها.

وبعد الأمر بإعداد القوة الرهيبة يأتي الحديث عن السلم، لأن السلم إن لم يكن من موطن القوة والعزة فهو تنازل للعدو وخضوع لشروطه فيكون استسلاماً لا سلباً، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جُنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْزَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦٠، ٦١].

إنها التوجيهات الربانية لأمة الإسلام ورسم معالم السياسة الشرعية في الحرب والسلم مع أعداء الإنسانية.

وليس للمؤمن خيار تجاهها إنها شريعة الله وهداياته، وفي الالتزام بها السعادة والسيادة. وفي التخلي عنها الخذلان والشقاء والتعاسة.

فهل يتدبر المسلمون اليوم أوامر ربهم جل جلاله وعز سلطانه.

المَعْلَمُ الخامس

الحرص على الحياة والتخاذل عند اللقاء

﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَىٰ أَرْضِ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَسْتَمْتِدُونَ بِهَا بِأَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ لِيُقَرَّبُوا بِهَا إِلَىٰ كَنُوزِهَا وَعَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ لِئَلَّا يَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَاللَّهُ يَهْدِي الْقَوْمَ الَّذِينَ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٩٦] ﴿وَإِنْ يُفْتِنُواكُمْ يُؤَلِّمُواكُمُ الْأَدَبَ ۗ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

إن الذي لا يؤمن بالحياة الأخرى ولا يرجو ثواب أعماله . يجد أن فرصته الوحيدة هي هذه الدنيا فيهبئبل الفرص لإشباع لذاته واستغلال المتاحة أمامه .

أما الذي يؤمن بالآخرة وثوابها فيحد كثيراً من رغبات النفس ويلزم نفسه حدود الشرع والمبادئ السماوية .

وواقع اليهود وأفعالهم ومخططاتهم تدل على أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر، بل حرفوا التوراة ليجعلوا المراد من اليوم الآخر ما ينعكس على المؤمنين به في الحياة الدنيا في صورة من الصور وأن الصالحين من الأموات سينتشرون في الأرض ليشاركوا في ملك المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان، فإذن الحياة الآخرة عندهم في الدنيا أيضاً ولكنها حياة ثانية بالنسبة للصالحين . وفريق آخر من اليهود ينكر البعث بعد الموت أصلاً ويرى أن ثواب الأعمال الصالحة ما تعود على الإنسان من مصالح ولذة متعة في حياته .

وعقيدة هذا شأنها، وتأويلات لربانيهم في تفسير الحياة الأخرى والبعث بعد الموت هذا مسارها، لا شك أن مثل هذه العقيدة ستوجد حرصاً على الحياة وتشبهاً بها لا مثيل له .

لذا حاججهم القرآن الكريم وأبرز تناقضهم : فهم يزعمون أنهم الشعب المختار وأن الدار الآخرة لهم وأنه لا يدخل الجنة معهم أحد وأنها بانتظارهم

فإذا كان الأمر كذلك فلا يفصل بينهم وبين دخول الجنة ونعيمها إلا الموت الذي يضع نهاية للشقاء والآلام والحرمان فهلا تمنوا الموت وسلكوا المسالك التي تؤدي بهم إلى الموت من الجهاد في سبيل الله أو ركوب المخاطر أو حتى التمني والاشتقاء المجرد. وسجل عليهم القرآن الكريم هذا الاستخزاء والنكوص.

يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦١﴾ وَلَا يَمْتَنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ^(١) وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الجمعة: ٦، ٧].

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا^(٢) تِلْكَ آمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَمْتَنُوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَسَجَدَتْهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَرَجِهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَصْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [البقرة: ٩٤ - ٩٦].

إن المؤمن إذا علم يقيناً أن مأواه إلى الجنة وهو يؤمن بما ينتظره فيها من نعيم مقيم ورضوان من الله تعالى واجتماع بالأحبة من النبيين والشهداء والصالحين. وإذا أيقن ذلك لا يكون شيء أحب إليه من الانتقال إليها، وإذا كان الموت هو البوابة فلا يكون أحب إليه من اقتحام هذه البوابة ليصل إلى المطلوب.

(١) قال المفسرون: المراد بما قدمت أيديهم من السيئات والإفساد في الأرض وقتل الأنبياء وأكل الأموال بالباطل وغيرها من المفسدات التي يعلمون أنها شر وإفساد ومع ذلك يرتكبونها.

(٢) أي قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهودياً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانياً ولكن مقياس دخول الجنة الإيمان والعمل الصالح وفق شرائع الله المنزلة. انظر في ذلك تفسير ابن جرير الطبري ٣٩٢/١.

لقد رأى هذه اللحظات عمير بن الحمام في غزوة بدر بأمر عينه عندما قال رسول الله ﷺ والله لا يقاتل أحد هؤلاء القوم اليوم مؤمناً محتسباً فيقتل مقبلاً غير مدبر إلا دخل الجنة فقال عمير رضي الله عنه يا رسول الله أما بيني وبين دخول الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، قال بلى وكانت في يده تمرات يأكلها. فنظر إليها ولماذا انتظار أكل التمرات وما الفائدة منها إنه يأكلها ليتقوى بها ويعيش ويتجنب الجوع والأسقام وهل هو ينتظر كل ذلك وقد أيقن نعيم الجنة أمام عينيه إنها لحياة طويلة أن يقضيها في أكل التمرات والجنة ببهاؤها وزينتها ولذائذها وحورها العين وهي محل تنزل رحمت الله ورضوانه فألقى بالتمرات وكسر قراب سيفه لأنه لا مجال لإغماده فيه ثانية، وألقى بترسه لأنه لا يريد الوقاية من الطعنات من العدو بل حرص على الشهادة في سبيل الله. فكان له ما أراد وما أخبره به الصادق المصدوق^(١).

هذا شأن المؤمن بما ينتظره من نعيم الجنة أما أن يجد الأسباب ليعيش الحياة المؤبدة ويتجنب الموت ويكرهه ويكره أو التذكير به فهذا شأن المنكرين للدار الآخرة الخائفين من مصيرهم فيها، الشاكين في كونهم يستحقون نعيمها.

إن القرآن الكريم يسجل الحقائق الدامغة في شخصية القوم ويبين التربية التي ربي الكبار صغارهم عليها، فهي معالم بارزة باقية في التكوين النفسي اليهودي. وهذا قد سجله عليهم كتبهم - حب الحياة والحرص عليها وكراهية الموت.

فقد جاء في سفر الخروج (فلما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا لموسى هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية ماذا صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر، أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر قائلين: كَفَّ عَنَّا فَتَخْدَمُ الْمِصْرِيِّينَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ نَخْدَمَ الْمِصْرِيِّينَ مِنْ أَنْ

(١) انظر الحادثة في الإصابة في تمييز الصحابة ٣/٣١، والسيرة النبوية لابن هشام مع الروض الأنف ٣/٤٨.

نموت في البرية، فقال موسى للشعب: قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم فإنه كما رأيتم المصريين اليوم لا تعودون تروهم إلى الأبد) سفر الخروج الإصحاح ١٤ ص ١١٠.

إنهم كانوا حريصين على الحياة ولو كانت حياة ذل وقهر يسومهم فرعون وجنوده سوء العذاب يذبح الأبناء ويبقي الإناث للخدمة في البيوت، وتارة يذبح الأبناء سنة ويستبقيهم سنة لكي لا يفقد اليد العاملة في الزراعة والصناعة والسخرة والامتهان.

وسجل عليهم القرآن هذه المواقف المخزية ومناقشتهم لموسى بأسلوبه المعجز حيث يقول: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأعراف: ١٢٩].

ويقول: ﴿فَلَمَّا تَرَأَىٰ الْأَجْمَعُونَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١١٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿١١٣﴾ وَأَزْلَفْنَا نَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَجْمَعْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١١٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٦].

ولكن هل أخذ اليهود العبرة من تلك الآيات الباهرة وأن عناية الله تكلاً موسى ومن معه من المؤمنين فيسخر له البحر والحجر والعصا، وهل قوي إيمانهم بما رأوا وهل اجتثوا جذور الشك والخوف، والجبين من قلوبهم بعد ما رأوا الآيات.

فلننظر إليهم في موقف آخر بعدما تقدم، فبعد أن قطعوا البحر واتخذوا فيه طريقاً ييساً ووقفوا على أطراف أرض فلسطين، أرسل موسى عليه السلام نقباءهم ليستطلعوا الأرض والقوم وقد كتب الله عليهم قتال القوم، ودخول الأرض وأوصى النقباء أن لا يخبروا أحداً بما يرون إنما يخبروه وحده حتى لا تسري الإشاعات بين القوم وهم من عرف موسى حقيقة نفوسهم!

ولكن النقباء من جنس شعبهم فما كادوا يرون الجبارين في أرض فلسطين ورجعوا إلى موسى حتى بالغوا في الحقائق وضخموا ما شاهدوه

ليبرروا خوفهم وليلقوا في روع القوم استحالة قتال هؤلاء الجبارين .

جاء في سفر العدد (فرفعت كل جماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة وتذمر على موسى وهارون جميع بني إسرائيل، وقال لهما - كل الجماعة - ليتنا متنا في أرض مصر أوليتنا متنا في هذا القفر، ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف تصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة أليس خيراً لنا أن نرجع إلى مصر، فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلى مصر) سفر العدد الأصحاح ١٤ ص ٢٣٣.

لم يكن ذلك عن قلة في المقاتلين أو ندرة في العتاد والسلاح أو قلة خبرة في التدريب عليه بل إنها النفوس المجبولة على الجبن والحرص على الحياة مهما كان لونها وواقعها لقد جاء في سفر العدد تعداد مقاتلتهم (إن عدد المحاربين كان ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين) سفر العدد الإصحاح الأول ص ٢٠٨.

ولم يكن عدد أهل فلسطين كبيراً بل لم يكونوا إلا بضعة آلاف، وهذا ما سجله القرآن العظيم ببيانه المعجز المعهود على بني اليهود حيث جاء فيه ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْت أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴿١﴾ أُنعمَ اللَّهُ عليهما ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِونَ وَعَلَىٰ اللَّهُ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [المائدة: ٢٠ - ٢٤].

هل يوجد منطلق أغرب من هذا المنطق، أناس يقيمون في ديارهم

(١) المراد بـ﴿من الذين يخافون﴾ أي من بني إسرائيل الخائفين ولكن أنعم الله عليهما بإزالة الخوف من نفسيهما وقيل من الذين يخافون الله، ولا يخافون أحداً من البشر... انظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٤٥٥/٣ مكتبة النصر الحديثة.

وأرضهم ويريدون مصالحتهم المعيشية، ثم يأتي قوم آخرون يريدون الاستيطان في هذه الأرض والسيطرة عليها وأخذ الأموال غنائم لأنفسهم، ثم لا يجراون على قتال القوم، وإنما يريدون تفرغها أو أن يتلقوا أعداءهم بالأحضان ويسلموهم الدور والأموال والذراري أي منطق هذا، أم أنهم انطلقوا من منطق كونهم الشعب المختار فعلى الله أن يمهد لهم الطريق بالقضاء على أعدائهم كما فعل بفرعون وجنده، ولكن شتان ما بين الموقفين، فمع فرعون كانت الأسباب العادية غير مهياة لهم فلم يمكننا من أخذ الأهبة والتدريب على السلاح ولم يكن لهم كيان ولا رئاسة ولم يعطوا الفرصة لتهيئة أجواء المعارك فعندما وقعوا في محنة وهددوا بالفناء أنقذهم الله تعالى بخارقة فلق البحر.

أما الموقف هنا فمختلف جداً، إنها الأحكام الإلهية وشرائعه كتبت عليهم أن يدخلوا الأرض المقدسة ويتقذوها من أيدي الوثنيين ويرفعوا عليها راية التوحيد.

والآن لهم كيانهم ولهم قيادتهم الراشدة والفسحة الزمنية ممتدة أمامهم لاتخاذ الأسباب من التدريب على السلاح، وإجادة فنون المعارك وخاصة الوحي الإلهي ينزل على موسى عليه السلام يرشد ويسدد. وليست من طبائع الأمور ولا من سنن الله في المجتمعات أن تكون الخارقة هي الأصل، إن الله سنناً في التدافع بين المجتمعات وابتلاء المؤمنين للتمحيص ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمُ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَمْلَأَنَّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢]. إنها سنة إلهية في أحب الناس إليه وهم المؤمنون به أتباع رسوله. ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

لم يدرك بنو إسرائيل سنن الله في الحياة وربط الأمور بمقدماتها وأسبابها إنهم كانوا يريدون أن يسير الكون بمقتضى الخوارق والآيات، وجعلوا أن هذا يصادم سنن الله في الكون.

إن الخوارق بمثابة الدواء والعلاج لأمر طارئة، أما السنة العامة فهي كالغذاء الدائم العام.

ولكن الحقيقة التي دفعتهم إلى هذا الموقف هي الطبيعة التي تربوا عليها تحت جبروت فرعون وطغيانه فأفقدتهم الثقة بأنفسهم.

لقد وقفت بنو إسرائيل مع نبيهم وقفة تخاذل ونذالة وجبن ﴿فَأَذَهَبَ أَنْتَ
وَرَبُّكَ فَفَقْتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

وقارن هذا بموقف صحابة رسول الله ﷺ عندما استشارهم قبيل موقعة بدر وكانت كل المبررات بجانب من لا يريد المعركة. لقد خرجوا يعترضون العير، ولم يدر في خلدتهم أنهم سيلقون مقاومة تذكر. فلم يستعدوا بالعتاد الكافي، بل أمر الرسول ﷺ من حضر أن يركب. فكان العدد ثلاثمائة وأربعة عشر. ومعهم سبعون بعيراً يعتقون عليها وفرسان. وكانوا حفاة عراة.

وكان يقابلهم جيش قرابة الألف مدججين بالسلاح والعتاد، قد خرجوا للقتال لإنقاذ القافلة، وأعدوا لذلك عدته.

فلما استشار رسول الله ﷺ قام بعض المهاجرين فقالوا فأحسنوا الكلام، ولكنه كان يقصد الأنصار لأنهم بايعوا رسول الله ﷺ على أن يحفظوه مما يحفظون به أهلهم وذرايهم أي يدافعون عنه - حرب دفاعية - ولم يبايعوه على الهجوم خارج المدينة على عدوه.

ولكن الأنصار آمنوا برسول الله ﷺ ودعوته والإسلام كل لا يتجزأ فالجهد قتال في سبيل الله على كل الأحوال إن اقتضى دفاعاً فهو ذاك وإن تطلب هجوماً فهو الجهد لإعلاء كلمة الله. فوقف متحدثهم ليقول لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله لقد آمننا بك وصدقناك. فسر على بركة الله والله لو خضت بنا البحر لخضناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك وجالدنا معك الناس. وإنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، وإنما نقول اذهب وأنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون)^(١).

وبعد أجيال ودهور، وبعد عقوبات وتأديبات ربانية تحدث حوادث في بني إسرائيل تدل على أن الطبائع هي هي وأن الجبن والهلع متمكنان من القلوب، فقد حدث أن تسلط الأعداء على بني إسرائيل وفتكوا بهم فتكاً ذريعاً

(١) انظر سيرة ابن هشام ٣/٣٣.

فقتلوا الثلث وشردوا الثلث واستاقوا ثلثهم أسرى، كان ذلك بعد موسى بأجيال. فلما استعاد المشردون أنفاسهم رجعوا إلى نبيهم وطلبوا منه أن يعقد له راية وأن يعين عليهم قائداً ملكاً^(١) يقاتلون تحت إمرته هؤلاء الأعداء الذين سفكوا دماءهم وقتلوا ذراريهم وسلبوا أموالهم، لكن النبي كان مدركاً بطابع القوم فقال إني أخشى أن يعين عليكم القائد الملك وتعقد لكم الراية ولكنكم تخذلون وتنصرفون عنه. قالوا كيف ننصرف عنه، ونحن الملتاعون المصابون نريد الانتقام. وكان ما توقعه نبيهم، فما أن عيّن عليهم طالوت ملكاً يقاتلون تحت رايته حتى اعترضوا على تعيينه عليهم ملكاً، وليس من سبط الملوك، وليس من أكثرهم مالاً وهما المقياسان عند بني إسرائيل في الزعامة. أما القدرات الشخصية والكفاءة الذاتية فلا اعتراف بها عندهم ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجَسَدِ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وعلم طالوت أن القوم جناء مخادعون لا يستطيعون مجابهة الأعداء فأراد اختبارهم ومدى التزامهم بأوامر القائد ومدى تحملهم المشقات ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُم مَّبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ كان عدد الذين لم يشربوا منه وصمدوا معه أربعة عشر وثلاثمائة رجلاً^(٢) وحتى هؤلاء القلة الذين صبروا معه واجتازوا الاختبار عندما رأوا جند الأعداء جالوت وجنوده خفت قلوبهم من الخوف وارتدعت فرائصهم فثبت قائدهم من عزائمهم ورفع معنوياتهم بتذكيرهم بتأييد الله لهم ونصره إياهم. ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَت فِئَةً كَثِيرَةً يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

لما كان الأبناء والأجيال اللاحقة تتربى على ما كان عليه آباؤهم

- (١) كان من الأمم السابقة يمكن أن تكون رئاسة الدولة في شخص والنبوة في آخر، وقد اجتمعت في داود وسليمان عليهما السلام ولا شك أن اجتماعهما في شخص أقوى لكيان الدولة وإدارتها، وكان ذلك في رسول الله ﷺ ولكنه لم يكن ملكاً.
- (٢) انظر في ذلك صحيح البخاري كتاب المغازي ٥/٥.

وأجدادهم من العقائد والأفكار، فقد برزت هذه الأخلاق فيهم في عهد رسول الله ﷺ فلم يدخلوا معركة حقيقية مع صحابة رسول الله ﷺ وجهاً لوجه، على الرغم من تبجحهم وقولهم لو حدث بيننا وبينكم - يقصدون المسلمين - لقاء لعرفتم أننا الرجال. فلا يغرنكم انتصاركم في بدر على الأعراب الذين لا عهد لهم بفنون القتال^(١).

فكانت قينقاع وكانت النضير وكانت بنو قريظة وكانت خيبر، وفيها جميعاً كان التنازل على حكم رسول الله ﷺ فكان الإجماع وكان أخذ الأموال والدور فيئاً - من غير قتال - وكان إقامة عقوبة الإعدام عليهم بسبب الخيانة العظمى كما في حادثة بني قريظة.

فلا يستطيعون مجابهة المسلمين وجهاً لوجه أبداً وهذا نقرؤه خلال التاريخ الإسلامي كله مصداقاً لقول الله تعالى فيهم: ﴿لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى ط وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]، وقوله تعالى: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [١٣] لا يُقَاتِلُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٣، ١٤].

وهنا يثور تساؤل هل استطاع اليهود أن يخلعوا عن قلوبهم الجبن والهلع في عصرنا هذا فزاهم اليوم يصلون ويجولون في المنطقة من غير خوف، ودخلوا عدة معارك مع العرب فانتصروا عليهم، ولم يستطع العرب مجتمعين أن يهزمهم ولو مرة واحدة منذ قيام دولتهم عام ١٩٤٨م! فكيف نفهم الآية الكريمة ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ الْأَدْبَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١].

والجواب على هذا التساؤل من عدة وجوه:

أولاً: إن الخطاب في الآيات الكريمة خطاب للمسلمين ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ أي يقاتلوا المسلمين، وكذلك في قوله تعالى ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ﴾ خطاب للمسلمين وكذلك الآيات الأخرى. والمعارك التي وقعت في

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٣/١٣٧.

العصر الحديث لم يكن بين اليهود والمسلمين بل بين اليهود والقوميين، ولم يكن قتالهم تحت راية إسلامية لإعلاء كلمة الله بل كانت تحت راية القومية العربية، والحرية والوحدة والاشتراكية، والوطنية، وإقامة الدولة العلمانية، والحكم الديمقراطي... إلخ.

فلم يكن الإسلام في الساحة، ولم يكن المسلمون الصادقون قادة الجند، ولم تكن الكتائب كتائب التوحيد، فانتصار اليهود كان على القوميين العرب، وعلى أصحاب أيديولوجية الوحدة والحرية والاشتراكية، والعلمانية والوطنية.

ومن الظلم أن نتهم المسلمين أنهم لم يصمدوا أمام حفنة من اليهود، أو أن الإسلام انهزم أمام اليهود.

إن الجيش يوصف بأنه جيش إسلامي إذا كان الهدف من القتال هو إعلاء كلمة الله (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فهو في سبيل الله)^(١).

والجند الذي يستوفي شرط النصر هو المتمسك بعهد الله وميثاقه ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

ثانياً: إن من يدرس أحداث المعارك التي جرت بين العرب وإسرائيل منذ عام ١٩٤٨، وإلى يومنا هذا، يجد أنها مسرحيات تمثيلية، والمهرجون الخونة أتقنوا إخراجها لتوطيد أركان دولة اليهود في فلسطين.

أ - أليس من المهزلة أن تشترك سبع دول عربية بجيوشها في معركة مع اليهود ويكون القائد العام لهذه الجيوش كلوب باشا الإنكليزي، والقاصي والداني يعرف دور الإنكليز في إقامة دولة اليهود منذ وعد بلفور عام ١٩١٧، حيث وجه وزير خارجية بريطانيا - آرثر جيمس بلفور - خطاباً إلى الزعيم الصهيوني اللورد رتشيلد جاء فيه: «إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد ٢٠٦/٣.

تحقيق هذه الغاية...» كان ذلك في الثاني من شهر نوفمبر عام ١٩١٧م.

ويقول أورمسيبي غور - وكيل وزارة المستعمرات البريطانية - في ٩ يوليو عام ١٩٢٣: «إن هدف وجودنا في فلسطين ليس فقط للاحتفاظ بها وطناً روحياً لليهود، ولكن هناك أسباب أخرى»^(١) ومروراً بالقضاء على ثورات فلسطين عام ١٩٣٣ و عام ١٩٣٨، وغيرها بالإضافة إلى مد اليهود سراً وعلناً بالسلاح والعتاد والخبراء، وفسح المجال أمام هجرة اليهود لدعمهم وإقامة دولتهم. ثم تأتي الأوامر العليا بجعل القائد العام للجيش التي تحارب إسرائيل كلوب باشا الإنكليزي؟!!

بل كان ملك الأردن آنئذ الملك عبد الله قد عقد الاتفاقات السرية مع الحكومة الإسرائيلية على تقسيم فلسطين بينه وبين إسرائيل^(٢).

ب - وفي حرب السويس عام ١٩٥٦م، كان الصراع بين نفوذ الدول الكبرى في المنطقة وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تريد الحلول محل إنكلترا وفرنسا في المنطقة، وكان الجواد الذي تراهن عليه أمريكا رجلها الأول في المنطقة جمال عبد الناصر، فبدأ بتأميم قناة السويس فانجرت أنكلترا وفرنسا لدخول الحرب، وكان دور إسرائيل الدليل الممهد لهم وكالقاعدة المتقدمة لجيوش الغرب، بالإضافة كما قلت في السابق فالراية لم تكن راية إسلامية وكان انسحابهم بضغط أمريكا بعد حصول إسرائيل على مكسب كبير في فتح مضائق تيران على البحر الأحمر أمامها، فهل هذه حرب إسلامية لرفع كلمة التوحيد؟!!

ج - وفي حرب ١٩٦٧، كانت المهزلة أشد، وكان رفاق السلاح المتنافسون على زعامة القومية العربية يريد كل منهم توريث صاحبه في الحرب فنفخوا في زعيم الأمة العربية ليستعرض جيشه المتوجه إلى سيناء، وقد أعطى

(١) انظر في ذلك: الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني، د. إسماعيل أحمد ياغي، ط جامعة الإمام ١٤٠٧هـ.

(٢) كشفت إسرائيل عن هذه الاتفاقات في فيلم وثائقي عام ١٩٨٨م.

العهود والمواثيق لأمريكا ولروسيا أن لا يبدأ المعركة مع إسرائيل وكان الآخرون يريدون توريثه لإزاحته عن الزعامة، فاستغلت إسرائيل الفرصة لتوجه الضربة القاضية إلى الطيران المصري وإخراجه من ساحة القتال خلال ساعات معدودات لينهار الصنم وتتكشف مهزلة الصواريخ الظافر والقاهر.

لقد كانت إسرائيل متفقة مع القيادات الفاعلة في هذه الجيوش وقبضتها ثمن الخيانة ودفعت إليهم سلفاً، وحددت ما ينتظرهم من مناصب لقاء تقديمهم معلومات أو مقابل تدميرهم لجيوش بلادهم. وقد تحقق ذلك فيما بعد ووفت إسرائيل لهم بوعودهم فمن بقاء مدة أطول في سدة الحكم ومن ترقية من منصب وزير إلى رئاسة في الدولة ومن قائد فرقة إلى رئاسة الأركان. إنها مهزلة العصر.

د - وفي حرب عام ١٩٧٣: صرح القائمون على دفتها والمقررون لقراراتها أنهم اتفقوا مع كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك اليهودي. أن المفاوضات مع إسرائيل لا يمكن أن تصل إلى نتيجة إلا بعد معركة يثبت العرب فيها وجودهم ليتفاوضوا مع موقع القوة، بل ليعقدوا الصلح الدائم مع إسرائيل ولا يوصموا بالخيانة والعار والهزيمة من قبل منتقديهم، فكانت الحرب محدودة الأهداف والوسائل، ولم تكن مطلقاً بقصد رفع كلمة التوحيد أو في سبيل الله. ومن التجني على الحقيقة أن نقول إنها حرب إسلامية أو بين المسلمين واليهود، وأصحابها يتبرؤون من الإسلام. بل لم يدخلوا معركة من هذه المعارك إلا بعد تصفية الصوت الإسلامي في بلدانهم، وتكميم أفواه المسلمين كي لا يتحدثوا عن خياناتهم، وصفقاتهم السرية مع اليهود^(١).

ثالثاً: لقد كانت هنالك اصطدامات في بعض الأوقات بين المسلمين واليهود في نطاق ضيق ولم تكن في حرب شاملة كما تقدم. فقد دخلت بعض

(١) للمزيد من أسرار حروب العرب مع إسرائيل انظر كتاب: الطريق إلى بيت المقدس، جمال عبد الهادي مسعود ص ٩٢ وما بعدها.

الجماعات المتطوعة عام ١٩٤٨ باسم الإسلام، وأذاقت اليهود الأمرين، وكان الجنود الإسرائيليون يفرون أمامهم كالجرذان عندما يسمعون صيحات التكبير، وحدث في بعض المعارك أن بعض الضباط في قيادات بعض السرايا كانوا مسلمين فكانوا يقاتلون عن عقيدة وإيمان فلم يستطع الإسرائيليون قهرهم أو مجابتهم وفي معركة الكرامة في غور الأردن عام ١٩٦٨م تمرد ضابط أردني على قيادته وأصدر أوامره للجنود بالتصدي لإسرائيل وشارك معه بعض الفصائل من منظمة فتح وكان بين أفرادهم مسلمون فكبدوا الإسرائيلين خسائر كبيرة وتركوا ميدان المعركة مهزومين مذعورين وقد وجد في الدبابات الإسرائيلية المدمرة أن قائدي الدبابات كانوا مسلسلين بالسلاسل في دباباتهم منعاً لهم من ترك الدبابات والفرار.

إننا على يقين من وعد الله للمؤمنين المخلصين الصابرين بالنصر وتثبيت الأقدام إن أخلصوا النية لله تعالى. وإننا على يقين بالحقيقة القرآنية بعدم إمكانية صمود اليهودي أمام المسلم وجهاً لوجه.

وإلى أن يوجد المجاهد المؤمن الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، وإلى أن ترفع راية التوحيد ويكون القتال تحت ذاك اللواء إلى أن يتحقق ذلك ستبقى إسرائيل وستبقى لها اليد الطولى في المنطقة لتصول وتجول وترعد وتزبد. لأنها لا تجد أمامها أحداً وإنما تجد هياكل فارغة من الإيمان، فهم يجابهون أناساً لا قضية لهم ويقاتلون في سبيل تثبيت عروش لا يقتنعون بأهليتها للقيادة ثم يجابهون قيادات قد عقدت صفقات معها فكيف تخشى بأسهم أو تحسب لهم حساباً.

المَعْلَم السادس

فقدان الثقة الذاتية عند اليهود

﴿صُرِّبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيَّنَ مَا تَفْعَلُوا إِلَّا مَا يُحِبُّ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾
[البقرة: ٦١].

إن اليهود خلال تاريخهم المديد لم تقم لهم دولة يعتمدون فيها على إمكاناتهم الذاتية إلا عندما كانت النبوة فيهم - وهي المرحلة التي يعبر عنها القرآن الكريم بحبل من الله - لقد ساسهم بعض الأنبياء وكانوا ملوكاً في نفس الوقت فكان بنو إسرائيل يقاتلون أعداءهم تحت راية الأنبياء وقد أخذوا الميثاق من الله أنهم لن يغلبوا ما داموا ملتزمين بشرائع الله، وكان الرمز المادي الذي يدخل الطمأنينة على قلوبهم بعدم إلحاق الهزيمة بهم هو التابوت الذي يقدمونه بين أيدي الجند في المعارك والذي جاء ذكره في القرآن الكريم، عندما رغبوا في قتال الأعداء ولكنهم لم يجروا دخول المعارك إن لم يكن التابوت بينهم.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

ولكن كلما خلا عصر من نبي من أنبياء بني إسرائيل تمردوا على شرائع التوراة وأفسدوا في الأرض، فسلط الله عليهم بعض عباده الذين يسومونهم سوء العذاب، حتى يعودوا إلى الذلة والمسكنة، أو يرسل إليهم رسولاً جديداً فتدخل الطمأنينة إلى قلوبهم بحبل من الله.

ولما انقطعت النبوة فيهم وكان آخر أنبيائهم عيسى عليه السلام الذي تأمروا على قتله بالاستعانة بالحكام الرومان، فأجابه الله منهم برفعه إليه حياً، بعد ذلك انقطع عنهم حبل الله ولم يعودوا يطمعون في عهود ومواثيق تأتيهم

من الله لانقطاع النبوة فيهم، وبما أنهم لا يستطيعون الحياة من غير تكأة على شيء من خارج نفوسهم، لم يبق أمامهم إلا حبل الناس والعيش تحت وصاية أمة من الأمم أو شعب من الشعوب بحيث يتكفل حمايتهم والقتال عنهم وإدخال الطمأنينة إلى قلوبهم.

وهنا يثور تساؤل: كيف يتمكنون من تسخير هذه الأمم أو الشعوب أو الحكومات من أن يكونوا حراساً للمصالح اليهودية ويدفعون بأبنائهم وفلذات أكبادهم إلى أتون المعارك ليحموا اليهود؟!

الأمر ليس بهذه الصورة الفاضحة، وإنما تزين بزخارف الدجل والخداع والتزييف والبهجة التي يتقن اليهود إخراجها حسب العصور والثقافات وطريقهم في ذلك ضمان المصالح الشخصية لبعض الفئات، أو توفير سبل الملذات والشهوات البهيمية لبعض الطبقات المتسلطة، أو التهديد والوعيد لفئات من الناس إن لم يقدموا لليهود تلك الرعاية وحماية المصالح.

والتاريخ البشري مليء بتلك الصفقات السرية مع الطبقات الحاكمة المتسلطة على رقاب شعوبها لإذلالها في سبيل إرضاء دهاقنة المال اليهود لدخولهم معهم في تلك الاتفاقات السرية^(١).

وكم تكون الحسرة شديدة عندما يرى العقلاء أن اليهود يمتصون دماءهم وشرايين المال تصب في بنوك اليهود، ودماء أبنائهم تراق في سبيل حماية مصالح اليهود لا يستطيعون الاعتراض ولا التخلص فيدفعونها والمقت والكبت والحسرة تملأ قلوبهم، لأنهم إن تكلموا فمصيرهم الاغتيال، أو الفضائح الملفقة لأعراضهم، أو فقدان مكانتهم الاجتماعية أو خسارة أموالهم وشركاتهم ومصانعهم وإفلاسها، إنه الحبل من الناس الذي يطوق به اليهود أعداءهم ويشدون به أزرهم ويؤمنون سلامتهم ﴿وَجَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾.

(١) انظر في ذلك كتاب اليهود وراء كل جريمة لوليم كار. حيث كشف مؤلفه بالوثائق التاريخية تلك الاتفاقات بين اليهود وملوك ألمانيا، وانكلترا وفرنسا وإيطاليا وأمريكا وروسيا.

فيا هل ترى نحن الآن مقدمون إلى أن يلتف ﴿وَجَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ الذي طرفاه في يد اليهود حول أعناق الشعوب العربية ويكون حكام العرب هم الحراس الذين يسهرون على استحكام هذا الجبل ووثاقته وعدم استرخائه.

إننا نعلم أن كثيراً من الموارد من العالم الإسلامي (البترو، المعادن، الزراعة، الثروة الحيوانية...) تستغل من قبل شركات يهودية تحمل جنسيات لدول عظمى ولدول صغرى، تمتص تلك الخيرات بشكل غير معلن لتصب في النهاية في تقوية الاقتصاد الإسرائيلي.

ولكن هل حان الوقت لأن تكشف إسرائيل الأوراق وتلعب على المكشوف كما يقولون، فتسخر الجيوش العربية والإسلامية أيضاً لحماية أنابيب الغاز والنفط وقنوات الري الممتدة من الدول المحيطة بإسرائيل إلى أرض فلسطين، وتنقلب مهمة الجيوش إلى مهمة حراسة تلك المصالح وإخماد أي صوت يستنكر هذا العمل أو يعترض على هذه الخيانة أن ينادي بالأمة لإيقاظها من رقدتها إلى ما يفعله حكامها من مساعدة إسرائيل في لف الجبل حول العنق وشد الأطراف واستيثاق العقدة واستحكامها.

هل نحن مقدمون لنشاهد ﴿وَجَبَلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ يمتد على صورة الأفعى الإسرائيلية ذنبها في (أورشليم) بيت المقدس وهي تمتد لتلتف في عواصم العالم جميعاً لتعود مرة ثانية إلى أورشليم فتستحكم العقدة وتكون إسرائيل سيدة دول العالم بفضل هذا الجبل من الناس.

لقد تمكنت الأفعى اليهودية من عواصم أوروبا وأمريكا ولم تنفع صيحات التحذير التي أطلقها بعض قادتهم^(١)، وقد مرت بعواصم الدول الشيوعية والآن

(١) انظر ما قاله الرئيس الأسبق بنيامين فرانكلين: ترأس بنيامين فرانكلين، أول اجتماع لمجلس تأسيسي للولايات المتحدة الأمريكية بعد استقلالها عام ١٧٧٩م وألقى خطاباً قال فيه: «إن هؤلاء اليهود يدخلون البلاد بصفة دخلاء مساكين، وما يلبثون أن يمسكوا بزمام مقدراتها، ثم يتعالون على أهلها، ويحرمونهم من خيرات بلادهم... إن هؤلاء اليهود هم أبالسة الجحيم، وخفافيش الليل، ومصاصو دماء الشعوب. أيها السادة: اطرودوا هذه الطغمة الفاجرة من بلادنا قبل فوات الأوان، ضماناً لمصلحة»

= الأمة وأجيالها القادمة، وإلا فإنكم سترون بعد قرن واحد أنهم أخطر مما تفكرون وستجدون أنهم قد سيطروا على الدولة والأمة، ودمروا ما بناه بدمائنا، وثقوا أنهم لن يرحموا أحفادنا، بل سيجعلونهم عبيداً في خدمتهم، بينما هم يقبعون خلف مكاتبهم يتندرون بسرور بالغ بغبائنا، ويسخرون من جهلنا وغرورنا...
أيها السادة: ثقوا أنكم إذا لم تتخذوا هذا القرار فوراً فإن الأجيال الأميركية القادمة ستلاحقكم بلعناتها وهي تنن تحت أقدام اليهود...»

ولكن هذه الكلمات ذهبت أدراج الرياح إذ نجح اليهود في شراء أصوات المعارضة لاقتراحه فأسقطوا الاقتراح، واشترى اليهود جميع أعداد صحيفة (تشارلز بكني) التي نشرت الخطاب اليوم التالي وأحرقوها، انظر اليهودية العالمية ص ٧٤.

وقد تحققت سيطرة اليهود على الحياة الأميركية باقتصادها وإعلامها وسلوكيات مجتمعها وسخرت طاقاتها العسكرية الضخمة لتنفيذ مخططات اليهود في العالم ولحماية إسرائيل لتقييم الجسور الجوية بين أمريكا وبين إسرائيل في حال تعرضها للخطر، وجرت الولايات المتحدة الأميركية لحرين عالميتين لإزالة العقبة الرئيسية أمام إقامة إسرائيل في الحرب العالمية الأولى. (وهي الخلافة العثمانية الإسلامية)، ولتقييم دعائم الدولة اليهودية في فلسطين في الحرب العالمية الثانية، ومن يدري ماذا سيكون في مستقبل الأيام من جرّ القوى العظمى إلى مخططات اليهود في المستقبل.

يقول جيمس فورستا: (وهو وزير الدفاع الأمريكي في عهد الرئيس ترومان): «ليس من حق أي جماعة في أمريكا - يقصد اليهود - أن يسمح لها أن تؤثر في السياسة الأمريكية بصورة تهدد أمن أمريكا القومي».

وحاول تقليص نفوذ اليهود على الحزبين الرئيسيين في البلاد، ولكن الصحافة اليهودية لاحقته حتى قدم استقالته عام ١٩٤٨، وما زالت الصحافة تلحق به التهم حتى ألقوا به من شرفة منزله بنيويورك وزعموا أنه انتحر. خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص ٢٩٤.

ومثل سابقه الجنرال (جورج براون) حيث يقول:

«إن إسرائيل هي طفل أمريكا المدلل، وقد أصبحت عبئاً عسكرياً على أمريكا بعد أن أصبح اليهود يملكون الولايات المتحدة، يملكون بنوكها، يملكون صحفها». ويقول أيضاً في عام ١٩٧٥م:

«لقد كنت كأمريري أحس بالمهانة عندما كنا نقول للوفود الإسرائيلية أثناء مباحثاتها مع وزارة الدفاع الأمريكية: لن يوافق الكونغرس على مطالبكم هذه...»

فيرد علينا المفاوضون اليهود على الفور: دعوا أمر الكونغرس إلينا، فنحن نعرف كيف نعالجه، ثم تبين لنا أنهم بالفعل يعرفون كيف (يعالجونه)».

هي في طريقها إلى جنوب شرق آسيا لتلتف من هناك إلى عواصم دول العالم الإسلامي ومنها العربي.

لقد نجحت اليهودية العالمية نجاحاً باهراً في تمييع المقاييس التي يقاس بها مصالح الشعوب والأمم، ونجح في جعل ميزان المصلحة هو ميزان التحكيم، والمصلحة عبارة مطاطة، فكثيراً ما تنقلب المفاصل إلى مصالح بعد ترويض الشعوب على مفاهيم معينة.

إن مصلحة أمتنا مستمدة من قيم كتاب ربنا المنزل على سيدنا محمد ﷺ، فهو الميزان الذي لا تغيره تقلبات الظروف ولا تميله الأهواء، من حكم به عدل ومن تمسك به أفلح ونجا.

إن المصالح الدنيوية الفانية من جاه ومال وشهوة أحقر من أن نضحى في سبيلها بحقيقة واحدة من حقائق القرآن الذي يجعل من اليهود أعدى أعداء المسلمين ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

إن اليهود وعلى الرغم من هذه القوة الرهيبة لديها من مال وقادة مجندين لخدمتها وجيش من العملاء يعملون وفق مخططاتها، بل وأسلحة فتاكة تستطيع تدمير العالم الإسلامي كله^(١)، لا تعتمد على قوتها الذاتية بل اتكأت على تحالفها مع بريطانيا العظمى إلى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم اتكأت وتكئ على تحالفها مع الولايات المتحدة الأميركية إلى يومنا هذا، ومن يدري قد تتكئ في المستقبل على اتحاد دول أوروبا أو على بعض القوى من العالم العربي وكل ذلك تحقيق لسنة الله تعالى فيهم ﴿صُفِّرَتْ عَنْهُمْ الدِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقْفَوُا إِلَّا بِحَبْلِ مِّنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

= فاشتدت حملة اليهود على الجنرال براون وفقد مركزه بالإضافة إلى توجيه التوبيخ العنيف إليه من قبل رئيس الجمهورية (جيرالد فورد).
(١) تفيد التقارير الأمنية في العالم أن إسرائيل تمتلك أكثر من (٢٠٠) مائتي رأس نووي، ولديها الصواريخ التي تمكن من حملها إلى عواصم العالم الإسلامي جميعاً.

المَعْلَم السابِع

عداوة اليهود للإنسانية عامة وللمؤمنين خاصة

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾
[المائدة: ٨٢].

قد يتساءل المرء لماذا يعادي اليهود المؤمنين هذه العداوة التي يصفها القرآن الكريم بالشديدة بل تأتي بصيغة أفعال الدالة على الإيغال في هذه العداوة.

- فهل هو الحسد الذي أشار إليه القرآن الكريم.

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَكًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

إذ كان اليهود يتطلعون أن يكون النبي الخاتم منهم، فلما ظهر النبي من العرب أضمروا له عداوة الدهر^(١)، على الرغم من تحققهم من صدقه بما كان لديهم من العلامات الخلقية والخلقية والأوصاف التي ذكرها كتابهم عن أمته ورسالته.

وهم بذلك يسيئون الأدب مع الله سبحانه وتعالى الذي بيده الملك يؤتية من يشاء من عباده، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

﴿أَمْ لَمْ نَمُتْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [٥٢] أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ

(١) انظر ما تقدم ص ٨١ من الكتاب.

عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴿٥٥﴾

[النساء: ٥٣ - ٥٥].

- أو هو استعصاء هذه الأمة على التطويع لمخططات الأعداء واحتفاظها بمقوماتها الخاصة المستمدة من كتاب ربها المنزل، وتكريم الله سبحانه وتعالى لها بهذه الرسالة الخالدة والكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وكلما فترت النفوس عن التمسك بشرائع الله وانصرفت عنه بعث الله لها مجددين من أبنائها على رأس كل قرن، فكان التجديد وكان الانبعاث وكان الالتزام بشرائع الله^(١).

لذا فإن نجاح اليهود في العالم الإسلامي محدود سواء كان على المستوى الثقافي أو المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الإعلامي. ففي غفلة من الأمة تتمكن في جانب من الجوانب ولكن سرعان ما يكون الانبعاث ويكون التجديد. ولم تستعص أمة من الأمم على اليهود كأمة الإسلام حيث حرّف اليهود كل الشرائع والأديان الوضعية والسماوية ما عدا الإسلام. فكانت محاولاتهم المستمرة التي لا تنقطع.

لقد استمرت محاولات اليهود لتطويع القيادات الإسلامية لمخططاتها بشتى الوسائل بدءاً من رسول الله ﷺ:

- فقد جاء بعض زعمائهم إلى رسول الله ﷺ وقالوا يا محمد نحن سادة يهود وزعماؤها وإن اتبعناك اتبعنا سائر اليهود، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فإن قضيت لنا أماننا بك، فجاء الرد الإلهي الصارم ﴿وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ يَمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْنَا أَنبَاً يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠].

(١) انظر حديث المجددين لهذه الأمة وتخريجه ص ٧.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ج ٢/ ٦٧.

- وبعد فتح خيبر وإبقاء الرسول ﷺ اليهود فيها لزراعتها مناصفة بينهم وبين المسلمين على أن يكون للمسلمين إجلاؤهم منها متى شاؤوا، كان رسول الله ﷺ يرسل بعض الصحابة لتخريص التمر عند بدو صلاحه، فأرسل في إحدى السنوات عبد الله بن رواحة رضي الله عنه للقيام بالمهمة فجاءت اليهود تحاول رشوته فقال لهم مقولته المشهورة يا معشر اليهود: والله إنكم أبغض خلق الله إليّ وإن رسول الله وأصحابه أحب خلق الله إليّ ولا يحملني ذلك على ظلمكم... فقالوا على مثل هذا - أي العدل - قامت السماوات والأرض^(١).

- وفي خلافة علي بن أبي طالب دس عبد الله بن سبأ اليهودي بعض أتباعه ليقولوا عن عليّ أن الله سبحانه وتعالى حلّ فيه وأنه الإله، ودس فرقة أخرى منهم ليقولوا إن أمين الوحي (جبريل) خان الأمانة وبدل أن يوحى إلى عليّ أوحى إلى محمد.

وفرقة ثالثة تقول: إن منزلة علي من محمد منزلة هارون من موسى فهو خليفته على أمته إذا غاب عنهم^(٢).

ولكن إيمان المؤمنين عامة وإيمان علي بن أبي طالب خاصة ما كان ليلتيس عليهم مثل هذه الفتنة لأن مقاييس الشريعة المحكمة كانت توزن بها المبادئ والأفكار وكانت غايتهم الحصول على رضوان الله تعالى، وما كانت الدنيا وما فيها لتزحزحهم عن التمسك بحقائق الإسلام قيد شعرة، فقاوموا هذه الدسائس والفتن أشد مقاومة، وكان لعلي رضي الله عنه مواقف شديدة مع هؤلاء حتى نبهه بعض الصحابة على ذلك وأن يقيم عليهم حكم الردة وأن

(١) انظر السيرة الحلبية ٣/٣٧٨.

(٢) انظر هذه الأقوال في الملل والنحل للشهرستاني: ج١.

والقول الأول قالت به: السبائية - المرجع السابق ص٢٠٤.

والقول الثاني قالت به: العلبيّة وتسمى الذميّة - المرجع السابق ص٢٠٦.

والقول الثالث: قالت به الجعفرية - المرجع السابق.

يترك حرقهم بالنار كما أراد وعزم، ففضي على الفتنة في مهدها لأنها لم تجد أذناً صاغية ولا قلباً تتشربها. وخسيء دهاقين الفتنة في عاصمة الخلافة فخرجوا إلى الأقطار البعيدة ليروجوا لبعض هذه المبادئ.

- وكانت محاولات اليهود مع سلاطين آل عثمان المسلمين للسماح لهم بالهجرة إلى أرض فلسطين والاستيطان فيها كان ذلك مع السلطان عبد المجيد خان، فأصدر السلطان أمراً بمنع اليهود القادمين لزيارة بيت المقدس من الإقامة في القدس أكثر من ثلاثة أشهر^(١).

وتكررت المحاولة مع السلطان عبد الحميد الثاني^(٢) وجاءت الوعود اليهودية بسداد جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية وبناء أسطول لحماية الامبراطورية، وتقديم قرض بخمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لإنعاش مالية الدولة وإنماء مزارعها، وإنشاء جامعة استانبول حتى لا يحتاج الطلبة الأتراك إلى السفر إلى أوروبا فيتعرضوا لتأثير الأفكار الديمقراطية الضارة. . مقابل السماح بدخول اليهود إلى فلسطين، بقصد زيارة الأماكن المقدسة وإنشاء مستعمرة قرب القدس. فكان أن جابههم السلطان عبد الحميد الثاني بالرفض التام والتحقير والتوبيخ لمن حمل هذه العروض إليه. لم يجد اليهود أمامهم سوى وسائلهم المعهودة بالتآمر في الخفاء لتقويض أركان الدولة العثمانية عن طريق صنائعها، وعملائها.

إن الثوابت في دين الإسلام، والطائفة المتمسكة بشرع الله من أمة محمد ﷺ والتي يقول عنها رسول الله ﷺ «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة»^(٣) قد أفسدت على اليهود مخططاتهم في إفساد أمر المسلمين بتحريف شرائع الله عن حقائقها وصرف أمة الإسلام بطمس معالم مسيرتها، استعصى عليهم ذلك فأضرموا لهم العداوة الشديدة والمكائد المستمرة.

(١) انظر كتاب الأنبياء اليهودية ص ٣٢ وما بعدها.

(٢) انظر كتاب اليهود تاريخ وعقيدة ص ٧٥ وما بعدها.

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد ١٨٩/٨.

وهذا الذي بينه القرآن الكريم لأمة الإسلام ليكونوا على حذر من مكائدهم يقول جل جلاله: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ بِلْتِمَتِهِمْ قُلُوبَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ وَلَٰكِنْ أَتَّبَعْتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

إن من يوهم أن يهود اليوم غير يهود الأمس وأن المفاهيم قد تطورت لديهم ويمكن المعاشة معهم، إنما يسعون خلف السراب.

ولا يمكن أن يتصور ذلك من اليهود إلا إذا تخلوا عن يهوديتهم واعتقدوا ديانة أخرى كأن يصبحوا مسلمين وهذا مستحيل عندهم، أو يتخلى المسلمون عن إسلامهم ويدخلوا اليهودية وهذا مستحيل أيضاً لأن الطائفة المنصورة من أمة محمد ﷺ لا تنقطع ولا يخلو منها جيل من الأجيال.

أو أن يسود مبدأ جديد بعيد عن اليهودية والإسلام ويعتنقه أهل المنطقة وهذا أيضاً مستحيل لأن أتباع كلتا الديانتين متمسكان بديانتهما.

يدل على ما قدمنا أقوال زعماء اليهود قديماً وحديثاً.

«فقد قال حيي بن أخطب قديماً^(١) عندما قال له أخوه أبو ياسر: أهو؟ قال: نعم والله، قال تعرفه بنعته وصفته؟ قال: نعم والله قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت».

وقال بن غوريون^(٢): عام ١٩٥٣ عندما سئل عن عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أراضيهم: (إن عقارب الساعة لا يمكن أن ترجع إلى الوراء والحل العادل هو إسكان الفلسطينيين في الدول المجاورة...).

ويقول أيضاً: (نحن لا نخشى الاشتراكيات ولا الثوريات، ولا الديمقراطيات في المنطقة، نحن فقط نخشى الإسلام، هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ).

(١) انظر ما تقدم ص ٨٦.

(٢) انظر معركة الوجود بين القرآن والتلمود: ص ١٤، وانظر قادة الغرب يقولون: ص ٦١.

قال شامير في حفل استقبال اليهود السوفيت المهاجرين إلى إسرائيل^(١):
(إن إسرائيل الكبرى من البحر إلى النهر هي عقيدتي وحلمي شخصياً... وبدون هذا الكيان لن تكتمل الهجرة ولا الصعود إلى أرض الميعاد ولن يتحقق أمر الإسرائيليين ولا سلامتهم).

وقال مناحيم بيجن^(٢): (أنتم أيها الإسرائيليون لا يجب أن تشعرُوا بالشفقة حتى تقضوا على عدوكم ولا عطف ولا رثاء حتى تنتهوا من إبادة ما يسمى بالحضارة الإسلامية التي سنبنى على أنقاضها حضارتنا).

كل ذلك يدل بوضوح على أن العداوة ستستمر، وأن الصراع ماضٍ إلى أن تقع الملحمة الكبرى بين المسلمين واليهود ويكون فسطاط دولة الإسلام في بلاد الشام ويكون ملك بني إسرائيل في فلسطين، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ الصادق المصدوق ولنا وقفة طويلة مع النصوص الكريمة التي تحدد معالم الصراع في المستقبل - إن شاء الله تعالى -.

(١) انظر معركة الوجود بين القرآن والتلمود: ص ١٤.

(٢) انظر كتاب صراعنا مع اليهود: ص ٥٩ لمحمد إبراهيم ماضي.

المَعْلَم الثامن

تسليط شعوب وأمم عليهم كلما اشتد فسادهم في الأرض

يقول عز من قائل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْيَقِينَةِ مَنْ يُسُوءُهُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ [الأعراف: ١٦٧].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمۥٓ وَإِنْ عُثِمۥٓ عُدُنَآ وَحَمَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ [الإسراء: ٨].

سبق أن ذكرنا أن سنن الله سبحانه وتعالى مطردة، وأنها تستند إلى أسباب موضوعية غير مقيدة بزمان محدد أو حالات شاذة أو قيود طارئة، وسنة تسليط الله لبعض عباده على اليهود سنة مطردة تؤكدها الوقائع التاريخية، وقبل أن نسوق جملة من الأحداث التاريخية التي تؤكد هذه السنة القدرية في اليهود، نبحث عن الأسباب الموضوعية لهذه السنة.

يمكن القول إن هنالك أسباباً عامة تتعلق باليهود أنفسهم (عقائدهم والأسلوب التربوي الذي يتبعونه في تنشئة أجيالهم، وأسلوب تعاملهم مع الشعوب التي يعايشونهم وسلوكياتهم في ذلك).

- فالعقائد اليهودية تجعل من اليهود الشعب المدلل المكرم على إلههم (يهوه) وهو إله اليهود دون سائر العالمين في كتب اليهود (أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب) سفر التكوين، الإصحاح ٢٧ ص ٤٣.

يقول إيرا بنيل: الشعب المختار وحده يستحق الحياة الأبدية، أما الشعوب الباقية فمماثلة للحمير حتى إنهم يعتبرون بيوت غير اليهود زرائب

للحيوانات، وأن الأرض والسموات وما فيها خلقت من أجل اليهود ولخدمتهم، والأموال لليهود دون غيرهم ومن أخذ شيئاً من المال فقد سرق اليهودي حقه ولليهودي إعادة هذا المال إلى حوزته بالطريقة المتاحة.

إن عقيدة الاستكبار والاستعلاء على شعوب العالم لا شيء لا لخاصية خلقية، ولا لصفات إنسانية ولا لمزايا أدبية، بل لذات الشعب أنه الشعب المختار، أوجد لدى اليهود عقدة التمايز والعنجهية، تقول توراتهم المحرفة (لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض) سفر التثنية الإصحاح ٧ ص ٢٩.

والناس لا يسلمون لليهود بذلك بل لكل قوم كرامته ولكل شعب من شعوب العالم انتماؤه التاريخي واعتزازه بأمجاده، وإن كان لشعب أن يتفاخر على غيره فيما قدمه للإنسانية من قيم ومثل رفيعة وحضارة وسعادة تتلاءم مع إنسانية الإنسان، والخلق عيال الله وخيرهم خيرهم لعياله^(١). كما قال رسول الإنسانية محمد ﷺ، والميزان الرباني الذي ينبغي للجوء إليه هو ذلك الميزان الذي لا يحابي أحداً لعنصره المادي وإنما يفاضل بين الناس بالجوهر المعنوي ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

أما عقيدة الاستعلاء بالعنصر وتحقير الآخرين فهي ضلالة وجاهلية واتباع لسنة إبليس ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

كل ذلك يؤدي إلى مشاعر معينة تجاه اليهود وتوجد ترسبات في نفوس الناس حيالهم.

- والمنهج التربوي لليهود وأسلوب معيشتهم في أحيائهم في العالم يضي عليهم نظرة خاصة.

(١) رواه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية، انظر كتاب المقاصد الحسنة ص ٢٠٠.

يعيش اليهود في كل أنحاء العالم في أحياء خاصة بهم تسمى (الجيتو)^(١).

وهم يعيشون معزولين عن المجتمعات لدوافع ذاتية من أهمها:

١ - الحفاظ على المعتقدات والعادات والتقاليد اليهودية الخاصة لكيلا يغزوا من قبل المجتمعات، وربما كان التأثير على الشباب الناشئ فتغير نفوسهم من هذه الموروثات إلى غيرها، وخاصة إذا كان المجتمع ذا تيار فكري ومعتقدات قوية لا يصمد لها الفكر اليهودي.

٢ - الشعور بنوع من الأمن والطمأنينة، لأن الشخصية اليهودية مفطورة على معتقد الاضطهاد والتشرد، فمن موروثاته التي يتغنى بها وتكوّن شخصية اليهودي الثقافية ذكريات (تية سيناء)، وقصائد أسر بابل، وأحداث شوارع روما القيصرية. فاليهودي يعيش في قلق دائم، وفي خوف من المجهول، والاستعداد للرحيل الذي يمكن أن يفرض عليه في أي وقت.

٣ - إبراز نوع من الاستعلاء والترفع على المجتمعات التي يعيش فيها اليهود حيث يشبهون (الأميين) - غير اليهود - بالدواب المسخرة لمصلحة الشعب المختار، فمن غير المناسب أن يعيش الإنسان مع دوابه وبهائمهم في حظيرة واحدة.

٤ - إخفاء ما يجري بين اليهود وفي أحيائهم عن أنظار الناس من الدسائس والمؤامرات والجرائم الخلقية والخيانات التي قد تصل إلى قتل الأفراد من غيرهم، فيكونون في هذه الأحياء في مأمن من المراقبة وفي منأى عن أن

(١) اختلف الباحثون في سبب تسمية هذه الأحياء بالجيتو: فقيل إن الكلمة مشتقة من الكلمة الإيطالية (جيتو) أي مسكب المدافع إشارة إلى الحي المجاور لهذا المسكب الذي سكنه اليهود.

وقيل إنها مشتقة من الكلمة العبرية (جت) بمعنى الانفصال ولعلها الأقرب في الاشتقاق لأنها واردة في التلمود واليهود عندما يسكنون الجيتو يرغبون في الانفصال عن الجويم (غير اليهود). انظر في ذلك الملل المعاصرة في الدين اليهودي: إسماعيل راجي الفاروقي ص ٢٣.

تطالب إليهم يد العدالة غالباً لأنهم يخفون آثار الجريمة بسهولة في مثل هذا المجتمع المغلق^(١).

وغالباً ما كانت هذه المجتمعات اليهودية أو بالأصح الأحياء الخاصة باليهود تتشكل في المدن التي تزدهر فيها تجارة الرقيق قديماً وتجارة النساء في العصر الحاضر وحيث تنشط المؤسسات الربوية.

يقول آدم متز: كان أغلب تجار الرقيق في أوروبا من اليهود، وكان الرقيق يجلب كله تقريباً من أوروبا الشرقية، كما هو الحال اليوم في تجارة النساء، ومن الجلي أن استقرار جاليات يهودية في مدن مقاطعة سكسونيا الشرقية، مثل مدينة مجديبورج ومرزيبورج كان راجعاً إلى تجارة الرقيق^(٢).

من أجل ذلك كانت المجتمعات تضيق ذرعاً باليهود، وبخاصة إبان الاضطرابات العامة والحروب والتحولات الاقتصادية والسياسية. فاليهود لا يتركون أي أزمة في المجتمعات إلا ويستغلونها مادياً لمصالحهم الخاصة، وهناك هوة كبيرة بينهم وبين غيرهم فلا رابط يربطهم بالمجتمعات والأرض التي يعيشون فيها وعليها.

وعلى مر الأيام أصبحت هذه الأحياء (الجيتو) بمثابة سجن اختياري لليهود ومبابة فساد وقذارة حسية ومعنوية، حتى ضج منها الناس بل وبعض اليهود أنفسهم ممن لم تمسخ فطرتهم. يقول كلاتزكين: إنهم شعب قلق بلا جذور، يعيش حياة زائفة وفسادة، ويقول إسرائيل سنجر الكاتب الصهيوني: إنهم شعب منحط، قانط، يحيا في القذارة.

ويقول فريشمان: حياة اليهود حياة كلاب تثير الاشمزاز.

ويقول شوادرون: أحط أنواع القذارة وطفيليات بلا جذور^(٣).

(١) كما حدث في حادثة القسيس (توما) وخادمه إبراهيم عمار. انظر مقدمة كتاب الكنز

المرصود ص ٢١ وص ٣٧ وص ١١٥ من الكتاب المذكور.

(٢) انظر اليهود تاريخ وعقيدة لكامل سغفان ص ٤٧.

(٣) المرجع السابق ص ٤٩.

وهذا الشعور تجاه اليهود يجعلهم محط نقمة الشعوب مدار التاريخ.

- فإبان الحرب الصليبية التي أججها اليهود من خلف ستار لحمل الدول النصرانية على حرب المسلمين، كان الصليبيون يقومون بذبح اليهود في كل مدينة يمرون بها في مسيرتهم عبر أوروبا، وأحرقوا بيوتهم، فلما سقطت القدس بأيدي الصليبيين ساقوا اليهود إلى كنيسهم حيث أحرقوا.

- وفي سنة ١٢٩٠م قضى الإنجليز على اليهود جميعاً بالنفي، وتبعهم في ذلك الفرنسيون.

- وفي القرن الخامس عشر بلغ الاضطهاد باليهود أشده في أسبانيا والبرتغال ولم ينج من هذا الاضطهاد الجماعي والملاحقة الشرسة سوى الجماعات الصغيرة في إيطاليا.

- وفي عامي ١٣٤٨، ١٣٤٩ انتشر الموت الأسود في أوروبا واتهم اليهود بأنهم سمموا الآبار ومجاري المياه، فاشتدت حملة القتل والتنكيل والتشريد بالرغم من محاولة البابا (كليمنس السادس) الدفاع عن اليهود، بحجة أن الوباء من الله وأنه أصاب اليهود كما أصاب غيرهم، ولكن دون جدوى.

- وفي إيطاليا عام ١٤٤٥م وجد طفل قتيل لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره واتهم اليهود بقتله، فانقض النصارى عليهم تقتيلاً وتنكيلاً.

- وفي ٣١ مارس ١٤٩٣ أصدر فرديناند وإيزابيلا بأسبانيا مرسومهما الرهيب بالفتك باليهود والمسلمين، فهام اليهود على وجوههم ولم يجدوا ملاذاً آمناً إلا في بلاد المسلمين.

- ظهرت في ألمانيا عام ١٨١٩ جمعية (هب هب) تهاجم اليهود الذين اعتصروا ثروات الشعوب وامتصوا دماء الأبرياء - كان هذا شعارهم.

- وفي سنة ١٨٨١م كانت أعمدة الدخان تتصاعد حول بحر البلطيق إلى البحر الأسود حيث كانت عمليات الحرق لليهود وبيوتهم وكتبهم مستمرة، وحددت لهم روسيا مناطق لا يخرجون منها، وألزمتهم الخدمة العسكرية خمسة عشر عاماً.

وكان قيصر روسيا يسخر اليهود المقيمين في بولندا ويغريهم بالعمل ضد دولتهم إدراكاً منه في نجاح اليهود في فساد المجتمع الذي يقيمون بين ظهرائي أبنائه. حيث كان قيصر يطمع في اغتصاب أرض بولندا.

وكانت نظرة الشعوب النصرانية تجاه اليهود تتسم برودة الفعل تجاه معتقدات اليهود ونظرتهم إلى غيرهم من الشعوب.

يقول باكس: لقد كان معتقداً أن اليهودي يطلب دم المسيحي لأغراض الطقوس الدينية، وأنه يسرق أطفال المسيحيين، ويسم الآبار، وينشر الأمراض، وكان في ذاكرة عامة أوروبا أن اليهود يمتصون جهود البلاد الاقتصادية، ويمثلون الطرف الخبيث الذي يسعى أبد الدهر لتحطيم المسيحية^(١).

ويقول تونبي: لقد أصدر مجمع طليطلة الكنسي المنعقد من المملكة إيفيكا سنة ٦٩٤م (أن جميع اليهود يعتبرون عبيداً لأسيادهم المسيحيين، وعلى هؤلاء الأسياد أن يمنعوا اليهود من ممارسة أي طقس من الطقوس الدينية، وتصادر جميع أموال اليهود لصالح خزانة الدولة، وينتزع منهم أولادهم بعد بلوغهم السابعة من عمرهم ويربون تربية مسيحية.

ولا شك أن هذا الاضطهاد لليهود وهذا العنف ضدهم لا يأتي من دون أسباب ومبررات ومقدمات.

ولا يعقل أن تجمع شعوب الأرض قاطبة على نبذهم وتحقيرهم والتضييق عليهم.

- أصدرت الحكومة النمساوية براءة التسامح ١٧٨٠م، فحرمت على اليهود أن يحصلوا على امتيازات جمع الضرائب أو تأجير شيء، كما حرمت عليهم بيع الخمر، والسكن في المناطق الزراعية ما لم يعملوا بها، ومنعوا من ارتداء أزياء مماثلة، كما منعوا من حق الاشتغال بأي مهنة أو حرفة يختارونها، وسمح لهم بالاشتغال بالوظائف المدنية والعسكرية، وبالعامل في الحرف

(١) انظر اليهود تاريخ وعقيدة لكامل سغفان ص ٥١.

اليهودية، وبمزاولة تجارة التجزئة، ومنعوا من تدريس التلمود، وفتحت أمامهم المدارس والمعاهد العليا، كل هذا من أجل إدماجهم في المجتمع الأوروبي، وإخراجهم من قوقعة الجيتو، ومن التقاليد التي اكتسبها عبر مئات السنين.

- يقول الرئيس الأميركي بينامين فرنكلين:

(في أي أرض يحل اليهود يصبح المستوى الخلقي والمعنوي منحطاً والمعاملات التجارية تجري بصورة غير شريفة... وإذا لم يطرد اليهود من الولايات المتحدة الأمريكية - بموجب الدستور - فإنهم سيفقدون على بلادنا خلال مائة العام القادمة بأعداد كبيرة تؤدي إلى أن يحكموا البلاد ويغيروا شكل حكومتنا وهي ما بذلنا - نحن الأميركيين - في سبيلها دماءنا وأرواحنا وممتلكاتنا وحرماننا الشخصية، وإذا لم يطرد اليهود من بلادنا خلال مائتي عام، فإن أبناءنا سوف يعملون في الحقول لإطعام اليهود بينما يقيم اليهود في قصورهم يفركون أيديهم فرحاً وسروراً^(١)).

في سنة ١٨٢٠ كان عدد اليهود في أمريكا عشرة آلاف يهودي، وفي سنة ١٨٨٠ كان عدد اليهود ربع مليون والآن في أمريكا ما يزيد عن ستة ملايين يهودي، أكثر من نصفهم في نيويورك وحدها، ومدينة شيكاغو المدينة الرئيسية الثانية للنشاط اليهودي. ولليهود دور مؤثر في السياسة الأميركية الخارجية، ولها وزن في انتخابات الرئاسة، وكبيرات الصحف والمجلات ودور الأزياء والمحطات التلفزيونية بأيديهم. فهل ستتحقق تكهنات بينامين فرنكلين في أن يعمل الأميركيون أجراً عند اليهود؟!.

بعد أن أغرى اليهود نابليون بوناپرت باستعمار مصر وبلاد الشام وقدموا له الأموال لحملته الشهيرة إلى مصر، تكسرت أحلامه على أسوار عكا، فرجع خائباً إلى فرنسا. وقد أحس بتوريط اليهود له فقال: «لقد عزمت على تحسين أحوال اليهود، غير أنني لا أريد زيادة منهم في مملكتي، لقد عملت بالفعل كل

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في اليهود تاريخ وعقيدة لكامل سغفان الصفحات ٥١، ٥٨،

ما يثبت ازدرائي لأحقر شعب على وجه الأرض...».

وقال: «... إن الدنيا تساس من قبل جمعيات سرية فلا يجوز أن نكتم هذه الحقيقة ونغش أنفسنا».

- قال هنري فورد:

«إنني واثق من أن الحروب تتم ليستفيد طرف ما منها، وإن الطرف الذي استفاد دائماً هم اليهود العالميون، يبدأون الحرب بالدعاية التي يوجهونها من بلد ضد آخر، وقبل الحرب يتاجرون بالسلح والذخيرة ويثرون من وراء تلك التجارة، وأثناء الحرب نفسها يثرون من القروض التي يقدمونها للطرفين المتحاربين، وبعد الحرب يضعون أيديهم على جميع مصادر الثروة في البلاد...»^(١).

هذه الأقوال من زعماء لشعوب مختلفة، ولمفكرين من أمم متباينة وهذه الانتفاضات والحملات ضد اليهود من أقوام تباينت عقائدهم وتباعدت ديارهم وفي عصور مديدة على رقعة من الأوطان فسيحة تدلنا على شيء واحد أن اليهود ممقوتون من شعوب الأرض جميعاً لأسباب ذاتية في اليهود أنفسهم وليست لأحداث طارئة وظروف يمرون بها.

وفي هذا كشف لجانب من السبب الذي جعله الله سبحانه وتعالى سنة مطردة في القوم ألا وهي: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَيِّنَنَّ لَهُمْ إِنْ يَؤُرَّ الْفَيْكَمَةَ مَنْ يَسُؤُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَشَدِيدُ الرَّجِيمِ ﴿١١٧﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وسيتكرر ذلك إلى أن يتحقق فيهم قدر الله تعالى: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله إن خلفي يهودياً فتعال فاقتله»^(٢) لتكون النهاية لمن تسبب في جلب الشقاء على البشرية وليعود السلام على ربوع الأرض بعد أن يطهرها الله من أدران اليهود وشروهم.

(١) انظر الأفعى اليهودية لعبد الله التل ص ٢٦، ٣١.

(٢) تقدم تخريج الحديث ص ٧.

المَعْلَم التاسع

الإفساد في الأرض

أ - الفتن وإيقاد نار الحرب :

﴿ كَلِمًا أَوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤].

ليس شيء كالحروب يهلك الحرث والنسل، فهي كالمحرقة التي تحرق مكاسب الشعوب والأمم، وتترك الأوطان والديار قاعاً صفصفاً، تدمر الحضارات وتقضي على جهود الأجيال في البناء والتقدم.

ولقد أدرك اليهود هذه الآثار بجبلتهم فصرفوا جهودهم لإثارة الحروب بكل ما أوتوا من مكر ودهاء على أن لا يكونوا أحد الأطراف فيها بل يكونوا المستغلين المستفيدين منها. وكان الدافع لهم على إيقاد نار الحرب:

أولاً: الحقد الدفين على الأميين (الجويم) الذين خلقوا لخدمة الشعب المختار فتمردوا على الشعب، وسلبوه ماله وملكه بل كثيراً ما تسلطوا على اليهود فاضطهدوهم وأذاقوهم الويلات فلا بد من الانتقام منهم بإراقة دمائهم بأيديهم، وتدمير حضاراتهم.

ثانياً: استغلال الأطراف المتحاربة بتجارة الأسلحة ووسائل الدمار وإقراضهم المال اللازم بحيث يكون المنتصر في الحرب الخاسر المدين للبنوك الربوية العالمية.

ولو تتبعنا تاريخ الحروب في العالم ودرسنا الأسباب الخفية لإثارتها لما وجدنا فترة زمنية خلت من دسائس يهودية وأصابع لرجالهم وعملائهم في

إشعال شرارتها، إما بفتن دينية أو مذهبية أو قبلية أو اغتياالات سياسية.

وكم من فتنة أثاروها خلال العصور ولم تكتشف أسبابها إلا بعد مرور فترة من الزمن كانت الشعوب تكتوي بناها، مما أوجد نقمة عارمة لديهم على اليهود فأشفوا غيظ قلوبهم بتدمير أحيائهم وتشريدهم والقضاء على ممتلكاتهم، ولكن بعد فوات الأوان.

فعلى المستوى العالمي استطاع اليهود أن يجندوا طاقات ملوك ورؤساء أوروبا وشعوبهم لحرب المسلمين قرابة قرنين من الزمن من ١٠٩٥ - ١٢٧١م. تحت شعار تخليص الديار المقدسة من يد المسلمين وقد وجد اليهود في هذه الحروب الفرصة الذهبية التي تتيح لهم تقديم القروض إلى زعماء الحملات وأمراء المقاطعات والبارونات وسلطات الكنيسة بالربا الفاحش والمتاجرة بالعتاد والأسلاب، إلى جانب الأهداف السياسية وهي إضعاف قوة الإسلام والمسيحية معاً.

وقد كبدت هذه الحروب الإنسانية أرواحاً وأموالاً لا تقف تحت الحصر^(١).

وفي العصر الحديث أوقد اليهود نار حربين عالميتين امتد آثارها إلى كل أقطار العالم بل لم تسلم مدينة ولا قرية من آثارها المباشرة وأزهقت أرواح عشرات الملايين من البشر، ومحت مدناً بكاملها من الوجود وتركت عشرات الملايين الأخرى من مشوهي الحرب، وكانت نتيجة الحرب الأولى تسخير طاقات الدول العظمى لإزالة العقبة الأساسية أمام هجرة اليهود إلى فلسطين، وتم لهم ذلك بالقضاء على دولة الخلافة الإسلامية التي كانت تقف في وجه هجرة اليهود إلى فلسطين، فبانتهاؤها وتوزيع تركتها على الدول الاستعمارية، ووضع بلاد الشام تحت الانتداب الانجليزي الفرنسي تم لهم ما أرادوا بالهجرة وإقامة المستوطنات والتسليح لتشكيل نواة الدولة اليهودية.

وما إقامتهم المجازر لليهود في كل أنحاء أوروبا عامة وفي ألمانيا خاصة

(١) اليهود وراء كل جريمة: وليم كار ص ٦١.

وبعد الحرب العالمية الأولى إلا ضمن خطة اليهود لترحيل اليهود جبراً عليهم إلى فلسطين، وكانوا قد أعلنوا عن إقامة اللبنة الأولى لهذه الدولة في مؤتمر بال بسويسرا عندما أعلن زعيمهم (هرتزل) عن وضع اللبنة الأولى في ذلك العام ١٨٩٧م، وقال: «إن الإعلان الرسمي لها سيتم ما بعد خمسين سنة من ذلك التاريخ. فكان التخطيط للهجرة الطوعية أو الجبرية، التي توجت باستدراجهم لهتلر على اضطهاد اليهود - وقد بالغوا في ذلك كثيراً بغية^(١) استغلال عطف الدول على اليهود وللتوجه إلى تدمير أوروبا عامة وألمانيا خاصة. فكانت الحرب العالمية الثانية التي ما كادت تضع أوزارها، حتى تشكلت هيئة الأمم المتحدة - وهي الخطوة الأولى نحو الدولة العالمية التي يسعى إلى إقامتها اليهود تحت سلطة ملكهم المتوج، والخطوة الثانية أعلن عنها بوش في النظام العالمي الجديد الذي تم انفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة على العالم.

وكل الناس يدركون مدى النفوذ اليهودي في الإدارة الأميركية السياسية وتأثيرهم في المجالس التشريعية (الكونغرس). ولا زالت هناك خطوات، ليتسلم اليهود السلطة مباشرة بأنفسهم.

وتم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م، فبادرت الدول العظمى للاعتراف بها، وهي الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن.

وتصريحات زعماء اليهود بعد الحرب العالمية الثانية، تدل على تخطيطهم للحرب العالمية الثالثة التي ستقضي على ثلثي سكان العالم، وبعدها يكون تتويج ملكهم على العالم وهو المسيح المنتظر عندهم، وبطبيعة الحال هو المسيح الدجال الذي يكون قيادات سلطته العسكرية والسياسية من اليهود، كما سنلقي أضواء على ذلك لاحقاً.

(١) يقول (ديكهام سيد) إنني ألح بصورة خاصة في القول بأن الذين يسيطرون على القضايا العالمية هم سادة المال العالميون، وبأن محركي الأحداث بصورة خاصة كانوا أثناء مؤتمر السلام - بعد الحرب العالمية الأولى - يعقوب شيف ومجموعة واربورغ، وبعض الماليين الآخرين الذين لا يهدفون إلا إلى شيء واحد، وهو تأمين هيمنة اليهود على أوروبا وعلى ألمانيا خاصة، انظر كتاب اليهود وراء كل جريمة ص ١٩٦.

هذا على مستوى الحروب العالمية، أما على مستوى الفتن والاعتقالات والحروب المحلية والإقليمية فالأمر أكثر من أن يحصى: فمند بزوغ الإسلام، وعلى الرغم من معاهدة رسول الله ﷺ لليهود المقيمين في عاصمة الدولة الإسلامية، لم يخمد نار الحقد في قلوبهم، ولم تطفأ نار الفتنة التي كانوا يشعلونها بين المسلمين.

- فإثارة الفتن بين قبيلتي الأوس والخزرج بعد أن آخى الإسلام بينهم واستل من نفوسهم سخامة الجاهلية^(١).

- التآمر على اغتيال رسول الله ﷺ، مما كان السبب المباشر لإجلاء بني النضير.

- تأليب القبائل العربية الوثنية، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم للقيام بغزوة الأحزاب ونقض العهود مع المسلمين^(٢).

- محاولة سحر الرسول الله ﷺ بواسطة أحد شياطينهم لبيد بن الأعصم^(٣).

- محاولة تسميم رسول الله ﷺ في غزوة خيبر^(٤).

- دور اليهود في مقتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

- دور اليهودي عبد الله بن سبأ في إثارة الرعاع على الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه.

- الفتنة المزدوجة في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فمن مشايعين له مبايعين في ذلك إلى حد العبادة، ومن مبغضين مناوئين إلى حد

(١) انظر سبب نزول قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾ سورة آل عمران: الآية ١٠٠، في تفسير ابن كثير.

(٢) انظر ما تقدم من الكتاب ص ١١٤.

(٣) انظر الحادثة في صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق ٩١/٤.

(٤) انظر في ذلك صحيح البخاري، كتاب الهبة ١٤١/٣.

الرمي بالكفر والردة، مما أدى إلى قتال علي رضي الله عنه للفتنين.

- فتن الباطنية في العصر العباسي: ميمون القداح، القرامطة، الفاطميون، الإسماعيليون، والطوائف الباطنية الأخرى في بلاد الشام وغيرها، وكلها من بذور اليهودية وتخطيطها لتدمير العالم الإسلامي بالفتن والحروب^(١).

- الجمعيات والأحزاب السرية والعلنية في العصر العثماني: الماسونية، حزب الاتحاد والترقي، تركيا الفتاة.

أما على الصعيد الآخر - خارج العالم الإسلامي - فحدث ولا حرج، وإن كانت آثارهم تكشف في العالم الإسلامي بسرعة وتبقى في دائرة الخسائر المادية وذلك بفضل الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة وحفظه لدينها وإسلامها وشرائعها بحفظ الكتاب المنزل من التبديل والتحريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فلم تصل مكائدهم وفتنهم إلى تحريف شرع الله فسرعان ما كانت تكتشف دسائسهم في القضايا العقديّة وأحكام التشريع.

أما الأمم الأخرى فلم تكن لها هذه الحصانة الفكرية والأدبية فأفسدوها وحرفوها عن أصولها وأزاغوا مناهج مللها ومذاهبها، فلم يسلم دين من إفسادهم ولم تبق شرعة على منهجها.

وبين الفترة والأخرى أرحوا إلى بعض شياطينهم وعملائهم بتقلبات فكرية ومذاهب إحادية للقضاء على مقومات تلك الأمم.

- فما ثورة كرومويل على العرش البريطاني إلا من تدبيرهم، وقضاؤه على ملك بريطانيا شارلس الأول عام ١٦٤٩م إلا من تخطيطهم.

- والثورة الفرنسية التي اندلعت عام ١٧٨٩م والتي قدمت فيها الألفوف إلى المقصلة كانت بتخطيط اليهود وتمويلهم، وكان لروتشيلد الأول الدور البارز فيها.

(١) انظر في ذلك: مكاييد يهودية عبر التاريخ لعبد الرحمن حبنكة ص ١٥٨ وما بعدها.

- تمويل حملة نابليون بونابرت في أوروبا إلى مصر وبلاد الشام.

- التمهيد للثورة الاشتراكية في أوروبا والشيوعية في روسيا القيصرية في الأعوام ١٨٦٠، ١٩٠٥، إلى نجاحها في روسيا ١٩١٧م وتم كل ذلك بواسطة المفكرين والمخططين اليهود، أمثال كارل ماركس وانجلز...^(١)

لقد استخدم اليهود في فتنهم تلك كل الوسائل المتاحة لديهم من الرشوة والمال والتهديد بالفضائح الجنسية لأصحاب النفوذ والسلطة ولعائلاتهم، منها ما كان واقعاً ومنها ما لُفق عليهم تليقاً بالإضافة إلى الاغتيالات على يد المأجورين من عملائهم وقد شملت الاغتيالات التي خطط لها اليهود:

- اغتيال امبراطورة النمسا ١٨٩٩م.

- واغتيال ملك إيطاليا ١٩٠٠م.

- واغتيال الرئيس الأمريكي ماكينلي عام ١٩٠١م.

- واغتيال الأمير الروسي الغراندوق سرجيوس (عم قيصر روسيا) عام ١٩٠٥م.

- اغتيال ملك البرتغال وولي عهده عام ١٩٠٨م.

- اغتيال الأرشيدوق فرانسوا فرديناند وولي عهد الامبراطورية النمساوية وزوجته في مدينة سراييفو في يوغوسلافيا يوم ٢٨ حزيران ١٩١٤، وكانت الشرارة التي فجرت بارود الحرب العالمية الأولى.

كانت هذه الاغتيالات المتلاحقة من تدبير أساطين البيوتات الربوية من اليهود لتمهيد الطريق لبعض عملائهم في الوصول إلى السلطة في بعض الأقطار ولإلقاء المسؤولية عن هذه المظاهر الفوضوية على المسؤولين السياسيين لعجزهم عن كفالة الاستقرار، ولتهيئة الأجواء لحرب عالمية لتكون سوقاً هائلة لصرف الإنتاج الذي تكدست به مستودعات المصانع الحربية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين^(٢).

(١) انظر في ذلك مكاييد يهودية عبر التاريخ ص ١٩٣ وما بعدها.

(٢) انظر في ذلك كتاب اليهود وراء كل جريمة ص ١٧٢، ص ٢٢٦.

ب - تدمير الأخلاق:

إن السياج الذي يحمي الأمم من الانحلال والدمار هو سياج العقيدة والسياس الخلفي المنبثق منها.

ولا تخلو أمة من عقائد تحيط أفرادها بنوع من التنظيم، تتوجه فيها مشاعرهم إلى مقدسات تقدها، وتنبتق منها أخلاق يلتزم بها الأفراد لتنظيم صلاتهم وحجر بعضهم عن بعض في الأعراض والدماء والأموال، والعقائد المنزلة على أنبياء الله ورسله على رأس هذه العقائد. وكلهم قد جاء بعقيدة التوحيد. ومن هذه العقيدة انبثقت الأخلاق الربانية من الصدق والكرم والشجاعة والإيثار والوفاء بالعهد والتواضع.

وعلى الرغم من انحراف كثير من الديانات السماوية القديمة عن عقيدة التوحيد فإن جملة الأخلاق لا زالت تترك آثاراً على مستوى الأفراد والمجموعات البشرية بل حتى كثير من العادات المتوارثة التي لا تتصل مباشرة بديانات سماوية تعارف أصحابها على أخلاق اجتماعية معينة.

وقد أثنى الرسول ﷺ على بعض الأخلاق في العرب الوثنيين في الجاهلية فعندما كان يعرض نفسه على قبائل العرب في موسم الحج ومعه أبو بكر مر على بني شيبان بن ثعلبة فتقدم أبو بكر وعرفهم برسول الله ﷺ فقال مفروق - وهو من سادتهم - إلى ما تدعو يا أبا قريش؟ فتقدم رسول الله ﷺ فقال: ادعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله، وإلى أن تؤوني وتصورني.

وتلا رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ تَمَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ [الأنعام: ١٥١]. فقال مفروق: وإلى ما تدعو أيضاً يا أبا قريش؟ فتلا رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ

يَعْظُمُكُمْ لَمَّا كُمْ تَذَكُّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]. فقال مفروق: دعوت والله يا أبا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، والله لقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك... وقال هاني بن قبيصة - وهو صاحب دينهم -: قد سمعت مقالتك يا أبا قريش، وإنني أرى إن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي، وقلة نظر في العاقبة وإنما تكون الزلة من العجلة، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقداً، ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر.. وقال المثنى بن حارثة - وهو صاحب حربهم -... وإنما نزلنا على عهد أخذة علينا كسرى أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً، وإنني أرى هذا الأمر الذي تدعوننا إليه هو مما تكرهه الملوك، فإن أحببت أن نؤويك وننصررك مما يلي مياه العرب، فعلنا، فقال رسول الله ﷺ: ما أسأتم في الرد، إذ أفصحتم بالصدق، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه أرايتم إن لم تلبثوا إلا قليلاً حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم، أتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك: اللهم لك ذا، فتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآذِينِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ ﴿٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥]، ثم نهض النبي ﷺ فأخذ بيد أبي بكر وقال: «يا أبا بكر أية أخلاق في الجاهلية، ما أشرفها!! بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض، وبها يتحاجزون فيما بينهم»^(١).

ومنذ أدرك اليهود هذه الحقيقة في الأمم وجهوا جهودهم ومكرهم إلى تدمير هذا السياج بشتى الوسائل والأساليب، ليس للسيطرة على القطعان البشرية وتوجيهها وقيادتها عن طريق شهوتي الفرج والبطن، بل استغلال ذلك في سبيل استنزاف طاقات هذه الشعوب ومد خزائن دهاقنة المال بالذهب، وقد اتبعوا في ذلك الوسائل التالية:

١ - السيطرة على وسائل الإعلام وتوجيهها توجيهاً إباحياً إلهادياً، لإثارة

(١) انظر الرواية مفصلة وبأطول من هذا في الروض الأنف للسيهلي حاشية سيرة ابن هشام ٢/١٨٢.

الغرائز البهيمية من خلال الصحافة اليومية والأسبوعية والسينما والتلفاز والإعلانات التجارية^(١).

فالخبر والقصة والمسابقة... كلها توجه لإثارة الغرائز وتزيين الفاحشة لدى الناس وخاصة طبقة الشباب.

٢ - السيطرة على أنشطة المؤسسات الشبابية، من النوادي والاتحادات الشبابية ووزارات الشباب والرياضة، وتوجيهها توجيهاً عبثياً لاهياً بعيداً عن توجهات الأمة وأهدافها وتفريغها من محتوياتها الجهادية والتربوية^(٢).

٣ - السيطرة في كثير من بلدان العالم على المؤسسات التعليمية بواسطة عملائهم وإبعاد التعليم عن العقائد الدينية، ناهيك عن السيطرة على المؤسسات الثقافية العالمية كاليونسكو^(٣).

٤ - تبني مدارس اجتماعية ونفسية، وتوجيهها حسب مخططاتها ونشر دراساتها تحت شعار البحث العلمي الموضوعي، كالمدارس التي برزت في أوروبا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، كمدرسة فرويد، والمدرسة الوجودية بزعامة سارتر... إلخ.

مما جعلتها تسود مناطق شاسعة في العالم وتوجه أجيالاً من الناس لا تربطهم بأمتهم أية روابط عقدية أو قومية، بل وكان لها التأثير السيء على روابط الأسرة ودورها في الترابط الاجتماعي.

٥ - تبني تجارة الرقيق الأبيض وفتح دور الدعارة، وحمل كثير من دول العالم على سنّ قوانين بحمايتها وتنظيمها والدفاع عنها، ووصل الأمر برواد هذه الدور ومنسوبيها أن تشكل نقابات وجمعيات للدفاع عن مكانتهم

(١) انظر الإحصائيات في سيطرة اليهود على وسائل الإعلام في العالم كتاب النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية والمؤسسات الدولية، فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي ص ١١ وما بعدها ٣٦ وما بعدها، وكذلك جذور البلاء ص ١٨٤.

(٢) انظر في ذلك كتاب حصوننا مهددة من داخلها للدكتور محمد محمد حسين ٨٣ وما بعدها.

(٣) انظر في ذلك المرجع السابق ص ٢٧٨ وما بعدها.

الاجتماعية، بل أصدرت كثير من الدول أنظمة وقوانين بالسماح للشواذ بممارسة شذوذهم وإعادة الاعتبار الاجتماعي إليهم.

وبعد أن نجح اليهود في ذلك كله وحطموا الحواجز التي كانت تحمي الأخلاق والأسرة من الضياع والذوبان، وصار كثير من الأمور التي كان ينظر إليها المجتمع بازدراء صارت أموراً مألوفة فالزنا والعري و خروج المرأة مع من تشاء ومتى تشاء من غير أن يكون للأب والأخ والزوج الحق في الاعتراض عليها بنص القانون.

كانت بقية من الأخلاق تمنع من ممارسة الزنا من المحارم، والسعي الحثيث الآن لإزالة هذه البقية الباقية، فالحملة قائمة الآن في أوروبا وأمريكا وغيرها من دول العالم لتبني الإباحية المطلقة، ومنطلقاتهم في ذلك منطلقات تلمودية التي تنسب الزنا إلى أنبياء الله بالمحارم.

والمتتبع لمجريات الأمور ينظر أن بروتوكولات حكماء صهيون المستمدة من التلمود قد بدأت بالتدمير خطوة خطوة، فتدمير الروابط الدينية لدى الأجيال أدى إلى إضعاف المقومات الأخلاقية وبالتالي إلى انهيار السياج الواقي للروابط الاجتماعية، ليصبح الناس قطعاناً من البهائم تساق إلى حيث يريد الجلادون استغلالهم أو تسخيرهم أو حتى تدميرهم والقضاء عليهم^(١).

في كثير من دول الغرب تتبنى مدارس البنات في المرحلة الإعدادية والثانوية تقديم حبوب منع الحمل للطالبات مجاناً وذلك بغية مساعدتهن في التغلب على المشاكل الناتجة عن الممارسات الجنسية وتدل بعض الإحصائيات أن ٦٠٪ من طالبات المدارس هذه تتناولها بانتظام.

وهكذا هزمت اليهودية العالمية الفضيلة في دول أوروبا وأمريكا، وانتصرت دعوى الانحلال والرذيلة والفسق والفجور، وانتصار اليهود في ذلك يقتربون من أهدافهم التلمودية ومقررات حكمائهم التي تنص صراحة على ضرورة تدمير أخلاق الشعوب ليسهل على اليهود حكمها وتسييرها كالعبيد

(١) انظر في ذلك كتاب جذور البلاء، عبد الله التل ص ١٧٢ وما بعدها.

لخدمة اليهود في كل مكان، ويهدف اليهود كذلك إلى تخريب سنة الحياة في التناسل بين الذكر والأنثى،... والغريب أن حكام الغرب وفلاسفته وقادة الفكر قد أعمتهم الدعاية اليهودية، فلم يعودوا يرون الهوة السحيقة التي تقودهم إليها فلسفة اليهود المدمرة في الحياة^(١).

(١) جذور البلاء ص ١٨١.

المَعْلَم العاشر

التفرق والخلاف والشتات ماضٍ في اليهود إلى وقت مجيء الوعد الحق

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨].

﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ [المائدة: ٦٤].

﴿تَحَسَّبَهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَقِيَّةٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

من سنن الله القدرية في اليهود التفرق والخلاف والعداوة والبغضاء بين بعضهم، وعدم اجتماع كلمتهم، وشتاتهم في العالم.

إن من يقرأ سيرة اليهود قبل بعثة موسى عليه السلام فيهم وبعدها، وقبل الخروج من مصر وبعده وقبل التيه وبعده، وقبل أن يكون كيان دولة وبعده في عهد داود وسليمان عليهما السلام، وقبل بعثة محمد ﷺ وبعدها وإلى يومنا هذا يجد أن التمزق والتفتت في صفوف اليهود أمر حتمي لا يستطيع أحد أن ينكره على الإطلاق.

وليس هذا الخلاف والتفرق في أسباطهم وبين طوائفهم وفتاتهم بل بينهم وبين قياداتهم الفكرية والعسكرية والسياسية، ولئن اجتمعت كلمتهم في بعض الظروف الطارئة كأن يجمعهم تسلط جبار عليهم يسومهم سوء العذاب كما فعل فرعون وبختنصر بهم.

أو تمكن من رقابهم أحد ملوكهم الحازمين مثل طالوت وداود وسليمان فألزمهم بأنظمة الدولة وسياسات الحكم.

لئن كان ذلك في فترات متقطعة من تاريخهم فسرعان ما تبرز الخلافات ويكون الشقاق لتتحقق فيهم سنة الله ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

- ففي خروجهم من مصر والرعب يملأ قلوبهم وجنود فرعون في أثرهم، وهم يقولون لموسى أين المفر ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾، وبعد أن أوحى إلى موسى ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ لم يتفقوا على الدخول في الطريق اليابس بل طلب كل سبط أن يكون لهم طريقهم الخاص بهم، ولا يمكن أن يسير سبطان في طريق واحدة^(١).

- وفي الصحراء بعد أن نجوا من حال الذل والاستكانة واستقر بهم المقام في الصحراء احتاجوا إلى الطعام وإلى الماء، وأمر الله جل جلاله موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه الحجر، كان من بني إسرائيل نفس الموقف السابق ولم يشأ أبناء سبط من الشرب من ينبوع السبط الآخر، فكان أن دعا ربه ليفجر لهم من ينبوع بعدد الأسباط الاثني عشر ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُؤُوفًا وَشَرِبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة: ٦٠].

- وبعد أن كان لهم دولة وكيان كانت مملكتنا يهوذا والسامرة وكان بينهما من القتال والخصومات ما لم يكن بينهم وبين الوثنيين المحيطين بهم مما أدى إلى انتهاء الكيانين^(٢).

- وفي الجزيرة العربية وبعد أن استوطنوا المستعمرات حول يثرب دخل بنو قينقاع في حلف مع الخزرج ودخلت بنو النضير وبنو قريظة مع الأوس وكانت القبائل العربية وثنية تعبد الأصنام، وعندما يحدث القتال كان اليهود يناصرون حلفاءهم وربما وقع بينهم قتلى وأسرى، فلما كانوا يجدون في كتبهم

(١) انظر الدر المنثور ٢٩٤/٦.

(٢) انظر في ذلك قصة الحضارة لديورانت ٣٢١/٢ وما بعدها في تاريخ اليهود.

أنه لا يجوز أن يأسر اليهودي أخاه اليهودي، جمعوا المال من بعضهم ليفكوا الأسرى اليهود الذين وقعوا في أيدي حلفائهم.

وهذا ما سجل عليهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْفُجُورِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْرَى تَفْدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسَدًا مُكَذِّبًا وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَحْفَظُهُمْ عَنْهُمُ الْمَكَادِبُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [البقرة: ٨٤ - ٨٦].

- وفي تاريخ اليهود في أوروبا وشتاتهم في دول العالم عبرة للمعتبرين.
- وفي عصرنا الحاضر وفي دولة إسرائيل اليوم من التفرقة العنصرية بين اليهود الغربيين الذين يسمون (الاشكنازيم) وبين اليهود الشرقيين الذي يسمون (السفارديم) من العداوة والبغضاء والكره ما ليس بين اليهود وبين غيرهم والتصريحات التي يطلقها قادة هذه الأحزاب والفئات ضد غيرهم تدل على عمق الهوة بينهم^(١) وما تخفيه صدورهم أعظم من ذلك بكثير.

(١) تقول يهودية روسية ذات ثقافة أكاديمية: (صحيح أننا نكرههم وصحيح أنهم يكرهونا) إننا إسرائيليون وهم إسرائيليون، يبدو أن سوراً كبيراً يفصل بيننا، إننا نعيش في مستويات مختلفة ومفاهيم مختلفة، إننا نتحدث بشكل آخر ونفكر بشكل آخر وينظر الواحد منا إلى الثاني بشكل آخر، إن هذا لأكثر من طائفتين مختلفتين، هذا بمثابة شعبين مختلفين، صدقني هذه ليست عنصرية، إن ذلك ليس مسألة لون جلد، ولا مسألة البلد الأصلي، إن الذي يحدث ناجم عن الكراهة الثقافية إنني أكرههم لأنني أتخوف من الانتقال ليلاً في تلك الشوارع التي يتجولون فيها إنني أكرههم بسبب نظرتهم... بسبب كلماتهم البذيئة التي يطلقونها خلفنا، وبسبب جميع الأعمال الخسيسة التي يحاولون القيام بها ضدنا، إنني أكرههم لأنهم يلوثون المباني، ويقومون بتدمير الممتلكات العامة ويمقتون الجمال، ويستحسنون الوساحة، إنني أكرههم لأنهم يكرهونا لأننا أنظف وأجمل، فبدلاً من أن يحاولوا أن يكونوا مثلنا يحاولون أن نكون نحن مثلهم).

لقد أصبح التمزق والفرقة والخلاف، والعيش ضمن فئات متنافرة في العالم، وفي أحياء خاصة بهم في المدن (الجيتو) أصبح فلسفة يهودية ينادي بها قادة الفكر ودهاقنة المال، لأن طلائعهم التي تجوب العالم الجديد، الأقطار المتخلفة التي تحتاج إلى خبرات زراعية وصناعية ورؤوس أموال توفر لهم ميادين جديدة للاستغلال والسيطرة ونشر الفساد الخلقي، وفرص توظيف رؤوس الأموال من غير تكلفة تذكر وحيث المنافسة التجارية والصناعية معدومة كل ذلك يجعلهم يتشبثون بفكرة الشتات ولا زال كثير من أرباب العلم والفكر ينادون في اليهود: إن سر قوتكم في شتاتكم وتفرقكم، ويحذرونهم من التجمع في فلسطين.

- فقد أكد مؤتمر لنسبرج في نوفمبر ١٨٨٥ إعلان زعماء اليهود المجتمعيين: «نحن لا نعتبر أنفسنا من الآن أمة، وإنما نحن مجتمع ديني، ولهذا لا نقبل العودة إلى فلسطين، ولا التبعيد بالقرابين وراء أبناء هارون، ولا استعادة أي من القوانين الخاصة بالدولة اليهودية».

- وظهر احتجاج في ١٦ يولية ١٨٩٧ في جريدة يهودية ألمانية موقعا من مجلس الحاخامات جاء فيه (إن محاولة الصهانية لإرساء أساس دولة يهودية في فلسطين تتعارض مع الدعوة اليهودية كما وردت في الكتاب المقدس وفي الوثائق الدينية بعد ذلك).

- وانتقد لوري ماجنس الدعوة الصهيونية في لندن سنة ١٩٠٥ بقوله: «إن الدكتور هرتزل ومن يقفون إلى جانبه خونة للتاريخ اليهودي الذي قرأوه وفهموه بطريقة خاطئة، وهم أنفسهم جزء من صانعي سياسة العدا للسامية التي

= هذا ما قالته الفتاة الروسية معبرة عن حقدتها وكرهها للطوائف الشرقية من اليهود مع اعترافها أنها طوائف إسرائيلية مثلهم...
وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿... بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ سورة الحشر، الآية ١٤.
انظر كتاب: فلسفة وأهداف تربية الطفل اليهودي في فلسطين ص ٤٥. من وضع الباحثين محمد مختار ضرار المفتي وأحمد محمد زبادي.

يعترفون بأنهم يذبحونها، إذ كيف تستطيع البلاد الأوربية التي يعترم اليهود تركها أن تبرر استبقاء اليهود؟ ولماذا بذل اليهود جهوداً شاقة لكسب المساواة الدينية، إذا كانوا هم أنفسهم أول من سيتخلون عن مكانهم، ويكتفون بكرم الضيافة»^(١).

لقد ناضل اليهود طويلاً في دول أوروبا حتى حصلوا على الاعتراف بهم كمواطنين يتمتعون بما يتمتع به المواطن في تلك الدولة من الحقوق المدنية، وليعترف لهم بممارسة شعائرتهم وطقوسهم الدينية حسب شرائع التلمود، وكان الخوف من أن تسحب منهم تلك الحقوق إذا وجدت لهم دولة وكيان وأن يجبروا إلى الرحيل إليها، وبذلك تفوتهم المصالح التجارية والصناعية وهذا ما صرح به بيجر في برلين عام ١٩٠٥ قائلاً: «قد يترتب على هذا الموقف - الدعوة إلى إقامة وطن قومي لليهود - سحب الحقوق المدنية الذي يلزم أن يتخذه التشريع الألماني ضد الصهيونية، ويكون الرد الوحيد الذي يمكن أن يصدر عن الضمير القومي الألماني».

- وكتب الوزير اليهودي في الحكومة البريطانية - عندما علم عزم الحكومة البريطانية إصدار وعد بلفور - محتجاً:

«لقد بدت الصهيونية لي دائماً عقيدة سياسية لا يمكن أن يؤمن بها أي مواطن مخلص للمملكة المتحدة، ذلك أن اليهودي الإنجليزي الذي يتطلع إلى جبل الزيتون ويتوق إلى اليوم الذي يستطيع فيه أن ينفض عن حذائه التراب البريطاني، ويعود إلى نشاطه الزراعي في فلسطين، إنما يعترف بذلك أنه لا يصح للاشتراك في الحياة العامة في بريطانيا العظمى». وبرر احتجاجه بمبادئ أربعة هي:

- عدم وجود أمة يهودية تجمع بينها مقومات الأمة الواحدة.

- إن الدول ستخلص من اليهود المقيمين فيها بمجرد القول إن فلسطين وطنهم.

(١) اليهود تاريخ وعقيدة ص ٦٧.

- إن فلسطين ليست مشتملة على مقدسات اليهود وحدهم بل هناك المقدسات المسيحية والمقدسات الإسلامية.

- تعداد اليهود في العالم يبلغ ثلاثة أضعاف ما تستوعبه فلسطين^(١).

ولم تنته الاحتجاجات على تجميع اليهود في فلسطين بل استمرت حتى بعد قيام الدولة الإسرائيلية في فلسطين:

فقد أقر مؤتمر فيلادلفيا في نوفمبر ١٩٦٩ إن الهدف الإلهي لإسرائيل ليس هو استعادة الدولة اليهودية القديمة، تحت حكم أحد خلفاء داود، وهو ما يستلزم أن ينفصل اليهود للمرة الثانية عن أمم الأرض. وإنما الهدف هو اتحاد جميع أبناء الله في الاعتراف بوحدة الله، بما يحقق وحدة جميع المخلوقات العاقلة ودعوتهم إلى القداسة الروحية».

ولقد استطاعت الحركة الصهيونية بإمكاناتها المادية وأبواقها الإعلامية ونفوذها السياسي أن تتغلب على الأصوات المناوئة، بل وسخرت السياسة العالمية والقوى العظمى في خدمة اليهود وتسهيل هجرتهم إلى فلسطين، وأزالت جميع العقبات التي وقفت في وجه الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وكما قدمنا سابقاً أن إشعال الحرب العالمية الأولى كان من أهم دوافعها إزالة الخلافة العثمانية من الوجود لأنها كانت العقبة الكؤود في طريق الاستيطان اليهودي في فلسطين.

وفي الثلاثينات من هذا القرن دفعوا هتلر دفعاً للفتك باليهود لتحقيق غرضين:

أولهما: لاستدراار العطف العالمي على اليهود المشتمين الذين لا وطن لهم فلا بد من إعطائهم وطناً قومياً يؤويهم، وضخموا من الاضطهاد النازي لهم، مما جعل ألمانيا تشعر بعقدة الذنب بعد عشرات السنوات وتدفع التعويضات الهائلة إلى إسرائيل.

(١) اليهود تاريخ وعقيدة ص ٦٩.

ثانيهما: إجبار اليهود المترددين في الهجرة للتوجه إلى فلسطين كما أمن لهم من اجتياح دول المحور لأوروبا وروسيا وما أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها حتى أعلن عن قيام دولة إسرائيل وتسارعت الدول الكبرى وتسابقت للاعتراف بها، وسخرت إمكاناتها، بل وإمكانات هيئة الأمم المتحدة - الصهيونية الفكرة والولادة والمنشأ - لتجميع اليهود في فلسطين، ورعاية شؤونهم.

ولكن لنا فهم آخر في سر تجمعهم في فلسطين، إنها السنة الإلهية القدرية لقرب وعد الآخرة ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

إن سنن الله القدرية لا بد من تحققها، وليس بالضرورة أن تكون عن طريق أمور قاهرة معطلة لإرادة من تجري عليهم السنة، بل قد تسخر إرادتهم لهذه السنة الإلهية، فلو أن أمم الأرض اجتمعت على إجبار اليهود في سكنى رقعة من الأرض لما استطاعت أن تسخر إمكانات اليهود المادية وطاقتهم الإعلامية ودهاءهم السياسي وعبقريتهم في التآمر والخداع لتنفيذ خطة التجميع.

إلا أن الله جل جلاله عندما أراد تحقيق وعده بتجميعهم، أوجد في نفوس اليهود الرغبة العارمة للتجمع في أرض المعاد لإقامة دولتهم وانتظار ملكهم المرتقب لينقذ الشعب المختار ويتنقم من أعدائهم ويقيم مملكتهم العالمية.

نعم إنها الحكمة الإلهية وإنه الوعد الحق الذي لا مرية فيه، إنهم يمهدون لظهور منقذهم المسيح الدجال الذي سيفسد في الأرض ويستدرجه الله جل جلاله بإعطائه الإمكانيات التي يدجل بها على الناس ويموه عليهم الحقائق فيدعو إلى عبادته من دون الله ويتبعه اليهود من كل أنحاء العالم فيكونون أركان دولته وسدنة حكمه وطغيانه، لتقوم بعد ذلك الفئة المؤمنة من جند الله وعباده الصالحين من أمة محمد ﷺ وليتولى المهدي ومن ثم المسيح عيسى ابن مريم قيادتهم في حرب هذا الشر العالمي المستطير فيقتل عيسى ابن مريم عليه السلام، ملك الكفر والدجل والطغيان بحربته في باب اللد، لتوضع النهاية لإفساد اليهود في الأرض ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله^(١).

(١) سيأتي المزيد من التفصيلات في القسم اللاحق عند الحديث عن الصراع مع اليهود في المستقبل بإذن الله.

المَعْلَم الحادي عشر

العلو والاستكبار في الأرض مرتين

وتسليط عباد الله عليهم لتدميرهم للمرة الآخرة

- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإسراء: ٤ - ٧].

- ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكِّنٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَأَمْسُوا بِهِزًا أَمْ لَا تَتُؤْمِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٤ - ١٠٩].

ألا ليت قومي يعلمون

إن من سنن الله القدرية وقوع الصراع بين المؤمنين والكافرين سنة التدافع بين الكائنات بين الصالح والطالح، وبين الطيب والخبيث وبين القوي والضعيف وبين القلة المتميزة والكثرة الغثائية، بين أهل الحق وأهل الباطل إنها من سنن الله في كونه التي لا تخلو منها حقبة أو جيل أو زمان أو مكان، والآيات القرآنية تشير إلى هذه السنة في أكثر من موضع من القرآن العظيم ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوْمِعُ وَيَبِعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج: ٤٠].

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ﴾ [سبأ: ٤٨].

ومن هذه السنن التي لم تتخلف ولن تتخلف الصراع بين أهل الإيمان وبين أهل الكفر وأهل الإيمان أمة واحدة وملة واحدة ذات منهج واحد تجمعهم كلمة التوحيد يعملون تحت راية إعلاء كلمة الله ويهدفون إلى إقامة حكم الله في الأرض وتحقيق العبودية في أنفسهم لله رب العالمين.

أما أهل الباطل والكفر فملل شتى ومذاهب مختلفة ومشارب متنوعة ولكن تجمعهم عداوة أهل الإيمان الموحدين.

وكان يمثل أهل التوحيد في سالف العصور أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أتباع نوح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وزكريا ويحيى وعيسى والياس واليسع وأيوب وذا الكفل وشعيب وهود وصالح ويونس. وكان واسطة العقد أمة خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد ﷺ.

وبانقطاع سلسلة النبوة أكرم الله هذه الأمة بمجددين^(١) يجددون لها أمر دينها كلما وجد الانحراف ووقع التساهل في الالتزام بأحكام شرع الله وكان في العصور السابقة يعادي أهل الحق قبائل وأقوام قرييون أو بعيدون من النبي، ولكن قوماً واحداً لم يكتب أنهم استمروا على وتيرة واحدة في معاداة الحق ومحاولة طمسه وإزهاق أرواح الدعاة إليه خلال أحقاب مديدة من التاريخ البشري كما كان حال اليهود.

بل دلت الكتب المنزلة عليهم، وكذلك الكتب السماوية الأخرى على أن معاداتهم للحق وأهله سيستمر إلى قيام الساعة، وفي كل ذلك هم رأس الحرية في مقاومة أهل الحق. وهم رواد الفساد والإفساد في الأرض في كل عصر.

ولسنا بصدد التكوين الفكري والنفسي والعاطفي لهذا الشعب مما أدى به أن يكون له هذا الدور في تاريخ البشرية، وإنما نحن بصدد إلقاء أضواء على ما ينتظر هذه الأمة في مستقبل أيامها من المجابهة مع اليهود وذلك لا رجماً بالغيب وإنما على ضوء النصوص الكريمة من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وما ورد في نصوص الكتاب المقدس مما نظن أنه لم تطله أيدي اليهود بالتحريف والتزوير، وإن كانوا قد فهموه فهماً خاطئاً أو أولوه عن قصد عن دلالاته الصحيحة، وكذلك على ضوء معطيات الأحداث الراهنة التي نعايش وقائعها الآن.

إننا نتوقع أن المرحلة الجديدة في علو بني إسرائيل الكبير الثاني للإفساد في الأرض التي أشارت إليها الآية الكريمة في قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ^(٢) لُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ^(٣) وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤].

- (١) انظر مختصر سنن أبي داود كتاب الملاحم ١٦٣/٦.
- (٢) المراد بالكتاب قيل اللوح المحفوظ الذي دونت فيه ما يجري من الأحداث في الكون إلى قيام الساعة. انظر زاد المسير لابن الجوزي ٧/٥. وتفسير الطبري ٦٦/١٥.
- وقيل المراد بالكتاب التوراة. وهو قول جمهور المفسرين، انظر تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم ٤٢٤/٣). والبحر المحيط ٨/٦. والبيضاوي بحاشية زاده ٢١٠/٣.
- (٣) ذهب جمهرة من المفسرين إلى أن المرة الأولى كانت بعد مملكة سليمان وكان دمارهم على يد بختنصر البابلي، والثانية لم تقع بعد. انظر في ذلك المراجع السابقة.

بدأت بذورها من بداية مؤتمر اليهود في بال بسويسرا عام ١٨٩٧م، والتي وضعوا فيها المخطط المدروس لإفساد العالم، وأعلن فيها هرتزل بوضع اللبنة الأولى في دولة إسرائيل وتوقع الإعلان عن قيامها بعد نصف قرن من ذلك الوقت وقد تحقق حلمه عام ١٩٤٨م بإعلان قيام إسرائيل، ومنذ ذلك الوقت إلى الآن وعلو بني إسرائيل في تزايد مستمر فكان اليهود المستفيدين الوحيديين من حربين عالميتين أزهدت أرواح الملايين من البشر، وأتلفت الموارد المالية من المصانع والمزارع وأتت على الأخضر واليابس وقضت على دول وأبادت شعوباً وأقامت دولاً مصطنعة وأوجدت حدوداً وسدوداً في وجه ذوي القربى والأرحام وقطعت أوصال الأمم كل ذلك صب في النهاية لمصلحة أرباب البيوتات المالية من يهود العالم^(١) ليحكموا قبضتهم على خناق دهاقنة السياسة العالمية وقادة الأحزاب المتحكمة في مصائر الشعوب والأمم^(٢) لتستنفذ القوى العالمية وتسخر نفوذ الأمم المتحدة بلجانها وهيئاتها ومؤسساتها في تجميع اليهود في فلسطين تحت شعارات مختلفة من المطالبة بحقوق الإنسان، إلى مراعاة الحرية الشخصية، إلى كسر طوق الستار الحديدي، إلى تطبيق الديمقراطية، إلى النظام العالمي الجديد..

وراء تلك الأسباب الظاهرية - في اعتقادنا - يد القدرة الإلهية لتحقيق سنة الله القدرية الأخرى في شأن اليهود والتي أشارت إليها الآية الكريمة الأخرى في نفس السورة - سورة الإسراء - وتسمى سورة بني إسرائيل أيضاً - في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ أَصْبَحْتَ إِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةَ (٣) حِثًّا بِكُمُ لَيْفًا ﴿١٢٤﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٢٥﴾ وَفَرَأْنَا

(١) انظر في ذلك كتاب اليهود وراء كل جريمة ص ٢٣٣ وما بعدها.

(٢) انظر الأفعى اليهودية في معادل الإسلام لعبد الله التل ص ٢٩ وما بعدها.

(٣) ذهب بعض المفسرين إلى تفسير الآخرة بيوم القيامة والبعث بعد الموت، ونحن نرى أن هذا القول مرجوح لأن حشر الناس جماعات جماعات ليس خاصاً ببني إسرائيل يوم القيامة بل هو حشر عام للبشرية جميعاً فلا خاصة لبني إسرائيل في ذلك قال الكلبي ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني مجيء عيسى عليه السلام من السماء انظر تفسير القرطبي ٣٣٨/١٠.

فَرَقْنَاهُ لِیَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ عَلَی مَكِّثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِیْلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِیْهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّا لِلَّذِیْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِہِ إِذَا یُسْأَلُ عَنْہُمْ یَحْزَنُونَ لِلَّذِیْنَ سَجَدَا ﴿١٠٧﴾ وَیَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَان وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴿[الإسراء: ١٠٥ - ١٠٨].

هذا هو إنذار رسول الله ﷺ لبني إسرائيل وهي بشارة للمؤمنين في نفس الوقت، حيث يتم تجميع أهل الإفساد في الأرض في رقعة واحدة ويبلغ الإفساد أوجه بتتويج زعيمهم الأكبر ملكاً لأشرار العالم وهو (المسيح الدجال) الذي يكون أركان دولته وقادة جيوشه من يهود العالم^(١).

إن الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب يعلمون علم اليقين أن الملحمة الكبرى ستقع بينهم وبين أعدائهم، وهم يسمونها معركة (همرجدون) وتنص التوراة على وقوع هذه المعركة بين أهل الإيمان وأهل الفساد. وقد أخبرنا رسولنا عليه الصلاة والسلام بوقوع الملحمة الكبرى في بلاد الشام وما حولها.

ولكن من هم أهل الإيمان؟.

ومن هم أهل الكفر والضلال؟

ولمن تكون العاقبة.

لقد سخر اليهود في العالم قوى النصرانية لفهمها الخاص من نبوءات التوراة والكتاب المقدس، لأن في الكتاب المقدس عند النصارى أن المنقذ لأهل الإيمان سيأتي بعد الملحمة الكبرى. فكل تعجيل بوقوع الملحمة تعجيل لظهور المنقذ (المسيح).

فهم يسعون لتجميع اليهود في فلسطين وإقامة دولتهم لتتويج ملكهم على العالم لكي يأتي المنقذ فينقذ البشرية من شر اليهود (هذا في اعتقاد النصارى) أما اليهود فيرون أن ملكهم هو المنقذ ويأتي لتدمير العالم ولخلاص اليهود من أعدائهم وتمكينهم من السيطرة العالمية.

(١) في الحديث «يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفاً عليهم الطيلسانات» انظر صحيح مسلم كتاب الفتن ٢٠٧/٨.

ولكن القوم لم يلتفتوا أنهم بدّلوا شرائع الأنبياء والمرسلين، وحرفوها فلم يعد ينطبق عليهم أوصاف أهل الإيمان الموحدون الذين يحكمون بشرائع الله: ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْحُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥].

هذا في شأن التوراة واليهود أما النصارى فقد جاء في شأنهم ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ عَاقِبَتِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ ۚ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ وَيَحْكُمُ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: ٤٦، ٤٧]، فهل أبقى اليهود من التوراة شيئاً لم يحرفوه وهل تركوا علامة بارزة على التوحيد إلا وطمسوها، وهل تركوا شرعاً من شرائعهم إلا وتحايلوا عليها، وهل تركوا سيرة نبي معصوم من أنبيائهم إلا وشوهوها. وهل تركوا معلماً من معالم الحق والنبوت إلا ودمروه. فأين الحق والإيمان عند اليهود حتى يأتي المنقذ لإنقاذهم.

وقل مثل ذلك في النصارى ماذا أبقوا من النصرانية لقد أفسد عليهم اليهود دينهم وأشبعوه تحريفاً وتبديلاً وأدخلوا فيه الوثنيات والخرافات والأساطير التي لا يقبلها عقل، والمسيح براء منها، وهم على الضلالات والخرافات التي لفقها اليهود لهم يسرون تائهين، فأى إيمان لهم وأي حق يزعمون أنهم يتبعونه وأي توحيد أو عقيدة يتميزون بها.

فلا غرابة أن نفهم من سياق آيات سورة الإسراء أن الذين أوتوا العلم من قبله - أي القرآن - وهم أهل الكتاب الذين لم يحرفوا ولم يقبلوا التحريف والتزييف: ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٧٨﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨].

إنهم يدركون أن هذا قدر الله الكوني سيقع لا محالة وهو إفساد بني إسرائيل في الأرض للمرة الثانية ليأتي بعد ذلك جند الله الموحدون وعلى رأسهم المنقذ المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه ليقضي على مملكة الباطل وأهل الفساد والشر فيقتل بحربته ملكهم المتوج من قبل المفسدين في الأرض المسيح الأعور الدجال.

هذه نهاية الفساد وأهله والشر العالمي وأساطينه وأركان حربه ليقوم بعد ذلك حكم الله في الأرض ويعيش الناس بسلام في ظل الإسلام فتنزل بركات السماء وتخرج الأرض ثمراتها^(١).

وقد يلتبس الأمر على بعض الناس. إذا كانت هذه سنة الله القدرية في اليهود وأن تجمعهم في فلسطين بداية النهاية لهم وهم يسعون إلى حتفهم بظلفهم فلماذا لا نمهد لهم وتركهم يتجمعون كما تفعل الدول النصرانية الآن؟! ونقول لرفع هذا الالتباس يجب التفريق بين الإرادتين القدرية الكونية والإرادة الشرعية.

فإننا متعبدون بسنن الله الشرعية (الإرادة الشرعية) وذلك بالتزام أحكام دينه وشرائعه المنزلة. فقد أمرنا أن لا نهادن الكفار، وأن نعدلهم ما استطعنا من قوة، وأن لا نجعل للكافرين علينا سبيلاً.

هذا رسول الله ﷺ - على الرغم من تأكيد له لصحابته (ليتمن الله هذا الأمر حتى تسير الظعينة من حضر موت إلى صنعاء لا تخشى إلا الله والذئب على غنمها)^(٢).

وعلى الرغم من تيقنه بانتشار الإسلام حسب وعد ربه له ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

على الرغم من كل ذلك فقد كانت تصرفاته الشرعية تدور حول الأسباب الظاهرة فقد هاجر من مكة إلى المدينة وأرسى دعائم دولة النبوة، ووقع معاهدات الدفاع بين سكان المدينة ونظم الجيوش وبعث السرايا والطلائع وبت العيون وصالح في الحديبية وهادن بعض القبائل. وكل ذلك من الأسباب البشرية الظاهرة الملائمة للحالات.

(١) انظر الحديث في صحيح مسلم، كتاب الفتن ٨/١٩٨.

(٢) انظر صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار ٤/٢٣٨.

فعلينا أن نطبق شرع الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، وقد يكون ما نطبقه من شريعة ربنا تمهيداً للإرادة الكونية، وقد لا تتحقق إرادة الله الكونية في اليهود في زماننا هذا ونكون مقدمات لتحقيقها.

ولكن قبل الوصول إلى هذه النهاية، ما هي الأحداث العظام التي تنتظر شعوب المنطقة وهل تقفز إسرائيل بين عشية وضحاها لتكون أعظم قوة من المنطقة، أم تبدأ قوتها خطوة بخطوة.

وماذا عن الطرف الثاني للمعادلة أين بذرة وجود جند الله الموحدين والعباد المخلصين الذين تكون منهم كتائب أهل التوحيد في المستقبل؟!

هذا ما نحاول تجليته في الصفحات القادمة:

ليس من سنن الله الطفرة في الأشياء، فإذا أراد الله شيئاً هياً أسبابه إن الذي يستعرض أوضاع المنطقة التي يطلقون عليها اسم (الشرق الأوسط) ولا يسمونها باسمها الحقيقي بلاد المسلمين أو العالم الإسلامي إمعاناً في استغلال المسلمين وبعداً عن أي كلمة تشعرهم بحقيقتهم ليقوا في طي النسيان عن جوهرهم فإذا نسوا الله ودينه أنساهم الله أنفسهم، وهذه حقيقة قرآنية أشارت إليها الآية الكريمة ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهَ وَتَنظَرُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨، ١٩]، الذين تمردوا على شرائع الله نسوا قدرة الله وجبروته وبطشه، فأنساهم الله أنفسهم فيرتكبون كل حماقة وكل قبيحة تعود عليهم بالدمار ولا يدركون أين تكون مصالحتهم التي فيها معاشهم وسعادتهم وعزتهم هذا هو الواقع الذي يتخبط فيه المسلمون الآن، إنهم يعيشون حياة التيه والضياع لأنهم ابتعدوا عن منبع عزتهم وعن الأنوار الكاشفة التي تضيء لهم طريق المجد والسيادة ألا إنها أضواء القرآن، وليس من باب الصدفة أن يأتي التمجيد للقرآن الكريم وبيان مكانته بعد ذكر آيات التيه والنسيان فلنقرأ: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر: ٢٠، ٢١].

وهل من غرابة أن تأتي هذه الآيات في سورة الحشر التي يدور محورها حول واقعة بني النضير وهم من بني إسرائيل عندما تاهوا عن منهج الله ونسوا حقيقة أنفسهم وأعلنوا محادة الله ورسوله ومشاقته ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ يَوْمَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴿١﴾ [الحشر: ٢].

ألا يدل على أنهم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، وأن طريق الهداية والرجوع عن هذا التيه والنسيان هو هذا القرآن العظيم.

إن المخطط لهذه الأمة الإسلامية أن تبقى في تيهها، وأن لا تفكر في حقيقة وجودها ولا تفكر في مصالحها ولا في مستقبلها.

إن التخطيط للشعوب الإسلامية يتم في غير بلادهم، ولا تراعى مصالحهم في الخطط المرحلية التي يكلفون بتنفيذها. لقد أصبحت بلاد المسلمين سوقاً استهلاكية لإنتاج مصانع الغرب والشرق.

والثروات التي أودعها الله سبحانه وتعالى في بلاد المسلمين تعمر بها ديار غيرهم، ويلقى بالفتنات منها إلى الطبقة الحاكمة في العالم الإسلامي لتحويلها إلى سياط يلهبون بها بشرة أبناء المسلمين وليجعلوها أغلالاً وقيوداً ترسف بها كواهلهم إن هم حاولوا رفع رؤوسهم لقول كلمة الحق أو الدلالة على النهج القويم أو الاعتراض على السلوك المعوج السقيم الذي يسير عليه حكامهم الذين رباهم أعداء الإسلام على أعينهم.

نعود إلى ذكر طرف المعادلة الأخرى، نواة جند الله، وقلنا إنه ليس من سنة الله الطفرة في الأشياء وإنما سنته التدرج، إننا نعيش واقع الصحوة الإسلامية ونعيش الرعب الذي انتاب الغرب والشرق، الدول العظمى والدول الصغرى في العالم النصراني وفي العالم الوثني وفي العالم الإلحادي لمجرد أن ظهرت فئات من المسلمين تنادي بتطبيق الإسلام في بلادهم، وتعمل على التعرف على شخصيتهم الإسلامية المستقلة عن تبعية الآخرين، وتسعى إلى استغلال ثروات العالم الإسلامي في مصالح المسلمين.

فلماذا هذا الضجيج الإعلامي والعسكري العالمي من التحذير من هؤلاء الناس ألا يعيش في العالم غيرهم ولهم دول وكيانات وجيوش وعتاد... .

إننا نعتقد أن بوادر تشكيل جند الله سيكون من بين صفوف هؤلاء ولكن سنة الله في الابتلاء والتمحيص ستكون ضخمة عليهم، كما كان على عهد رسول الله ﷺ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتِمُ الْبُاسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَرَزِلْوْا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ءَآلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

فبعد الابتلاء والتمحيص ينتزل نصر الله تعالى على فئة من هؤلاء بعد أن يكونوا بذلوا أقصى ما يمكن بذله، وبعد أن يستنفذوا وسعهم في اتخاذ الأسباب الظاهرة، وبعد أن تنقطع آمالهم عن الناس ونصرتهم.

عندئذ يمكن الله تعالى لهم في رقعة من الأرض ليقيموا عليها حكم الله، ثم تكون منطلقاً ليشع نور الإسلام أرجاء العالم الإسلامي، وتنطلق منها كتائب جند الله لتحرير العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

ومن بين صفوف هؤلاء تنطلق كتائب جند الله إلى اليهود لتقع الملحمة الكبرى وينزل نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام ليكون في طليعة هذه الكتائب وقائدها في المعركة الفاصلة في باب اللد.

إن سنن الله في التغيير الاجتماعي بطيئة ولا يدركها إلا أهل البصيرة ولا يمكن تحديد مثل هذا التغيير والتحويلات الضخمة في حياة الأمم والشعوب بعدد السنين أو العقود والقرون منها، وإنما يقررها نسبة التحول وحرارة التفاعل وسعة دائرته.

إن اليهود يدركون أن التحول الاجتماعي الهائل بدأ في العالم الإسلامي فيريدون إيقافه والحيلولة دون استمراره وتوسعه.

ولكن سنة الله القدرية غالبية: ﴿سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨].

إن الخوف ليس من أعداء الله البارزين، وإنما الخوف من المنافقين الذين

يندسون في صفوف المسلمين. الخوف منهم أن يعرقلوا المسيرة أو يوجهوها إلى غير وجهتها وهي من العقبات الكبيرة في المرحلة القادمة.

لذا كان لزاماً على قادة الصحوة الإسلامية أن يكونوا على بصيرة من أمرهم فلربما أخلى لهم العدو ساحة ليستجروهم إليها ويشغلوهم بالآثار التي تركوها في الساحة لعرقله المسيرة. وربما ضخموا من قضايا خاصة بهم لينفخوا فيهم روح الغرور ليشغلوهم عن الانتباه لبناء الشخصية الربانية المخلصة وربما... وربما...

إن الأيام القادمة حبلى بالأحداث، وإن الغد لناظره لقريب، وليتمن الله أمره وليحققن وعده، والله على كل شيء قدير.

الخاتمة

تلك معالم قرآنية أنزلها الذي يعلم السر في السماوات والأرض، علام الغيوب وهي حقائق يقينية من الذي خلق وهو اللطيف الخبير عن دخائل نفوس اليهود التي تربت وفق تعاليم التلمود الحقود.

ولقد أدرك اليهود هذه الحقائق القرآنية، وعرفوا أن سبب عداوة العرب المحيطين بدولتهم هو الإسلام، فيحاولون إخراج الإسلام من الساحة وتحجيم دوره في كل المجالات بثتى الأساليب، ومن أبرز هذه الأساليب:

١ - إجراء دراسات حول الإسلام وخطره على الدول النصرانية ومصالحهم في العالم ونشر هذه الدراسات على أوسع نطاق، وهي دراسات من معاهد أبحاث وجامعات ومؤسسات متخصصة^(١). كما تركز على تخويف الحكام في بلاد المسلمين من عودة الإسلام إلى الحكم.

٢ - التآمر على المؤسسات العلمية الإسلامية والتقليل من شأنها وحصص دورها على مجالات ضيقة في الحياة الاجتماعية كالأزهر وجامع الزيتونة وجامعة عليكرة.. فبعد أن كانت مراكز لتخريج الدعاة والقادة والزعماء المصلحين، حصر دورها في تخريج مدرسي مادة الدين في المدارس والأئمة

(١) مثل كتاب (أثر الفكر الإسلامي في الصراع ضد الصهيونية) بحث لنيل درجة الدكتوراه من معهد ترومان في تل أبيب. وكتاب (أثر الإسلام في السياسات الإفريقية في الماضي والحاضر) عن مركز أبحاث السلام، كتاب (دور الإسلام كعنصر من عناصر الصراع العربي الإسرائيلي) من مركز أبحاث السلام. وتنشر هذه الكتب بلغات مختلفة في أنحاء العالم، وما يترجم منها قليل جداً.

والخطباء في المساجد، وكانت السلطات العميلة هي المنفذة لمخطط الصهيونية كما نصت على ذلك البروتوكولات.

٣ - استئجار أقلام أدباء ومفكرين في العالم الإسلامي للترويج للإلحاد والبعد عن التمسك بالدين، والدعوة للصلح مع إسرائيل تحت شعارات: السلام والوفاق الدولي، والتعايش السلمي، والمصالح المشتركة، وازدهار المنطقة الاقتصادي^(١).

٤ - إقامة ندوات للحوار بين الأديان (الإسلام والنصرانية واليهودية) لكسر الحاجز النفسي في الجلوس مع اليهود، وتطبيع العلاقات معهم، ويقصدون بالتطبيع:

أ - التسليم بوجود إسرائيل كدولة من المنطقة والتبادل الدبلوماسي، والثقافي والسياحي والاقتصادي والأمني..

ب - مراجعة العقل المسلم الذي ينصب العداء لليهود وتصحيح تصوراتهم عن اليهود بحذف النصوص من الكتاب والسنة والأحكام الواردة في شأنهم من المناهج الدراسية والكتب الثقافية.

ج - القضاء على كل مظهر من المظاهر المخالفة للتطبيع وكبت الأصوات المستنكرة، وتصفية القائمين على المعارضة بتهمة التطرف والأصولية والإرهاب... إلخ.

(١) ما أن أعلن عن الاتفاق على المبادئ بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٩٣م حتى انهالت الهبات على الطرفين، وتكفلت دول العالم الغنية بتقديم مساعدات تبلغ ملياري دولار خلال خمس سنوات، وذلك ليزرعوا في روع العالم العربي ومن ورائه العالم الإسلامي أن الصلح مع إسرائيل يحقق أحلامهم في رغد العيش والسعادة... ولم يدركوا أن إسرائيل تفعل كل شيء وتقدم التنازلات الكثيرة لتحقيق أمرين:

- فتح الأسواق العربية والإسلامية أمام دهاقنة الربا وأرباب الشركات اليهودية العالمية لاستغلال ثروات العالم الإسلامي الهائلة، ولا يتم ذلك إلا بتطبيع العلاقات مع إسرائيل.

- الأمر الثاني: أمن اليهودي في بيته، لأن صيحات التكبير التي يطلقها الشيب والشبان من أبناء فلسطين، وفي بلاد المسلمين تفرح اليهود «يحسبون كل صيحة عليهم».

نظرة للمستقبل من خلال النصوص والوثائق:

المستقرى للأحداث في الوقت الراهن، والمتمتع لسير التاريخ منذ مطلع القرن العشرين الميلادي، المتتبع لتصريحات زعماء اليهود، والمطلع على التقارير السرية التي يتداولها ساسة اليهود وما يفلت بين الحين والآخر عن الرقابة فينشر على الملأ - عن قصد وبغير قصد -.

كل ذلك يضع أمامنا معالم بارزة لرؤية مستقبلية يسعى اليهود إلى تحويلها إلى واقع:

- ١ - السياسة المرحلية في التوسع من خلال حشد الطاقات البشرية، وتجميع الأموال اللازمة لإنشاء المستعمرات وإعمار القرى، وإحياء الأرض الموات للزراعة - فإسرائيل على الرغم من إعلانها الرغبة في الصلح مع العرب بشروط تفرضها عليهم لا ترغب أن تلزم نفسها بحدود دولية مع الدول المجاورة، بل تريد إبقاء الحدود حسب الحاجة، فكلما ضاقت أرض إسرائيل بسكانها انتقلت حدودها إلى الوراء، وهي سياسة متبعة منذ السعي لإنشاء دولة إسرائيل وهو ما صرح به وايزمن لتشرشل أثناء الحرب العالمية الأولى عندما ساومه على دعم اليهود المالي للمجهود الحربي البريطاني لقاء سعي بريطانيا لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، فسأله تشرشل عن حدود هذه الدولة، قال وايزمن إن حدودها يتسع حسب الحاجة وعلى ضوء هجرة اليهود إليها.
- ٢ - والمرحلة الحالية تقتضي جر المياه إلى صحراء النقب، وإقامة المستوطنات فيها وهجرة اليهود إليها، وذلك يتطلب السيطرة على مياه اللبني والحاصباني واليرموك والفرات.

فإن تمكنت إسرائيل من ذلك عن طريق المفاوضات والصلح كان ذلك وإلا فالقوة كفيلا من تمكين إسرائيل من السيطرة على منابع هذه الأنهار ومن ثم تبدأ المفاوضات لإضفاء الصبغة القانونية على هذا الاستيلاء^(١).

(١) انظر في السياسة المرحلية للتوسع كتاب خنجر إسرائيل، لتجد أن حروب العرب مع إسرائيل أعوام ١٩٥٤، ١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٨١، تطبيق لسياسة التوسع المرحلية.

٣ - ولكن حلم الإسرائيليين الأكبر لا يتحقق بدون إقامة إسرائيل الكبرى، وإقامة الهيكل، وتوزيع ملكهم على العالم فما حقيقة هذه القضايا الثلاث:

أ - أما إسرائيل الكبرى فكل مدينة أو بقعة من الأرض أو اسم جبل أو نهر ورد في كتب بني إسرائيل المقدسة، ينبغي - في معتقدهم - إعادتها إلى ملك بني إسرائيل لذلك فجنوب لبنان إلى حدود صيدا وعلى امتدادها إلى الشرق والجنوب إلى بوابة دمشق وحماه مروراً من الجنوب الشرقي إلى ضفاف نهر الفرات - النهر الكبير إلى الخليج ثم تمتد غرباً لتشمل خيبر وتيماء وفدك إلى ساحل البحر الأحمر ويتجاوز البحر الأحمر إلى منابع النيل ويماشي ضفاف النيل الشرقية إلى البحر الأبيض المتوسط^(١). كل ذلك داخل حدود إسرائيل الكبرى والسياسة المرحلية تسعى لضم هذه الأرض إلى الكيان الإسرائيلي.

ب - يسعى اليهود إلى إقامة هيكل سليمان^(٢)، ويقول بعض زعمائهم لا معنى لقيام إسرائيل بدون الهيكل، ولا معنى للهيكل بدون توزيع ملكهم على العالم.

(١) تسعى إسرائيل إلى إقامة وعد التوراة حيث جاء في سفر التكوين إصحاح ١٥ الفقرة ١٨ ص ٢٣: «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات».

وتكرر هذا الوعد في خطاب الرب مع يشوع بن نون، حيث جاء في سفر يشوع، الإصحاح ١ الفقرة ١ - ٥ ص ٣٣٧:

«وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً، موسى عبدي قد مات، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل، كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى. من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات، جميع أرض الحثيين وإلى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم».

(٢) هناك جماعة يهودية تدعى جماعة الهيكل، وقد وضعت التصاميم النهائية له، وجمعت التبرعات، وحددت الموقع وهم ينتظرون الفرصة المواتية والظروف الدولية المناسبة لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه، وقد دفعوا أحد متعصبيهم إلى إضرام النار يوم ١٩٦٩/٨/٢١م، في المسجد، ولكن ردة الفعل عند المسلمين كانت قوية فتراجعوا، والآن ترتفع أصوات يهودية - بعد هدم الهندوس المسجد البابر في الهند عام ١٩٩٣ وتخاذل الحكومات في العالم الإسلامي واقتصارها على الاحتجاجات والبيانات في الإذاعات - تطالب بالخطوة التالية لتدمير الأقصى وبناء الهيكل.

وقبل الوصول إلى بناء الهيكل، لا بد لليهود من اتخاذ خطوات تدمر القوى المحيطة بها وخاصة مكامن المسلمين، وفي المرحلة الأولى لذلك يؤلب اليهود القوى المعادية للإسلام من جميع الجهات. ويحاصرون المسلمين في مكة المكرمة والمدينة المنورة. وقد أخبر رسول الله ﷺ عن ذلك:

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها»^(١).

- وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: «يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»^(٢)، وهي الجبهة الغربية التي يحركها اليهود ضد المسلمين.

أما الجبهة الجنوبية فتتحرك بقيادة الملاحدة الحمر الذين ينشرون الدمار ويحرقون كل ما تصل إليه أيديهم ويكون منطلقهم من عدن، وقد أخبر رسول الله ﷺ عن النار التي تحشر الناس إلى أرض الشام ومبدؤها من قعر عدن^(٣).

والجبهة الشمالية تنطلق من أرض الروم (الدول الغربية النصرانية) ويكون أرض الموقعة بلاد الشام وفيها الملحمة الكبرى.

فقد صح عن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ..» الحديث^(٤).

والمعارك بين المسلمين والروم تكون في أربع جولات، تكون الغلبة للمسلمين في الرابعة، بعد أن تلحق خسائر بشرية هائلة بالطرفين^(٥) وبعد تمكن

(١) انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب فضائل المدينة ٢/٢٢٢.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة ٨/١٨٣.

(٣) صحيح مسلم، الفتن ٨/١٧٩.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة ٨/١٧٦. قال شراح الحديث المراد بالمدينة

مدينة حلب والأعماق ودابق موضعان (سهول) قرب حلب.

(٥) انظر صحيح مسلم كتاب الفتن ٨/١٧٧.

أعداء الله من هدم الكعبة المشرفة وتدمير الأقصى وإقامة الهيكل مكانه توقد جذوة الإيمان في نفوس المؤمنين الصادقين، لتنتقل كتائب الإيمان ويحين وقت التوجه لاجتثاث بؤرة الفساد في الأرض ليناادي الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله إن ورائي يهودياً فتعال فاقتله^(١).

وتكون غضبة مسيخهم الدجال ليجند طاقات الشر في العالم ويخرج من شقة بين الشام والعراق ويكون أركان حربه وقواد جنده من اليهود.

ج - سوف يسيطر اليهود على العالم بقيادة ملكهم المتوجّج (المسيح الدجال) الذي يكون مبدأ طلوعه من الشمال الشرقي (إنه خارج خلّة بين الشام والعراق)، ولكن ملك الدجال قصير فهو لا يتجاوز أربعين يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كأسبوع وسائر أيامه كالأيام المعتادة قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا اقدروا له» قلنا: يا رسول الله وما إسرعه في الأرض، قال: «كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروراً وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيما سيب النحل...».

وتخرج كتائب الجهاد من بلاد الشام حيث فسطاطهم في الغوطة، وينزل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام إلى أن يقتل الدجال في باب اللد بين بيت المقدس وتل أبيب، وبذلك تستأصل شأفة الفساد في الأرض^(٢).

(١) في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» انظر صحيح مسلم، كتاب الفتن ١٨٨/٨.

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن ١٩٧/٨. جاء في الصحيح بعد أن يقتل عيسى بن مريم عليه =

وصايا واقتراحات

إن التكليف الشرعي يقتضي منا أن نطبق أحكام ديننا الحنيف وأن نفق في وجه أي إلحاد فيه أو تحريف لنصوصه أو تعطيل لأحكامه، بغض النظر عن الموقع الذي نكون فيه أو الحالة التي نكون عليها.

وإلى جانب ذلك فإننا نوصي المسلمين بأن يكونوا على يقين وثقة تامة بوعد ربهم في أن الدائرة ستدور على أعدائهم في نهاية المطاف، فلا ينبغي أن يعرف اليأس والقنوط سبيلهما إلى قلوبهم.

١ - إن هيمنة الكفار على الحياة السياسية العالمية وتسيط عملائهم على دعاة الإسلام في دياره سيكون له نهاية، فإن سنة التدافع تأتي أن تنفرد دولة أو مذهب باطل بالعالم وإدارة شؤونه. ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ لَكُنَّا عَنْ أَعْيُنِنَا غَافِلِينَ﴾ [الحج: ٤٠].

٢ - إن سنة الله سبحانه وتعالى الخاصة ببني إسرائيل ستتحقق ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْبَيْعَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧] إلى أن تأتي المرة

= السلام الدجال، يأتيه الخبر بخروج يأجوج ومأجوج فيوحي الله إليه أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون... ثم قال للأرض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانه ويستظلون بقحفها.. انظر الحديث بطوله في صحيح مسلم. كتاب الفتن ١٩٨/٨.

الآخرة - أي الأخيرة - ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ وقد تقدمت الإشارة إلى ما يلحق بهم في وعد الآخرة: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلَوُا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

إننا واثقون من هذه السنة الإلهية فيهم وهي قادمة لا محالة لأنها وعد للمؤمنين ولن يخلف الله وعده، ووعد لليهود ولن يعجز الله شيء في تنفيذ وعيده.

٣ - إن الحكم الشرعي الذي نتعبد الله به هو أن اليهود يُقبلون في دولة الإسلام وعلى الأرض الإسلامية كأهل ذمة. وأقلية تعيش بين المسلمين لهم حقوقهم التي نص عليها الفقهاء، والنصوص الواردة في الكتاب والسنة في حسن التعامل معهم على هذا المبدأ أما كدولة تحتل جزءاً من ديار المسلمين، فلا يجوز إقرارهم على ذلك شرعاً.

٤ - الحقائق التي ذكرها القرآن الكريم عن اليهود وأوضحت السنة النبوية تفصيلاتها من خلال التعامل مع اليهود حقائق ندين الله عز وجل بها - وقد أشرنا إلى جملة من ذلك في هذا الكتاب وطمس هذه المعالم أو تحريفها أو تأويلها عن دلالاتها الصحيحة تلاعب بدين الله وشرعه يستوجب على علماء الأمة - الذين أخذ عليهم العهد والميثاق - بيان أحكام دينه وشرعه ولا يجوز لهم السكوت عليها.

فيا حكام المسلمين اتقوا الله في رعيتمكم التي استرعاكم الله إياها وأنتم مسؤولون عنها يوم القيامة «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع ومسؤول عن رعيته» واعلموا أن الله جعلكم أوصياء على هذه الأمة لترعوا مصالحها الدينية والدنيوية، فتكونوا بمثابة وصي اليتيم، أو راعي الإبل يهنأ جرباها ويرتاد لها المرعى الخصب ويجنبها الأرض المجذبة والمسبحة.

ولئن أحاطت بكم ظروف لم تستطيعوا معها الدفاع عن الذمار وتحريم الأوطان فلا أقل أن تحافظوا على الوضع ولا تفرطوا فيه ليتسلم الأمانة منكم من آتاه الله القوة والمكنة ليعمل على رفع شأن المسلمين ويحقق الآمال.

ويا علماء المسلمين: لقد أخذ الله منكم العهد والميثاق على مقالة الحق وعدم كتمان العلم فلا تجعلوا من أنفسكم جسراً يمر عليه الحكام للوصول إلى أغراضهم الدنيوية وشهواتهم الوضيعة.

ولا تكونوا سلماً يرتقي عليه الطامعون إلى الأمجاد الشخصية ثم يدفعونه بأرجلهم إلى الأرض، فلا تبيعوا دينكم بدنيا غيركم.

إنكم القادة الحقيقيون للأمة إن اتقيتم الله في وراثتكم للنبوة وبيئتم للأمة طريق الفلاح والسعادة على ضوء كتاب الله وسنة رسوله فلا خير فيكم إن لم تقولوا للمنحرف عن شرع الله قف واستقم على منهج الله.

ويا أيها المسلمون اتقوا الله في أنفسكم فلا تكونوا كقطعان الماشية تساق إلى حتفها بظلفها، فما قادتكم إلا أجراء عندكم، أنتم الذين تولونهم ومن كدكم وجهدكم وعرق جبينكم توفرون لهم وسائل رفاههم وبسواعدكم تدافعون عن عروشهم، وتبنون الأوطان وتعمرون الديار فاتقوا الله في أنفسكم وفي ديار المسلمين ومقدساتهم وطاقاتهم وثرواتهم ومستقبل الأجيال عن الضياع وتسليط الأعداء.

اللهم هل بلغت، اللهم اشهد.

الفهرسة

- ١ - فهرسُ الآياتِ
- ٢ - فهرسُ الأحاديثِ
- ٣ - فهرسُ الأعلامِ
- ٤ - فهرسُ المراجعِ
- ٥ - فهرسُ الموضوعاتِ

فَهْرَسُ الْآيَاتِ

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾	١٤	٩٦
﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي﴾	٤٠	٥٦ ، ٦
﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم﴾	٤٧	١٠٠ ، ٦٧
﴿وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده﴾	٥١	٦٧
﴿وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾	٥٥	٦٧
﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾	٦٠	١٩٥
﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾	٦٧	١٤٩
﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾	٧٤	٦٨
﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم﴾	٧٥	٦٨ ، ١٨
﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض﴾	٧٦	٦٥
﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾	٧٨	١٣٤ ، ١٨
﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾	٧٩	١٢
﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم﴾	٨٤	١٩٦ ، ٦٩
﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾	٨٥	١٠١
﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل﴾	٨٩	٨١
﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور﴾	٩٣	٨٢ ، ٦٠
		١٤٨
﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة﴾	٩٤	١٥٢
﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾	٩٦	١٥١
﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك﴾	٩٧	٦٧

رقم الآية	الصفحة	الآية
٩٩	٦٩	﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات﴾
١٠٠	١٤٥	﴿أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم﴾
١٠١	١٤٦	﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم﴾
١٠٥	٧٠	﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾
١٠٩	١٦٩	﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً﴾
١١١	١٥٩، ١٥٢	﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى﴾
١٢٠	١٧٣، ٦٥	﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾
١٣٥	٩٤، ٦٥	﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾
١٤٢	٦٤	﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم﴾
١٤٣	٦٤	﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم﴾
١٤٦	٨٦	﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾
٢١٤	٢١٠	﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾
٢١٧	٦١	﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾
٢٤٥	٩٠	﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾
٢٤٧	١٥٨	﴿قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة﴾
٢٤٨	١٦٤	﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتكم التابوت﴾
٢٤٩	١٥٨	﴿فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر﴾
٢٥١	١٠٢	﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾
٢٨١	٦١	﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾

سورة آل عمران

١٢	١٠٦	﴿قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم﴾
٢٣	٦٦	﴿ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله﴾
٣١	٥٩	﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾
٦٥	٦٣	﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم﴾
٧٢	٩٢، ٦٣	﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا﴾
٧٥	١٣٦	﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾

رقم الآية	الآية	الصفحة
٧٥	﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾	١٣٦
٧٥	﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك﴾	١٣٦
٧٨	﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب﴾	١٣٥، ١٨
٨١	﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة﴾	١٤٦، ٥٧
٩٣	﴿كل الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾	٧٠
١٠٠	﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم﴾	٨٥، ٧١
٩٢		
١٠٢	﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته﴾	٥
١١١	﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون﴾	١٥٩، ١٥١
١١٢	﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا﴾	١٦٨، ١٠٣
١١٨	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾	٩٣
١٢٨	﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾	٧٢
١٣٠	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾	٨٥
١٤٢	﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾	١٥٦
١٥٤	﴿وليبتلّي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم﴾	١٥٦
١٦٦	﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان فياذن الله﴾	١٠٩
١٨١	﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾	١٤٠، ٩١
١٨٣	﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول﴾	٩١
١٨٦	﴿لتبطلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب﴾	٩١
١٨٨	﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما آتوا ويحبون﴾	٩٢

سورة النساء

١	﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾	٥
١٣	﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات﴾	٦٠
٤٦	﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾	٦٠
٥١	﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت﴾	١٠٨، ٨٣
٥٣	﴿أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً﴾	١٦٩
٨٠	﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾	٥٩

رقم الآية	الآية	الصفحة
٩٧	١٣٨	﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾
٧٦	١٥٥	﴿فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله﴾
١٣٩	١٦٠	﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم﴾
سورة المائدة		
٥٦	١٢	﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نبياً﴾
١٩	١٣	﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية﴾
٨٢،٢٠،١٩	١٥	﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً﴾
١٥٥	٢٠	﴿وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم﴾
١٥٧	٢٤	﴿اذهب أنت وربك فقَاتلا﴾
٩٤	٤١	﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾
١٣٩	٤١	﴿ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين﴾
٢،٢٠٦	٤٥	﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾
٢٠٦	٤٦	﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾
٢٠٦	٤٦	﴿فيه هدى ونور﴾
٥٨	٤٨	﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾
٩٥	٤٩	﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾
١٧٠	٤٩	﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾
١٢١،١٠٧	٥١	﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾
١٠٣،١٠٢	٦٠	﴿قل هل أنبؤكم بشر من ذلك مثوبة عند الله﴾
١٣٨	٦٢	﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان﴾
١٠٤	٦٣	﴿لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت﴾
٩١،٧٧	٦٤	﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم﴾
٩١	٦٤	﴿وليزیدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾
١٩٤	٦٤	﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء﴾
١٨٣،٨	٦٤	﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله﴾
١٠٣،١٠١	٧٨	﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى﴾
١٦٨،٨	٨٢	﴿لتتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾
١٦٩		

سورة الأنعام

- ﴿اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو﴾ ١٠٦ ٤٢
 ﴿وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن﴾ ١٢٤ ١٤٠
 ﴿قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم﴾ ١٥١ ١٩٠

سورة الأعراف

- ﴿قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ ١٢ ١٧٦
 ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا﴾ ٢٨ ٩٣
 ﴿فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا﴾ ٧٢ ٤٤
 ﴿فعفروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾ ٧٧ ٤٤
 ﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ ٨٣ ٤٤
 ﴿وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء﴾ ٩٤ ٤٤
 ﴿قال فرعون آمتمم به قبل أن أذن لكم﴾ ١٢٣ ٤٥
 ﴿قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا﴾ ١٢٩ ١٥٤
 ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها﴾ ١٣٧ ١٠٠
 ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام﴾ ١٣٨ ٤٦
 ﴿قال أغير الله أبعيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين﴾ ١٤٠ ١٠٠
 ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة﴾ ١٤٥ ١٤٨
 ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً﴾ ١٤٨ ٤٦
 ﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح﴾ ١٥٤ ٤٧
 ﴿قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء﴾ ١٥٦ ٤٧
 ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ ١٥٨ ٤٨
 ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ ١٥٩ ١٠٢، ٤٨
 ﴿وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم﴾ ١٦١ ٤٩
 ﴿وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾ ١٦٤ ٤٩
 ﴿وإذ تأذن ربك ليعثن عليهم إلى يوم القيامة﴾ ١٦٧ ١٦٧، ٥٠
 ﴿وقطعناهم في الأرض أمماً﴾ ١٦٨ ١٩٤، ١٧
 ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب﴾ ١٦٩ ٥٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾	١٧١	١٤٨
﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾	١٧٥	٥١
سورة الأنفال		
﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم﴾	٥٣	١٣٠
﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم﴾	٥٦	١٤٥
﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾	٥٨	١٢٥، ١٠٦
﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾	٦٠	١٥٠، ١٤٨
﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾	٦٧	١٢٢
سورة التوبة		
﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال	٣٤	١٣٢
الناس بالباطل﴾		
﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾	١٠٢	١١٩
سورة هود		
﴿إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾	٣٦	٧٢
﴿وكللاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾	١٢٠	٤١
سورة إبراهيم		
﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾	٤	٣٧
﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾	٧	٣٨
سورة الحجر		
﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون﴾	٦	٣٨
﴿إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون﴾	٩	١٨٧، ١٣
سورة النحل		
﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾	٩٠	١٩٠
سورة الإسراء		
﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين﴾	٤	٢٠٢، ٢٠١
﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم﴾	٥	٢٠١
﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين﴾	٦	٢٠١

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسووا وجوهكم﴾	٧	٢١٩، ٢٠١
﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا﴾	٨	١٧٥
﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها﴾	١٦	١٣٠
﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾	٩٤	٣٧
﴿وقلنا من بعده لبني إسرائيل﴾	١٠٤	٢٠١، ٢٠٠
		٢٠٤
﴿قل آمنوا به أو لا تؤمنوا﴾	١٠٦	٢٠١
﴿إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا﴾	١٠٧	٢٠٥، ٢٠١
﴿سبحان ربنا إن كان﴾	١٠٨	٢١٠، ٢٠١
﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾	١٠٩	٢٠١
سورة الكهف		
﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾	٢٨	٥٨
سورة مريم		
﴿قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾	٢١	٣٥
سورة طه		
﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾	٨٨	٣٦
﴿ولقد قال لهم هارون من قبل إنما فتتم به﴾	٩٠	١٤٤، ٤٦
﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾	٩٦	٣٦
سورة الأنبياء		
﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾	١٨	٢٠٢
﴿قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين﴾	٦٨	١٢٩
﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفثت فيه غنم القوم﴾	٧٨	١٤٣
سورة الحج		
﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾	٧٥	١٤٠
﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع﴾	٤٠	٢١٨، ٢٠٢
سورة النور		
﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم﴾	٥٥	٢٠٧

الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة الفرقان		
﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾	٧	٣٦
﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾	٥٠	٤١
﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾	٥٢	٥٩
سورة الشعراء		
﴿فلما ترآء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾	٦١	١٥٤
﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾	٦٣	١٢٩
﴿إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون﴾	١٠٧	٥٩
سورة النمل		
﴿ولقد آتينا داود وسليمان علماً﴾	١٥	١٤٣
﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾	٥٤	١٤٢
سورة العنكبوت		
﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون﴾	١	٥٣
﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾	٨	٥٣
﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾	١١	٥٣
﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾	٤٦	٥٤
﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾	٥٦	٥٤
﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾	٦٠	٥٤
﴿أولم يروا أننا جعلنا حرمات آمناً ويتخطف الناس من حولهم﴾	٦٧	٣٨
سورة السجدة		
﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه﴾	٢٣	١٠٠
﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾	٢٤	١٠٢
سورة الأحزاب		
﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود﴾	٩	١١٦
﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾	٢٢	١١٦
﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً﴾	٢٥	١١٧

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم﴾	٢٦	١٢٢
﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله﴾	٤٦	١٩٠
﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾	٧٠	٥
سورة سبأ		
﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير﴾	١٠	٤٠
﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم﴾	٤٣	٣٩
﴿قل إن ربي يقذف بالحق علام الغيوب﴾	٤٨	٢٠٢
سورة ص		
﴿جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب﴾	١١	٣٤
﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾	٢٦	١٤٣
سورة الزمر		
﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر﴾	٧	١٠٤
سورة غافر		
﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد﴾	٥١	٧٥
سورة محمد		
﴿فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها﴾	٤	١٢٥
﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم﴾	٧	١٦٠
﴿وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم﴾	٣٨	١٠٤
سورة الفتح		
﴿إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً﴾	٨	
سورة الحجرات		
﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾	١٣	١٧٦
سورة الذاريات		
﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر﴾	٥٢	٤٢
﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾	٥٦	٥٠

رقم الآية	الآية
سورة الطور	
٣٠	﴿أم يقولون شاعر نترصد به ريب المنون﴾
٤٢، ٢٩	
سورة النجم	
١	﴿والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى﴾
٣٢	
٢٩	﴿فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾
٣٣	
٣٨	﴿أن لا تزر وازرة وزر أخرى﴾
١١	
سورة القمر	
٤٣	﴿أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر﴾
٣٤	
سورة الحديد	
١١	﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم﴾
٩٠	
١٨	﴿إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم﴾
٩٠	
سورة المجادلة	
١٤	﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم﴾
٩٩	
سورة الحشر	
٢	﴿فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾
٢٠٩	
١١	﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾
١١١، ٩٨	
١٣	﴿لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله﴾
١٥٩	
١٤	﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾
١٩٥، ١٩٤	
١٨	﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾
٢٠٨	
٢٠	﴿لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة﴾
٢٠٨	
سورة الجمعة	
٦	﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس﴾
١٥٢	
سورة التغابن	
١٧	﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم﴾
٩١	
سورة القلم	
١٠	﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾
٥٨	

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم﴾	١٥	٣٠
﴿إنه فكر وقدر﴾	١٧	٣٠
﴿فلا أقسم بالخنس﴾	١٥	٣٢
﴿قتل أصحاب الأخدود﴾	٤	٣٤
﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾	١٨	٣١
﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾	٦	٣١

فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ

الصفحة	الحديث
١١٩	«أبى رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم..»
٧١	«أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم»
٤٣	«أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة»
١٨٩	«ادعوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله»
١٢٤	«اذهبوا فأنتم الطلقاء»
٢١٧	«أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة»
١٢٠	«أرسل رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ»
١٠٧	«أرسلني - وعُرف الغضب في وجه رسول الله ﷺ»
١١٢	«ألم تر ما لقيت من ابن عمك»
١٢٠	«ألم يمكن الله منك يا عدو الله»
٨٢	«أنا أولى بموسى منهم، فأمر بصيامه»
٣٨	«إن جبينه ليتفصد عرقاً في الليلة الشاتية»
١٠٦	«أن رسول الله ﷺ جمع يهود بني قينقاع في سوقهم»
١١٢	«انطلقوا على اسم الله»
٧	«أن الله يبعث لهم من يجدد لهم أمر دينهم»
٢١٧	«إنه خارج خلة بين الشام والعراق»
١٤٦	«إني أخاف من بني قينقاع»
٩٠	«إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي»
١٢٢	«اهتز العرش لموت سعد بن معاذ»
٢١٦	«الإيمان ليأرز إلى المدينة»
١٢٦	«برئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئاً»
١١٨	«حاصر رسول الله ﷺ بني قريظة خمساً وعشرين ليلة»

الصفحة	الحديث
٧	«حتى يقاتل المسلمون اليهود فينادي الحجر والشجر»
١١٨	«ذاك جبريل عليه السلام بعث إلى بني قريظة يزلزل حصونهم»
١١٠	«رجع إلى المدينة وأرسل أن اخرجوا من المدينة»
٤٦	«سبحان الله هذا كما قال قوم موسى»
١٠٨	«سنحسن إلى أبيك ما دام بيننا»
١١٩	«عزل رسول الله ﷺ المقاتلين»
١١٧	«فسار إليهم رسول الله وقد لبس الدرع والمغفر»
٢١٧	«فيوحي إليه إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم»
١٢٥	«قتل النبي ﷺ عقبه بن أبي معيط والنضر بن الحارث يوم بدر»
٥٥	«قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء»
٧١	«كتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار»
١٧٢	«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»
٢١٦	«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق»
١٢٧	«لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»
٤٣	«لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد»
١٢١، ١٢٠	«لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة»
٢٠٧	«ليتمن الله هذا الأمر حتى تسير الطعينة»
١٢٧	«ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير»
٩٣	«مر على النبي ﷺ يهودي محمم مجلود»
٢٥	«المغضوب عليهم اليهود، الضالون النصارى»
١٦٠	«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا... فهو في سبيل الله...»
١١٧	«من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»
١١٢، ١٠٩	«من لي بكعب بن الأشرف فقد أذى الله ورسوله»
٢١٦	«نار تخرج من قعر عدن تحشر الناس إلى أرض المحشر»
١١٧	«نزل جبريل عليه السلام ورسول الله يغتسل من آثار المعركة»
١٥٣	«والله لا يقاتل أحد هؤلاء القوم اليوم مؤمناً محتسباً»
١٥٧	«يا رسول الله لقد آمننا بك وصدقناك فسر على بركة الله»
١٢٠	«يا كعب... ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم..»
١٠٧	«يا محمد أحسن في موالي»

الصفحة	الحديث
٩٥	«يا محمد إنك قد عرفت أنا أحبار يهود»
١٣	«يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك»
٢١٦	«يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة»

فَهْرَسُ الْأَعْلَامِ

- آدم متز: ١٧٨.
 آدم وايزهاويت: ٢١.
 آرثر جيمس بلفور: ١٦٠.
 أبا رافع سلام بن أبي الحقيق: ٨٧،
 ١٢٦، ١٢٧.
 أبا لبابة: ١١٩.
 إبراهيم عليه السلام: ٣٣، ٦٣، ١٢٩، ٢٠٢.
 ابن صلوياء: ٩٥.
 ابن عباس رضي الله عنهما: ٩٥، ١٤٩.
 ابن هشام: ٨٦.
 أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ١٨٩.
 أبو رافع سلام بن أبي الحقيق: ١١٢.
 أبو سعد بن وهب: ٨٨.
 أبو سعيد الخدري: ١٣.
 أبو سفيان بن حرب: ١١٥.
 أبو عامر الفاسق: ١١٤.
 أبو عيسى بن جبر: ١١٢.
 أبو قتادة: ١١٢.
 أبو مسعود بن رخيلاء الأشجعي: ١١٥.
 أبو هريرة: ٢١٦.
 أبو ياسر: ٨٦.
 الأسباط: ٤٩.
 إسحاق: ٢٠٢.
 إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام):
 ٩٣، ٢٠٢.
 الأسود بن خزاعي: ١١٢.
 الياس: ٢٠٢.
 اليسع: ٢٠٢.
 الإمام أبو داود: ٩٣.
 الإمام أحمد: ٩٣.
 الإمام مسلم: ٩٣، ٢١٦.
 انجلز: ١٨٨.
 أنس: ١١٧.
 أور مسبي غور: ١٦١.
 أوريا الحثي: ١٤٢.
 إيزايلا: ١٧٩.
 أيوب: ٢٠٢.
 باكس: ١٨٠.
 البراء بن عازب: ٩٣.
 بن غوريون: ١٧٣.
 بنيامين فرنكلين: ١٨١.
 بيجر: ١٩٨.
 تشرشل: ٢١٤.
 تونبي: ١٨٠.
 جبريل عليه السلام: ١١٧، ١١٨،
 ١٧١.

- جمال عبد الناصر: ١٦١.
- الحارث أوس بن معاذ: ١١٢.
- الحارث بن عوف المري: ١١٥.
- الحارث بن عوف: ٨٧.
- حمزة بن عبد المطلب: ١٠٦.
- داود عليه السلام: ٣٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٩٤.
- دحية الكلبي: ١١٨.
- ذو الكفل: ٢٠٢.
- الرسول ﷺ: ١١، ١٣، ١٩، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٩، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٨٢، ٨٦، ٨٧، ٩٣، ١٠٣، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٦، ١٩٤، ٢٠٠.
- رفاعة بن المنذر: ١١٩.
- روتشيلد الأول: ١٨٧.
- زكريا: ٢٠٢.
- السامري: ٣٦.
- سعد بن عبادة: ١١٦، ١١٧.
- سعد بن معاذ: ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢.
- سلام بن مشكم: ١١٠، ١١١، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٧، ١٧٣.
- السلطان عبد المجيد خان: ١٧٢.
- سلكان بن سلامة (أبو نائلة): ١١٢.
- سليمان عليه السلام: ٤٠، ٤١، ١٩٤، ٢٠٢.
- سنجر: ١٧٨.
- سيد قطب: ١٠١.
- شارلس الأول: ١٨٧.
- شاس بن قيس: ٩٥.
- شامير: ١٧٤.
- شعيب عليه السلام: ٣٥، ٤٤، ٢٠٢.
- شوادرون: ١٧٨.
- صالح عليه السلام: ٣٥، ٤٤، ٢٠٢.
- صفية بنت حيي بن أخطب: ٨٦.
- طالوت: ١٥٨، ١٩٤.
- طلحة بن خويلد: ١١٥.
- عباد بن بشر بن وقش: ١١٢.
- عبادة بن الصامت: ١٠٧.
- عبد الله بن أبي بن سلول: ٩٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١٢١.
- عبد الله بن أنيس: ١١٢.
- عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: ١٧١.
- عبد الله بن سبأ اليهودي: ١٧١، ١٨٦.
- عبد الله بن سلام: ٤٩، ٨٨.
- عبد الله بن سوريا الأعور الفطيني: ٩٤، ٩٥.
- عبد الله بن عتيك: ١١٢.
- عبد الله (ملك أردن): ١٦١.
- عبد الحميد الثاني: ١٧٢.
- عثمان بن طلحة: ١١٥.
- عثمان بن عفان رضي الله عنه: ١٨٦.
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ١١٨، ١٧١، ١٨٦، ١٨٧.
- علي عبد الواحد وافي: ١٩.
- عمرو بن جحاش: ١١٠، ١١٢، ١١٣.

المسيح الدجال: ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٧.

المسيح عليه السلام: ١٣، ١٦٤، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١٧.

مصعب بن عمير: ٦٢.

مناحيم بيجن: ١٧٤.

المنذر بن قدامة السالمي: ١٠٧.

موسى عليه السلام: ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٢، ٥٥، ٥٦، ٨٧، ٩٤، ١٠٢، ١٢٩، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٧١، ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٢.

نابليون بونابرت: ١٨١، ١٨٨.

نوح عليه السلام: ٤٤، ١٣٠، ٢٠٢.

هارون عليه السلام: ١٤٣، ١٤٤، ١٥٥، ١٧١، ٢٠٢.

هانئ بن قبيصة: ١٩٠.

هرتزل: ١٨٥، ١٩٧، ٢٠٤.

هنري فورد: ١٨٢.

هود عليه السلام: ٣٥، ٤٤، ٢٠٢.

هوذة بن قيس: ١١٤.

وايزمن: ٢١٤.

يامين بن عمير: ٨٨، ١١٢.

يحيى: ٢٠٢.

يعقوب عليه السلام: ٩٣، ٢٠٢.

يؤاب: ١٤٢.

يوسف: ٢٠٢.

يونس: ٢٠٢.

عمرو بن سعدى: ١١٩.

عمير بن الحمام: ١٥٣.

عمينة بن حصن: ٨٧، ١١٥.

الغراندوق سرجيوس: ١٨٨.

فرديناند: ١٧٩.

فرشمان: ١٧٨.

فرعون: ٣٨، ٤٥، ٥٥، ١٢٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٩٥.

فرنسوا فرديناند: ١٨٨.

قارون والسامري: ١١.

كارل ماركس: ١٨٨.

كعب بن أسد: ٩٥، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٠.

كعب بن الأشرف: ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١٧٨.

كلا تزكين: ١٧٨.

كلوب باشا الإنكليزي: ١٦٠، ١٦١.

كليمنس السادس: ١٧٩.

كثانة بن صويراء: ٨٧.

كيسنجر: ١٦٢.

ليبد بن الأعصم: ١٨٦.

اللورد رتشيلد: ١٦٠.

لوري ماجنس: ١٩٧.

لوط عليه السلام: ٣٥، ٤٤، ١٤٨، ٢٠٢.

ماكينلي: ١٨٨.

المثنى بن حارثة: ١٩٠.

محمد بن مسلمة: ١١٢.

مخيريق: ٩٠.

مريم البتول: ٣٥.

مسعود بن سنان: ١١٣.

فَهْرَسُ الْمَرَّاجِعِ

- ١ - الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، المكتبة العصرية.
- ٢ - أخلاق اليهود، وفاء صادق، دار الفرقان.
- ٣ - أسباب النزول، الواحدي دار القبلة.
- ٤ - الأسفار المقدسة، علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر.
- ٥ - الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، الحلبي.
- ٦ - الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، عبد الله التل، المكتب الإسلامي.
- ٧ - البحر المحيط، أبو حيان، مكتبة النصر الحديثة.
- ٨ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية.
- ٩ - تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم)، أبو السعود، مكتبة الرياض الحديثة.
- ١٠ - تفسير البغوي (معالم التنزيل)، البغوي، دار المعرفة.
- ١١ - تفسير الطبري (جامع البيان)، ابن جرير الطبري، دار المعرفة.
- ١٢ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الحلبي.
- ١٣ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي، دار الكتب.
- ١٤ - تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة.
- ١٥ - جذور البلاء، عبد الله التل، المكتب الإسلامي.
- ١٦ - حصوننا مهددة من داخلها، محمد محمد حسين، المنار.
- ١٧ - خنجر إسرائيل، كرانجيا ترجمة مروان الجابري، المكتب التجاري.
- ١٨ - الدر المنثور، السيوطي، دار الفكر.
- ١٩ - زاد المسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي.
- ٢٠ - زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، دار الفكر.
- ٢١ - السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، علي برهان الدين الحلبي، الحلبي.
- ٢٢ - سيرة الرسول، محمد عزة دروزة، الدوحة.

- ٢٣ - السيرة النبوية، ابن كثير، الحلبي.
- ٢٤ - السيرة النبوية، ابن هشام، دار المعرفة.
- ٢٥ - سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الترمذي، المكتبة السلفية.
- ٢٦ - الشخصية اليهودية من خلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم.
- ٢٧ - صحيح البخاري (الجامع الصحيح)، محمد إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية.
- ٢٨ - صحيح مسلم (الجامع الصحيح)، مسلم بن حجاج، دار الفكر.
- ٢٩ - صراعنا مع اليهود، محمد إبراهيم ماضي، دار اليقين.
- ٣٠ - صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية، محمد عثمان شبير، مكتبة الفلاح.
- ٣١ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر.
- ٣٢ - الطريق إلى بيت المقدس، جمال عبد الهادي مسعود، دار الوفاء.
- ٣٣ - عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، دار السيد.
- ٣٤ - الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، دار القلم.
- ٣٥ - فلسفة وأهداف تربية الطفل اليهودي، المفتي، وزبادي، دار الإبداع.
- ٣٦ - في ظلال السيرة النبوية، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان.
- ٣٧ - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق.
- ٣٨ - قادة الغرب يقولون، جلال العالم، دار الأرقم.
- ٣٩ - الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر.
- ٤٠ - الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في العالم العربي.
- ٤١ - الكنز المرصود في قواعد التلمود، روهلنج ترجمة يوسف نصر الله، دار القلم.
- ٤٢ - كنوز التلمود، ليفي، ترجمة محمد خليفة التونسي، دار البيان.
- ٤٣ - مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم.
- ٤٤ - مختصر سنن أبي داود، المنذري، دار المعرفة.
- ٤٥ - المسند، أحمد بن حنبل، دار صادر.
- ٤٦ - المعجم في النحو والصرف، زين العابدين التونسي، مكتبة الشرق.
- ٤٧ - معركة الوجود بين القرآن والتلمود، عبد الستار فتح الله سعيد، مكتبة المنار.
- ٤٨ - المقاصد الحسنة، السخاوي، دار الكتب العلمية.
- ٤٩ - مكايد يهودية عبر التاريخ، عبد الرحمن حبنكة، دار القلم.

- ٥٠ - الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة.
- ٥١ - الملل والنحل، الشهرستاني، دار المعرفة.
- ٥٢ - النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية، فؤاد سيد عبد الرحمن الرفاعي، بيت الحكمة.
- ٥٣ - النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، دار إحياء التراث العربي.
- ٥٤ - همجية التعاليم الصهيونية، بولس حنا مسعد، المكتب الإسلامي.
- ٥٥ - وفاء الوفا، السمهودي، دار إحياء التراث العربي.
- ٥٦ - اليهود تاريخ وعقيدة، كامل سفقان، دار الاعتصام.
- ٥٧ - اليهود في القرآن، محمد عزة دروزة، المكتب الإسلامي.
- ٥٨ - اليهود وراء كل جريمة، وليم كار، دار الكتاب العربي.

فهرسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الثانية	٥
المقدمة	٧
منهجي في البحث	١١
مصطلحات وتعريف	١٥
اليهود والوحي المنزل على موسى عليه السلام	١٨
قصة البروتوكولات	٢١
توطئة في تربية الأمة الإسلامية	٢٣
الباب الأول: المنهج القرآني في عرض قضايا بني إسرائيل	
الفصل الأول: في المرحلة المكية	٢٩
أ - مرحلة عدم الاكتراث بالدعوة	٢٩
ب - مرحلة الترغيب والترهيب	٣١
ج - مرحلة المجادلة والمحاورة	٣٦
د - مرحلة الإيذاء والفتنة	٤٢
الفصل الثاني: في المرحلة المدنية	٥٥
اليهود والمجتمع الإسلامي في المرحلة المدنية	٥٧
مرحلة المهادنة والعهود والمواثيق	٦٢
أسباب الانحراف لدى اليهود عن الإيمان بدعوة الحق	٧٥
عندما يصطدم الأمل بالواقع والحقيقة	٨٠
مرحلة المجابهة	٨٩
أ - المجابهة الفكرية مع اليهود	٨٩
تعقيب: ما ورد في تفضيل بني إسرائيل وتوجيهه	١٠٠
ب - المجابهة الحربية مع اليهود	١٠٥

الصفحة	الموضوع
١٠٥	١ - حملة لتأديب بني قينقاع
١٠٨	٢ - حملة التأديب لبني النضير
١١٢	تعقيب: الاغتيال السياسي
١١٤	٣ - حملة التأديب لبني قريظة
١٢١	تعقيبات:
١٢١	التعقيب الأول: عن موقف سعد من بني قريظة
١٢٢	التعقيب الثاني نظرة لعقوبة بني قريظة
١٢٣	التعقيب الثالث: موقف الإسلام من الأسرى
١٢٦	٤ - حملة التأديب ليهود خيبر
الباب الثاني: المعالم القرآنية لسنن الله القدرية في اليهود	
١٢٩	تمهيد في سنن الله القدرية
١٣٣	سنن الله القدرية في بني إسرائيل
١٣٤	المعلم الأول: التزوير المتعمد للكتاب المنزل وتغيير حقائق الدين
١٣٦	المعلم الثاني: الموبقات والانحراف الخلقي دين يتقربون به إلى الله في زعمهم
١٤٥	المعلم الثالث: نقض العهود والمواثيق من جبلتهم
١٤٨	المعلم الرابع: القوة المرهبة تحملهم على الالتزام بالشرائع والعهود والمواثيق
١٥١	المعلم الخامس: الحرص على الحياة والتخاذل عند اللقاء
١٦٤	المعلم السادس: فقدان الثقة الذاتية
١٦٩	المعلم السابع: عداوة اليهود للإنسانية عامة وللمؤمنين خاصة
١٧٥	المعلم الثامن: تسليط شعوب وأمم عليهم كلما اشتد فسادهم في الأرض
١٨٣	المعلم التاسع: الإفساد في الأرض
١٨٣	أ - الفتن وإيقاد نار الحرب
١٨٩	ب - تدمير الأخلاق
١٩٤	المعلم العاشر: التفرق والخلاف والشتات ماض في اليهود
٢٠١	المعلم الحادي عشر: العلو والاستكبار في الأرض مرتين
٢٠٢	ألا ليت قومي يعلمون
٢١٢	الخاتمة
٢١٨	وصايا واقتراحات
٢٢١	الفهارس

صَدْرٌ لِلْمَوْلَفِ

- ١ - مباحث في إعجاز القرآن: الطبعة الثالثة، دار الأرقم.
- ٢ - مباحث في علوم المواييث: الطبعة الرابعة، دار المنارة.
- ٣ - مباحث في التفسير الموضوعي: الطبعة الثانية، دار القلم.
- ٤ - تربية الأسرة المسلمة: الطبعة الأولى، دار المنارة.
- ٥ - معالم قرآنية في الصراع مع اليهود: الطبعة الثانية، دار القلم.
- ٦ - مناهج المفسرين (التفسر في عصر الصحابة): الطبعة الأولى، دار المسلم.
- ٧ - تفسير عبد الرزاق الصنعاني ٣ أجزاء (تحقيق): الطبعة الأولى، مكتبة الرشد.
- ٨ - مقرر التفسير: للسنة الثالثة المتوسطة بالمعاهد العلمية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ٩ - مقرر التفسير: للسنة الأولى الثانوية بالمعاهد العلمية، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ١٠ - التفسير الميسر مع مجموعة من العلماء: الطبعة الأولى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

تحت الطبع:

- المعجزة والرسول في ضوء سورة الفرقان.

تحت الإعداد:

- التفسير الموضوعي: (دراسة وتقويم وتأصيل).

في هذا الكتاب

- قصة بروتوكولات حكماء صهيون.
- رسول الله واليهود.
- مناقشة القرآن لليهود.
- لماذا عاهدكم الرسول ﷺ.
- مخطط اليهود للسيطرة على النفوس.
- توجيه ما ورد في تفضيل بني إسرائيل.
- حكم الاغتيال السياسي.
- المعاصرون وأحكام الأسر في الإسلام.
- سنن الله في اليهود.
- داود عليه السلام عند اليهود.
- المعارك مع اليهود ١٩٤٨ م - ١٩٥٦ م - ١٩٧٣ م.
- اليهود والحروب العالمية.
- مستقبلنا مع اليهود.

تُطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق: ص ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ب : ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص ب : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١